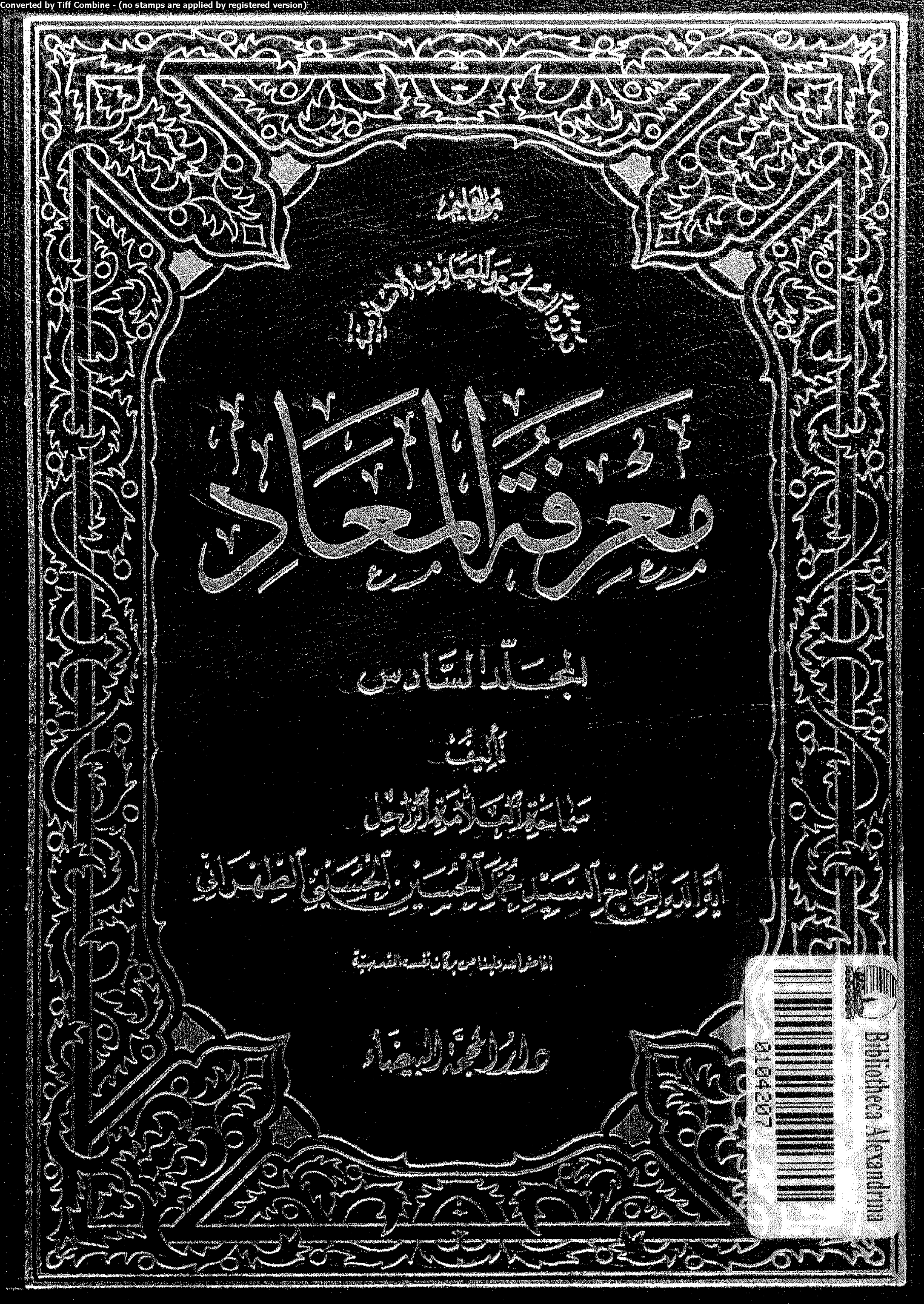

معرفة المعاد
المجلد السادس
تأليف
سماحة العلامة الراحل
آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني
دار المحجة البيضاء
Bibliotheca Alexandrina
0104207







بسم الله الرحمن الرحيم



هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٣

معرفة المعاد

الجزء السادس

تأليف

سماحة العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب

عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

الحسينيّ الطهرانيّ، السيّد محمّد الحسين، ١٣٤٥ ـ ١٤١٦ هـ.
معرفة المعاد / لمؤلّفه السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ. ـ بيروت:
دار المحجّة البيضاء، ١٤١٥ ـ هـ ق.
١٠ ح. ٢١٥ ص. ـ (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة؛ ٣)
الطبعة الأُولى: ١٤١٨ ـ هـ. ق.

العنوان.

BP٢٢٢ ٢٩٧/٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسّسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلّامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة (٣)

معرفة المعاد

الجزء السادس

المؤلف: سماحة العلّامة الرّاحل آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة

تعريب: عبد الرحيم مبارك

الطبعة الأُولى: ١٤١٨ هجريّة قمريّة

عدد النسخ: ٢٠٠٠

الناشر: دار المحجّة البيضاء

تمت ترجمة وطبع هذا الكتاب بإشراف «مؤسّسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة» من تأليفات العلّامة آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

الفهرس



فهرس مطالب وموضوعات

معرفة المعاد

الجزء السادس

المطالب	الصفحات

المجلس الخامس والثلاثون :

المعاد حتميّ ، والبعث بواسطة اسم «المُحيي»

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٢٨

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحات

الدرس السادس والثلاثون :

هطول أمطار الحياة لإحياء الموتى

الصفحة ٣١ إلى الصفحة ٥٦

يشمل المطالب التالية :

الدرس السابع والثلاثون :

شيئيّة الأشياء بصورتها لا بالمادّة

الصفحة ٥٩ إلى الصفحة ٨٦

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحات

فهرس المطالب والموضوعات



المجلس الخامس والثلاثون

المعاد حتمي، والبعث بواسطة اسم "المحيي"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ .[1]

لقد كانوا يلحّون بالسؤال : متى تقوم القيامة ؟ وهو سؤال خاطئ وكلامٌ لا معنى له . لأنّ الذين يتوفّون في هذه الدنيا يردون عالم البرزخ بمجرّد موتهم ، فقيامتهم الصغرى هي ورودهم إلى البرزخ . ثمّ إنّهم يمكثون في البرزخ حتّى تقوم القيامة الكبرى ، فيموتون آنذاك من البرزخ ويُبعثون في القيامة الكبرى . وهكذا فإنّ جميع الذين ماتوا وارتحلوا إلى البرزخ ، الواحد تلو الآخر ، سينتقلون من البرزخ إلى عالم الحشر والقيامة الكبرى .

فإن كان الموت هو المعنيّ بهذا السؤال (متى هذا الوعد) فإنّه سيكون ءالاً فارغاً لا معنى له ، إذ إنّ جميع البشر يموتون ويرحلون عن الدنيا في معيّنة . وسواءً كانت تلك الساعة مشخصّة للإنسان أم لم تكن ، فما علاقة ذلك بأصل المطلب ؟! وما الفائدة في هذا التشكيك ؟ وإن كانت

١ـ الآيتان ٢٩ و ٣٠ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

القيامة هي المراد بوعد الله ، فهي أساساً غير مشخّصة وليست قابلة للتعيين والتحديد بلحاظ عرض الزمان .

افرضوا ـ على فرض المحال ـ أنّ النبيّ ! الأكرم يجيب على هذا السؤال : ستقوم القيامة الكبرى بعد أربعين ألفاً وخمس وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وأربعة أيّام ؛ أفكنتم ستقتنعون بذلك ؟ أم كنتم ستقولون : وهذا أيضاً أحد الأكاذيب التي يقولها ، إذ إنّ أحداً لن يمكنه طيّ هذه الفترة الزمنيّة المديدة خلال عمره المحدود ،لذا فإنّ كذبه لن يفتضح وسيكون مفيداً وناجعاً للبسطاء والعوامّ السذّج .

وهكذا سيُنكِر مَن هو في صدد الإنكار الأمُور البديهيّة ، ويكذّب المعجزات ويعزوها إلى السحر . أفيقبل امرؤ كهذا إخبار رسول الله بهذه المدّة الطويلة للقيامة ؟ أبداً .

وعلاوة على هذا ، فإنّ قيام القيامة هو العبور من البرزخ إلى عالم القيامة الكبرى ، وليس ذلك زمناً .

إنّ كلّ مَن يرحل عن هذا العالم يمتلك سيراً طوليّاً صوب الله تعالى ، أي أنّه سيحصل على تجرّد من المادّة فيرد عالم البرزخ والصورة ـ عالم البرزخ والمثال هو عالم الصورة ـ وحين تحين القيامة الكبرى فإنّه سيموت مرّة أُخرى فيعبر من البرزخ والصورة إلى عالم مجرّد عن الصورة ، وهو عالم النّفس . وليس معنى التدرّج والزمان على هيئة الزمان المعهود لدنيا ، بل إنّ التدرّج له معنىً آخر هناك .

وعلى كلّ تقدير ، فإنّ الله سبحانه قد أوضح لنا بشواهد وأمثلة أنّ القيامة أمر حتميّ ، وأنّ إحياء الموتى ليس أمراً عسيراً ، بل هو سهلٌ يسير ، وإنّما يُحتسب يُسر العمل وعُسره بالنسبة إلى الموجودات التي تمتلك قدرة محدودة . فإن كان العمل الذي ننتظره منها ممكناً لها ، وإن كان

ضمن تحمّلها وقدرتها ووسعها ،كان ذلك العمل سهلاً لها يسيراً ، أمّا لو خرج من دائرة قدرتها ، صار صعباً عسيراً .

وحين يمكن للإنسان أن يحمل خمسين كيلو غراماً مثلاً ، فإنّنا نقول إنّ هذا العمل يسير لديه ؛ لكنّه حين ينوء بثقل مائة كيلو غرام ، فإنّنا سنقول إنّه أمر عسير عليه وفوق قدرته وطاقته .

وأسطوانات هذا المسجد ـ مثلاً ـ يمكنها تحمّل ثقل ثلاثين طنّاً ، وهو وزن ضمن حدود قدرتها وتحمّلها ، بَيد أنّها ستعجز عن تحمّل ثقل ثلاثين ألف طنّ . فإن حمّلناها ثقلاً بهذا الوزن ، فإنّ من المسلّم أنّها ستنهار وتتداعى ، وسيُقال حينئذٍ لمثل هذا الوزن إنّه يفوق قدرتها ويتخطّى حدود تحمّلها .

وعليه فإنّ تخطّي مدى القدرة أو الكون ضمن حدودها ، إنّما هو بالنسبة للموجودات التي تمتلك قدرة مشخّصة محدودة . أمّا بالنسبة إلى الله سُبحانه ذي القدرة اللامتناهية الخارجة عن الحدّ والحدود ، القدرة التي لا تُقاس **مُدّةً وعدّةً وشدّةً وكثرةً** ، فليس هناك من معنى للسهل والعسير إنّ قدرات غير الحقّ جلّ وعلا متفاوتة بلحاظ الجهات الماديّة أو الملكوتيّة ، الظاهريّة والباطنيّة ؛ يصدق عليها جيّداً القياس والمقارنة والترتّب في درجات معيّنة ،كما يصدق عليها عنوان السهولة والصعوبة . أمّا قدرة الحقّ تعالى فغير متناهية ، أي أنّ جميع القدرات التي تُفترض مندكّة في قدرته . فكيف يمكن ـ والحال هذه ـ تصوّر السهولة والصعوبة ؟ ما الذي تعنيه الصعوبة ؟ وما الذي تعنيه السهولة ؟ وما الذي يعنيه الأسهل ؟ وما الذي يعنيه الأصعب ؟

ليس هناك أبداً من سبيل لهذه المفاهيم ، فهي مفاهيم إذا ما أرادت التحقّق وإيجاد مصداقها في الذات القدسيّة للباري تعالى شأنه العزيز ، فإنّها

ستواجه نفير الطرد والإبعاد والمنع .

وعلى ذلك ، فإن أراد الله تعالى أن يخلق بعوضةً لا وزن لها ، أو أن يخلق فيلًا والذي هو أثقل الحيوانات البرّيّة ، فإنّه يُعمل قدرته بدرجة واحدة ، أي أنّ مشيئته وإرادته هي نفس إيجاده .

كم سيُعمل الله قدرته حين يوجِد جبل «همالايا» أكثر من إعماله لها حين يوجِد ذرّة تراب واحدة ؟ الجواب : لا شيء .

إنّ نزول قطرة مطر واحدة من السماء ، وإيجاد محيط كبير ذي أمواج متلاطمة هادرة يحصلان كلاهما بيد الله تعالى ، فهو يوجدهما ويحرّكهما على منوال واحد وأُسلوب واحد . كما أنّ جميع الموجودات ، الصغير منها والكبير ، الماديّ منها والمعنويّ ، الملكيّ والملكوتيّ سواسية بالنسبة إلى قدرته كأسنان المشط ، كما أنّها سواسية كذلك بالنسبة إلى علمه وحياته .

وهكذا فإن إحياء الموتى بالنسبة إلى الله كابتداء خلقهم ، ليس هناك أبداً من صعوبة أو سهولة ، ولا عُسر وحرج ، ولا يُسر ولا معاناة ، ولا من ثقل وخفّة ، ولا من إمكان واستحالة . كلّ ما هناك إرادة واحدة فقط : **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** .[1]

لذا فقد ورد الخطاب إلى النبيّ في بعض الآيات بأن يقول لهم : لماذا تشكّكون في القيامة ؟ لقد خلقكم الله من عدمٍ محض ، ثمّ إذا شاء أعاد خلقكم من جديد .

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ .[2]

إنّنا نرى في أفهامنا وإدراكاتنا ، بحسب الأُنس الذهنيّ ، أنّ إيجاد

١ـ الآية ٨٢ ، من السورة ٣٦ . يس .

٢ـ مقطع من الآية ٢٧ ، من السورة ٣٠ : الروم .

شيءٍ ما من موجودات متفرّقة ، أسهل من إيجاد ذلك الشيء من العدم المحض . فانظروا في خلق الإنسان وتصرّم العمر ؛ أكان الإنسان شيئاً في الحقيقة ؟ أبداً . فلقد خلق الله الإنسان فطوى مراتب معيّنة ، حتّى صيّره إنساناً فوهبه عيناً وأُذناً وقلباً وفكراً وإحساسات وتعقلاً . وهو أمر يبدو في نظر الإنسان أعسر بكثير من إماتة الإنسان ، ثمّ جمع ذرّاته ـ مهما تفرّقت وتبدّدت في العالم ـ وإحيائه من جديد .

ذلك لأنّ الإنسان مهما كان مفرّقاً مبدّداً ، إلّا أنّ هناك شيئاً موجوداً منه في نهاية الأمر ؛ وجَمْعُ الأشياء المتفرّقة أسهل من أصل الخلقة حيث أوجده الله دونما شيء مُسبق ، بل من العدم المحض الصرف . ولقد جاء التعبير بالهيّن في الآية الشريفة تبعاً لإدراكاتنا ومشاعرنا ، من أجل تقريب ذهننا لهذا الأمر ، ولإزالة عجب الإنسان ليصبح تصديق الأمر سهلاً لديه .

إنّ عليكم أن تعجبوا من خلقكم وصعوبته ، أمّا إحياء الموتى فليس أمراً عسيراً . بَيدَ أنّ حقيقة الأمر ، ليس بينهما من تفاوت أبداً . ثمّ إنّه تعالى يضرب لنا مثلاً أصحاب الكهف ، وذلك للاعتبار بهم ولإجراء الحكم المشابه بينهم وبين سائر الناس :

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا .[1]

ولقد كانت قصّة عجيبة حقّاً ، مع أنّها في نظر الله وفي حقيقة الأمر وفي نظر حكم الأمثال والمشابهات غير عجيبة أصلاً .

فلقد نام أصحاب الكهف وكلبهم (ومجموعهم ثمانية نفر) ثلاثمائة وتسع سنين ثمّ استيقظوا ، ثمّ جاء أحدهم إلى المدينة ليشترى طعاماً ،

١ـ النصف الأوّل من الآية ٢١ ، من السورة ١٨ : الكهف .

ولم يكن ليعلم بما جرى ، فشاهد أنّ العالم قد تغيّر وتبدّل ، وأنّ المدينة صارت مدينة أُخرى بأبنيةٍ مختلفة ، ولاحظ أن لا وجود لأفراد تلك المدينة الأُولى ، فعجب وتساءل : لقد نمنا ساعتين أو ثلاثاً ، فلماذا تبدّل العالم ! ولم يكن ليدرك أن ثلاثمائة سنة شمسيّة قد مرّت عليهم وهم رقود ، أي ثلاثة قرون شمسيّة ، وهو يعني تصرّم ستّة أو سبعة أو ثمانية أجيال . فتأمّلوا : لو حصل أن ذهبتم إلى المنزل ظهراً فرقدتم ساعة بعد تناولكم الطعام كعادتكم ، فطال نومكم ثلاثمائة سنة ، ثمّ نهضتم من نومكم بعد هذه المدّة في يومٍ مشابه للذي نمتم فيه وفي ساعة تتقدّم على التي رقدتم فيها بساعة واحدة . فما الذي كنتم ستشاهدونه ؟ أين ستكون زوجتكم ؟ وأين سيكون أولادكم؟لا يوجد أحد من أعمامكم وأبناء أعمامكم،ولا من أبويكم، ولا من سائر أرحامكم ومعارفكم . وسيكون أفراد آخرون بدلاً منهم قد ملأوا بيوت المدينة . ومهما تكلّمتم معهم وذكّرتموهم لم يفهموا شيئاً ، ثمّ إنّ النقود والعملة صارت عملة أُخرى .

وهذه الأُمور جميعاً في حالة أنّهم لم يدفنوكم تحت الأرض ؛ إذ حين ينقضي زمن بسيط على موعد استيقاظ المرء دون أن يستيقظ ـ في حالة انعدام حسّ الإنسان وحركته ونبض قلبه ـ فإنّ عائلته سيتصوّرون أنّه قد مات ، فيأخذونه إلى المغتسل فيغسّلونه ويكفّنونه ويدفنونه .

أمّا لو كان له حسّ وحركة ، وكان قلبه ينبض في وهن ، وباعتبار أنّه لا يجيبهم ولا يستيقظ من نومه ، فإنّهم سيتصوّرون أنّه مريض ، فيصبّون في فمه السوائل بأمر الطبيب ويضعون له الحقنة حتّى يموت .

ولو جرى ذلك في أيّامنا هذه ، لنقلوه فوراً إلى المستشفى فغرزوا في بدنه حُقَن الدواء ، ولداروا به من هذه الغرفة إلى تلك لالتقاط الصور الشعاعيّة وللقيام بالتحاليل الطبّيّة ، ولربّما أجروا له عمليّة جراحيّة أو

عمليّتين حتّى يقتلون ذلك المسكين حيّاً .

ومن ثمّ فلو حصل ـ مثلاً ـ لبعض أولياء الله أن صارت له حالة خلع في هذه الأيّام ، ولم يكن مرافقوه يعلمون بذلك ، فما أحراهم أن يظنّونه قد أسلم الروح ، فيأخذونه إلى المقبرة ويدفنونه .

وعلى هذا الأساس ، ولأجل صون أُولئك الفتية أصحاب الكهف ، فقد أخرجهم الله من المدينة وأنامهم في كهف بحيث لا يطّلع على أحوالهم أحد ، وإلّا لقتلهم أصدقاؤهم فضلاً عن أعدائهم . تماماً كالأفراد الذين يتّهمهم الناس هذه الأيّام ، فإنّهم لو كانوا أحراراً طليقين لتعرّض لهم الناس بسوء ، فتقوم الدولة والحكومة بنقلهم إلى مكان آخر ـ ولو كان ذلك المكان سجناً ـ ليبقوا في حرز ومأمن من أيدي الناس . وهكذا فقد كان الكهف محلّاً خالياً هادئاً لاستراحة أُولئكم دونما إزعاج .

فانظروا لو صادف أن حصلت لكم قصّة أصحاب الكهف وقصّة ذلك الذي جاء إلى المدينة لشراء الطعام ، فأدركتم بعمق ولمستم أنّكم كنتم طيلة هذه المدّة المديدة في نوم عميق . فكم كان ذلك سيبدو لكم عجيباً مدهشاً بحيث إنّ قصّة الموت والإحياء لن تفوقه في العجب والغرابة . إذ ما الفرق بين النوم والاستيقاظ بعد ثلاثمائة سنة ، وبين الموت والبعث من جديد بعد ثلاثمائة سنة ؟ أَوَ ليس النوم موتاً ؟ ولقد فعلنا ذلك ليطّلع الناس على الوعد الحقّ الذي قطعه الله ليوم الجزاء .

لقد سيطر بختنصّر (نبوخذ نصّر) على اليهود فقتلهم عن آخرهم ، وجاء في التأريخ أنّ الناس كانوا قد خرجوا من بيوتهم وأماكنهم ، فأدركهم جيش بختنصّر (نبوخذ نصّر) في العراء فضرب رقابهم جميعاً ، حيث قتل من اليهود سبعين ألف نفراً ، وهذه القصّة مدوّنة في التواريخ . وكان **عزير النبيّ** قد فرّ من يده فتوارى في عين ماء وغاب عن الأنظار إلّا أنّه

لم يمت ، فقد حفظه الله تعالى .

ثمّ إنّ النبيّ إرْميا مرّ على تلك الصحراء بعد سنوات متمادية ، وكانت أجساد اليهود قد تلاشت ولم يبقَ منها في تلك الصحراء إلّا العظام الملقاة ، فشاهد عجباً ، صحراء تملؤها عظام مبدّدة مشتّتة متداخلة ، فحار في ذلك ؛ **قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا.**[1]

فأماته اللهُ وحماره معه ، ثمّ أحياهما بعد مائة عام ، فشاهد إرميا بأُمّ عينيه كيف أنّه وحماره كانا يرتديان لباس المادّة ، وكيف أنّ الأجزاء المشتّتة كانت تجتمع فيكسوها اللحم ، فأراه الله بذلك كيفيّة إحياء الموتى .

ولقد طلب النبيّ إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يعلم الجهة الفاعلة وإعمال القدرة في إحياء الموتى ، فقال : **كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ.**[2]

وهو غير سؤال إرميا ، فقد كان سؤال إرميا عن نحو الفعل بينما كان سؤال إبراهيم عن نحو الفاعل . ذلك أنّهم يأخذون المرء أحياناً إلى المختبر فيرونه تلك المطالب التي قرأها ، كما يحصل أحياناً أن يقولوا له : اعمل بنفسك وحقّق بيدك عمليّاً المطالب العلميّة واخلع عليها رداء التحقّق . يقول إبراهيم : ربّ أرني كيف تُحي الموتى .

ولقد بحثنا هذا الموضوع في المجلس الخامس والعشرين تحت عنوان التحقّق بوجه الله ، وسنقتصر في البحث الآن ـ لمزيد من الوضوح ـ على الجهة الفاعليّة لإحياء الموتى .

ربّ كيف تُحي الموتى ؟ أريد أن أفهم ما هي تلك الجهة الفاعلة فيك التي تُحيي بها الموتى .

١ـ مقطع من الآية ٢٥٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ مقطع من الآية ٢٦٠ ، من السورة ٢ : البقرة .

أوَ لم تؤمن بهذا الأمر يا إبراهيم ؟

قال : بلى ! أعلم أنّك تحيي الموتى بقدرتك الكاملة وباسم **المحيي** الذي هو من أسمائك الحُسنى ، ولكن ليطمئنّ قلبي .

فما الذي كان يعنيه ؟ يعني أنّني الآن خلف الستار ، فأزِحْ هذا الستار جانباً لأُشاهد دونما حجاب .

ولقد كان إبراهيم نبيّاً من الأنبياء أُولي العزم أصحاب الشريعة والكتاب ، وقد حاز درجات ومقامات ، وطوى مدارج ومعارج ، وسار في عالم الولاية ووصل إلى الصفات والأسماء الحسنى ، لكنّ جانب الإحياء واسم المُحيي لم يظهر بَعْدُ في إبراهيم نفسه ، فلم يُحيي الموتى بنفسه ، ولم يكن ليعلم كيفيّة إحياء الموتى من جهة حيثيّتها الفاعلة .

ذلك أنّ أولياء الله حين يصلون إلى مقام القرب ، فإنّ جميع أسماء الله وصفاته تتجلّى في وجودهم . وقد ورد في القرآن الكريم قول عيسى ابن مريم : **وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ**.[1]

ليس الأمر بأن أقف جانباً فأدعو : ربِّ أحيي الموتى ! فيستجيب الله فيُحيي ميّتاً . بل إنّني أُحيي الموتى بنفسي بحول الله وقوّته . أنا عبدٌ وكلّ حظّ وقوّة فيّ إنّما هو من عند الله ، **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ** ، لكنّ العمل عملي أنا .

افرضوا ـ مثلاً ـ أنّني أدعو وأنا جالسٌ هنا : يا إلهي ! ليسقط هذا القلم عن هذه الورقة ! فيستجيب الله الدعاء ويحصل عمل خارجيّ ، كأن تهبّ ريحٌ أو يأتي زيد فيضع هذا القلم على الأرض ، وآنذاك فإنّ حركة القلم وسقوطه على الأرض لم يكونا بإرادتي أنا . وقد يحصل أحياناً أن أرفع

---

١ ـ مقطع من الآية ٤٩ ، من السورة ٣ . آل عمران .

القلم بيدي فأضعه على الأرض . فالفعل في الحالين هو فعل الله وقد حصل بحوله وقوّته ، ولولا مشيئته وإذنه لما تحرّك القلم من مكانه إلى ما بعد ألف سنة . أمّا في الحالة الثانية حيث وضعتُ القلم على الأرض بيدي فإنّ الفعل فعلي ومنتسب لي .

لقد وصل إبراهيم عليه السلام إلى مقامات وطوى مدارج معيّنة ، لكنّ اسم المحيي ، أي كيفيّة الإحياء وتلك القوّة التي تظهر في أولياء الله في مقام القرب بواسطة تجلّي اسم المُحيي لم تكن قد ظهرت فيه بعدُ . وإجمالاً فإنّ إبراهيم لم يكن قد قام بنفسه بإحياء الموتى . لذا فهو يسأل : **كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَى ؟**

أي كيف يتجلّى فيك هذا الاسم فتُحيي بواسطته الميّت ؟

قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن بهذه الحقيقة يا إبراهيم ؟ قال : بلى ! آمنتُ ، وأعلم أنّك تقوم بهذا العمل باسمك المقدّس ، **تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ وَعَلَتْ صِفَاتُك** ، لكنيّ أريد أن أرى كما يرى التلميذ حين يختبر بنفسه في المختبر ويرى رأي العين . فقال له الله : فافعل هذا العمل بنفسك . خذ أربعة من الطير فاجعلهنّ يأنسن إليك ، ثمّ اذبحهنّ واخلط أوصالهنّ وضَعْ قدراً منهنّ على قمّة كلّ جبل ، ثمّ ادعهنّ فسيأتينّك سعياً ، واعلمْ آنذاك أنّ الله عزيزٌ حكيم . فأخذ إبراهيم أربعة طيور ، وهي على ما في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ : الطاووس ، الغراب ، الحمامة والديك ؛ فطحنها معاً بحيث تداخلت جميع ذرّاتها ، ثمّ وزّع أجزاءها على قمم عشر جبال ، فوضع على كلّ جبلٍ منهنّ جزءاً .

فلتدعهنّ الآن يا إبراهيم بنفسك ! ماذا يعني ذلك ؟ أي ادعهنّ بنفسك الملكوتيّة ، فإنّهنّ سيجبنك ويلبّين نداءك .

ومن هنا ، فإبراهيم يُحيي الموتى لأنّه لم يعد إبراهيم ، بل حول الله

وقوّته ، لا غير . ولقد ظهرت إرادة الله ومشيئته من نافذة نفس إبراهيم ، وصار لإبراهيم الاسم الأعظم ، وظهر اسم المحيي في وجوده فعلاً .

لقد تخطّى إبراهيم نفسه خارجاً ، وصار فانياً في اسم الحقّ ، فليس هناك من إبراهيم بعدُ ، بل هناك الله تعالى لا غير .

ثمّ إنّ إبراهيم أمسك مناقير الطيور واحداً بعد آخر فناداها واحداً فواحداً : أيّها الديك ! تعالَ . أيّها الغراب ! تعالَ . أيّها الطاووس ! تعال . أيّتها الحمامة ! تعالي .

فسبحت[1] ذرّات كلّ واحد من هذه الطيور في الهواء من فوق الجبال العشر وجاءت فلصقت بمناقيرها في يد إبراهيم ، فنما اللحم فوق عظامها فوراً ، ونما الريش والأجنحة فوق اللحم ، فصارت الطيور الأربعة كاملة الخلقة مستوية أمام إبراهيم .

وعلى كلّ حال ، فقد كان نداء إبراهيم الملكوتيّ هو الذي أحيا الطيور ، ولقد أحيا إبراهيم باسم الله ؛ واسم الله هو أمره وإذنه تعالى .

ولقد ورد في الرواية أنّ إبراهيم جاء إلى قمّة جبل أبي قبيس حين بنى الكعبة فأذّنَ في الناس بالحجّ ، فأجابه بالتلبية كلّ من سمع نداءه ولو كان في أصلاب الآباء ، فوفّق للحجّ مَن أجابه . فمنهم مَن لبّى مرّة واحدة ، ومنهم مَن لبّى مرّتين فحجّ مرّتين . وهكذا فإنّهم سيوفّقون للحجّ ولزيارة بيت الله الحرام بعدد تلبيتهم . ومن الجليّ أنّ نداء إبراهيم هذا كان ملكوتيّاً هو الآخر ، وإلّا لما سمعه مَن كان في أصلاب الآباء . كما أن التلبيات كانت ملكوتيّة هي الأُخرى . ولقد وفّق إلى الحجّ كلّ مَن لبّى وأجاب . وإلّا فإنّ التلبيات الظاهريّة ليس لها تلازم مع التشرّف بالحجّ .

وهكذا فقد اطمأنّ إبراهيم ، أي أنّ ذلك الاطمئنان القلبيّ ! الذي كان ينشده ويصبو إليه قد حصل له ، لأنّه قد فعل ما فعل بيده وإرادته .

---

١ ـ سبحت : أسرعت . (المنجد) .

ولو تحقّق أمرٌ ما في وجود الإنسان ، فلمسه الإنسان وشاهده ، لانقلب بالطبع من مقام التردّد والشكّ أو عدم الاطمئنان على أقلّ تقدير ، إلى مقام اليقين والاطمئنان .

ولو قلتَ : إنّني لا يمكنني أن أفهم كيف يُضيء هذا المصباح الكهربائيّ !

فقلنا : إنّ التيّار الكهربائيّ يجب أن يسير في السلك ؛ والكهرباء ، نولّدها بواسطة أمر فيزيائيّ أو كيميائيّ ، كالحركة والاحتكاك أو الفعل والانفعال ، أي أنّنا نوجد قطبين كهربائيّين موجباً وسالباً بواسطة مولّد أو بطّاريّة ، بحيث يحصل كذا وكذا ... وهكذا نشرح جميع ذلك ونرسم دائرته الكهربائيّة ، ثمّ نقول : أفصدّقتَ الآن ؟

وستجيب : لقد صدّقتُ ، ولكن لم يحصل لي اليقين واطمئنان الخاطر .

فنقول : هاتِ بنفسك أيّها السيّد وعاءً فاسكب فيه قدراً من محلول الآمُونيوم ثمّ ضع فيه قطعتي فحم الغرافيت بعنوان قطبينِ ، ثمّ صِل الفحمتين بسلكينِ ، وصِلْهما بمصباح ، وضع مفتاحاً للوصل في طريقهما ، فسترى أنّ المصباح سيتوهّج . وها أنت تنجز هذه الأعمال بيدك ، فترى أنّ المصباح يتوهّج . إنّ جميع معجزات الأنبياء ، من إحياء الموتى ، وشفاء الكُمْه الذين وُلدوا عُمياناً . وشفاء البرص ، واليد البيضاء ، وقلب العصا ثعباناً وشقّ القمر ، وغير ذلك ، كانت بأجمعها غير خارجة من دائرة إرادتهم ونفوسهم . ولم يكن الأمر بحيث إنّهم يعتبرون أنفسهم منفصلين عن الحول والمشيئة الإلهيّة ، ثمّ يدعون : إلهي ! شُقّ القمر ! واقلب هذه العصا ثعباناً ! وسلّط هذا الأسد المنقوش على السّتار على مهرّج المأمون ! فيقوم الله تعالى باستجابة دعائهم خارج مَجلى ومَجرى نفوسهم ، بل إنّ

المعجزات تتجلّى من جهة نفوسهم . فلقد أشار النبيّ فانشقّ القمر نصفينِ ، وتكلّم مع الحصى في كفّه . ولقد جاء أمير المؤمنين إلى المقبرة بناء على طلب شابّ حديث العهد بالإسلام قَدِم من أماكن بعيدة راغباً في الحديث مع أبيه المتوفّى ، فأمر أميرُ المؤمنين فانشقّ القبر وخرج منه شيخٌ ينفض التراب عن وجهه ورأسه ، فتحدّث مع ابنه عدّة جملات .

كما أنّ الشخص ذا النفس الطاهرة والروح الطيّبة ، حين يذهب لعيادة مريض فيرغب في شفائه أشدّ الرغبة ، فإنّه يشفى فوراً بتأثير تلك النفس الطاهرة بإذن الله تعالى . والشخص الذي يحسد الطفل فيمرض الطفل أو يموت ، إنّما يفعل ذلك لنفسه الخبيثة الدنسة ، حتّى لو كان ذلك الطفل ابنه ، فالموت والمرض وسوء الحظّ وأمثالها هي من آثار النفوس الخبيثة .كما أنّ تأثير النفوس في البركة والعافية والصحّة وطول العمر يحصل بواسطة طهارة تلك النفوس .

فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ.[1]

إنّ آثار السوء تذهب كالزبد الذي يعلو الماء ، وأمّا ما ينفع الناس ويصلهم بالخير والرحمة فيبقى ويمكث في الأرض . وجميع هذه التأثيرات والتأثّرات التي نشاهدها في العالم متعلّقة بالنفوس ، بَيدَ أنّها تحصل بإذن الله تعالى ، ذلك لأنّ أيّ موجود لا يرتدي رداء الوجود في ذاته وفي فعله وفي أثره إلّا بإذن الله سُبحانه .

وليس هذا الإذن إذناً اعتبارياً كسائر العقود والعهود التي تحصل في عالم الدنيا والاعتبار .كأن يقول الإنسان : **إلَهي اسْتَجَزْتُ مِنْكَ** ؛ فيجيبه : **عَبْدِي أَجَزْتُ لَكَ** ؛ بل هو إذن تكوينيّ وحقيقيّ في النفوس ، مِن أثره

---

١ ـ مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ٢٣ : الرعد .

إمكان تأثير النفوس في المُجاز .

إنّ النفس تصل بظرف التكوين والواقعية إلى مرتبة تتجلى فيها الذات القدسية للحق تعالى. وبهذه الوسيلة تتحق إرادته تعالى في الخارج وترتدي لباس الوجود. فاذهب وكُن مجرّداً لترى المجرّد ولتعمل المجرّد؛ وهو إشارة إلى تحقّق حالة الانقطاع هذه هي النفوس.

نحن الآن جالسون في المسجد بأجمعنا ، فنحن نرى كلّ شيء ، ونتطلّع إلى جميع الأصدقاء والإخوة في الدين ، لكنّنا لا نرى أنفسنا . أفنرى طلعتنا يا ترى ؟ كلّا .

ومع أنّ جميع شرائط الإبصار موجودة ، فلدينا أعين ، والمصباح مضاء ، لكنّنا ننظر فلا نرى أنفسنا . وننظر إلى هذا المِذْياع فلا نرى أنفسنا ؛ وننظر إلى صفحة الورقة ، وإلى البساط ، وإلى السقف ، فلا نرى أنفسنا . أمّا حين ننظر إلى حجر المرمر المتلألئ هذا فإنّنا نرى أنفسنا .

لماذا ؟ لأنّ هذا الحجر قد اكتسب فعليّة تجلّي وعكس الإشعاع بواسطة بروز قابليّته واستعداده ، فإن زِيد في صقله قدراً ، تبدّل إلى صفحة مرآة نرى فيها أنفسنا بصورة كاملة . وهكذا فإنّ أحد شروط الإبصار والرؤية قابليّة عكس الشعاع .

ولو كان هذا البساط الملقى على الأرض في شرائط معيّنة ، فاستطعنا صقله ليتلألأ كالمرآة ، لأرانا هذا البساط طلعتنا هو الآخر . ولأرانا إيّاها الكتاب ، والمِذْياع أيضاً ، وجميع الأشياء التي تُحاذينا وتقابل وجوهنا .

إنّ الموجودات التي خلقها الباري تعالى مظهرة لقدرة وعظمة وعلم وحياة الحضرة الأبديّة كلّاً بحسب سعة ماهيّته وقابليّته ، وعلى الأخصّ نفس الإنسان التي خلقت بقابليّة أكثر بحيث إذا ما تنوّرت بنور العلم

والتقوى والتزكية ، وتخطّت غرورها ونظرها إلى نفسها فصارت ترى الحقّ ، فإنّها تستطيع بواسطة الصفاء الذي ستكتسبه أن تكون عاكسة للأسماء والصفات الكلّيّة الإلهيّة ، وباعتبارها مصفّاة من الأكدار النفسانيّة ، فإنّ الأعمال التي تصدر منها ستكون طاهرة نقيّة مائة في المائة .

ومن هذا القبيل معجزات الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وكرامات أولياء الله ، فهذه المعجزات منتسبة إلى الله تعالى في عين انتسابها واستنادها إلى أُولئك الأنبياء . ومن ثَمّ فإنّ الفعل له نسبتان ، فله ـ بلحاظ نزوله من جهة منبع الجود وأصل الجود ـ اختصاص حقيقيّ بالذات القدسيّة للحضرة الأحديّة ، أمّا بلحاظ عبوره من هذه الجهة والنافذة النفسانيّة وكونه محدوداً بهذا الحدّ ومقيّداً بهذا القيد ، فإنّه مستند لصاحب ذلك الفعل كزيد وعمرو والأنبياء والأولياء وغيرهم .

يقول المرحوم الحكيم السبزواريّ قدّس الله نفسه في استناد أفعال الإنسان إلى الله تعالى ، وذلك في مبحث «عموم قدرته تعالى لكلّ شيء» :

١ ـ وَالشَّيءُ لَمْ يُوجَدْ مَتَى لَمْ يُوجَدَا
وَبِاخْتِيَارٍ اخْتِيَارٌ مَا بَدَا

٢ ـ وَكَيْفَ فِعْلُنَا إلَيْنَا فُوِّضا
وَإنَّ ذَا تَفْوِيضُ ذَاتِنَا اقْتَضَى

٣ ـ إذْ خُمِّرَتْ طِينَتُنَا بِالمَلَكَة
وَتِلْكَ فِينَا حَصَلَتْ بِالحَرَكَة

٤ ـ لَكِنْ كَمَا الوُجُودُ مَنْسُوبٌ لَنَا
فَالفِعْلُ فِعْلُ اللَّهِ وَهُوَ فِعْلُنَا[1]

١

ـــــــــــــ

١ ـ «غرر الفرائد» المنظومة السبزواريّة ، ص ١٧٤ ، طبعة ناصري .

١ ـ إنّ الأشياء ما لم تكن موجودة ، فلن يمكنها أن توجِد أثراً أو فعلاً منها . (وعليه فحين يكون أصل وجود الإنسان وسائر الموجودات غيريّاً ومختصّاً ومرتبطاً بذات الحقّ تعالى ، فكيف يمكن أن لا يكون أثرها وفعلها غيريّاً ، وأن لا يتعلّق بذات الحضرة القيّوميّة ؟) كما أنّ اختيارنا لا يمكن أن يكون مستنداً إلى اختيار الغير .

٢ ـ وكيف تكون أفعالنا مفوّضة إلينا ؟ أَوَلم يكون ذلك تفويضاً لذاتنا ؟ وهو أمرٌ مسلّم البطلان !

٣ ـ ذلك لأنّ طينتنا قد خُمّرت بملكاتنا ، وجليٌّ أنّ ملكاتنا قد ظهرت فينا بواسطة تكرّر الحركات والسكنات ، فإن كانت الحركات قد فُوّضت إلينا ، فإنّ الملكات ـ التي هي نتيجة الأفعال ـ ستكون بالطبع والملازمة قد فُوّضت إلينا هي الأُخرى ، وستكون طينتنا ـ من ثَمّ ـ قابلةً للتفويض ، وهو أمر خاطئ .

٤ ـ فلا يظنّنّ أحد أنّ هذا الأمر مقتضٍ للجبر ، لأنّنا في مقام نقض التفويض .

ولإيضاح المطلب وبيان حقيقة الأمر نقول إنّ أفعالنا ووجوداتنا تنسب إلينا ، وتُنسب في الوقت نفسه إلى الله تعالى . وإنّ الفعل في عين كونه فعلنا ، فإنّه كذلك فعل الحيّ القيّوم تعالى .

إنّ الإنسان من بين أفراد الموجودات له القابليّة والقوّة لتحقّق الاسم الأعظم للحقّ ، لذا فهو يجلّي ظهورات الحقّ تعالى أكثر من باقي الموجودات ، وخاصّة الأنبياء العظام والأئمّة الكرام ، وبالأخصّ الوجود المبارك لرسول الله محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله ، فهو المصداق الأعلى والمرآة الأتمّ والأكمل لأسماء الله وصفاته الكلّيّة ، حقّقها بأجمعها في نفسه وأوصلها إلى الفعليّة . يقول المرحوم الحكيم السبزواريّ قدّس الله

سرّه في هذا الشأن :

وَكَمَا أُوتِيَ جَوَامِعَ الكَلِمِ التَّدْوِينِيّ ، كَذَلِكَ أُوتِيَ لِوُجُودِهِ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ لِلعَالَمِينَ جَوَامِعَ الكَلِمِ التَّكْوِينِيّ ، كَيْفَ لَا .

آنكه شد اوّل پديد از جيب غيب بـود نـور پـاك او بـى‌هيچ ريب

بعد از آن آن نور مطلق زد عَلَم گشت عرش وكرسى ولوح وقلم

يک عَلَم از نور پاكش عالم است يک عَلَم ذرّيّت است وآدم است[1]

أجل ، حين تتجلّى هذه المعاني في الإنسان فإنّه يصبح إنساناً كاملاً ، أي أنّ جميع جهات قابليّته ستصل إلى الفعليّة ، فتصبح أرجاء مرآة وجوده مَظهراً للّه تعالى .

وما أجمل ما أنشد العارف الجاميّ :

تا بـود بـاقـى بـقـايـاى وجـود كى شود صاف از كدر جام شهود

تا بود پيوند جـان و تـن بـجاى كى شود مقصود كلّ بُرقع گشاى

تا بـود قـالب غـبار جشـم جـان كى توان ديدن رخ جانان عيان[2]

وعلى كلّ حال فإنّ كيفيّة تجلّي ذات الحقّ ليس مختصّاً بالملائكة والأنبياء والأولياء والإنسان ، بل إنّ كلّ موجود يرتدي رداء الوجود أو يُظهر من نفسه آثراً ، إنّما يفعل ذلك إثر تجلّي وظهور ذات الحقّ تعالى في

١ـ «غرر الفرائد» للسبزواريّ ، حاشية ص ١٧٨ .

يقول : «إنّ أوّل ظاهر من جيب الغيب هو بلا شكّ نوره الطاهر .

ثمّ ظهر بعده ذلك النور المطلق ، فصار العرش والكرسيّ واللوح والقلم .

العالم عَلَمٌ من نوره الطاهر ، وآدم وذرّيّته عَلَمٌ آخر» .

٢ـ يقول : «متى يصفو كأس الشهود من الكدر مادامت ثمالة الوجود باقية .

وأنّى يُسفر قبلة الكلّ فيضع برقعه جانباً مادام اتّصال الروح والبدن قائماً ؟!

وما دام البدنُ غبارَ عين الروح ، فمتى سيمكن رؤية طلعة الحبيب عياناً ؟» .

ذلك الموجود .

وعلى سبيل المثال فأنا الآن مشغول في الحديث ، وهذا التحدّث هو إذن الله تعالى فيّ ، وإلّا لما تحرّكت شفتي . فما الذي يعنيه الإذن ؟ أهو بمعنى أنّ الله قد قال لي : إنّي أُجيزك بالحديث . فأجبتُه بالقبول لفظاً ؟كلّا ، ليس هذا معنى الإذن ، وإلّا فإنّنا نرى الكثيرين يعملون دون هذا الإذن اللفظيّ ، فيجب ـ إذاً ـ أن يكون عمل أُولئكم دون إذن الله تعالى . مع أنّنا نعلم أنّ ورقة لا تسقط من الشجرة دون إذنه سبحانه .

فمعنى الإذن هو أنّ الله قد خلقنا ومَنّ علينا بالإدراكات ، وخَلَق أجزاء بدننا وأعضاءنا وجوارحنا ، وعيّن قوانا وقابليّاتنا بحيث إنّ هذه الجهات والمعاني يمكنها في شرائط خاصّة أن تدرك المعاني الكلّيّة بإذن الله وتجلّيه وبقوّته وحوله ورحمته ، وأنْ تصبّ تلك المعاني ـ من ثَمّ ـ في قالب الألفاظ ، فتلقيها بصورة منتظمة مرتّبة . واللهُ في كلّ حال مهيمن على جميع هذه الأُمور ، تفيض هذه المعاني وهذه الألفاظ من معدن وجوده وعلمه على هذا الفكر ، فتسري إلى الخارج .

هذا هو معنى الإذن ، ولولا ذلك لما كان للشفة قدرة على الحركة ولو انقضى عليها ألف سنة ، فهي قد تحرّكت حين تحركت بإذن الله . فما الذي يعنيه ذلك ؟

أي أنّه ما لم تحصل جميع الأسباب والشروط التي قرّرها الله سبحانه وما لم تتعلّق إرادته تعالى بإيجاد موجود من هذه الأسباب والشرائط والمقدّمات ، لما حصل إذنه سبحانه .

افرضوا أنّنا نضع ساعة ونضع لها زجاجة وعجلة مسنّنة ورقّاصاً وعقرباً ولولباً ، ونراعي في صنعها جميع الجهات ، لكنّ هذه الساعة لا تتحرّك ، فلماذا يا ترى ؟ ذلك لأنّ أحد المسامير اللولبيّة لم يثبّت جيّداً

بعدُ ، وحين يتوفّر ذلك الشرط الأخير فيُحكم برم المسمار اللولبيّ فإنّ الساعة ستبدأ بالعمل .

كما أنّ جهاز المذياع لا يعمل ولاينقل لنا خبراً ، وذلك لخلل فنّي فيه ، فهناك سلك مقطوع فيه ، وحين يُعاد وصل ذلك السلك ، فإنّ جميع الأسباب والشرائط ستؤثّر من حيث المجموع في ذلك المفعول ، فيحصل ذلك القصد والنتيجة .

هذا هو إذن الله ، أي السُّنة الحتميّة والناموس الذي وضعه بحيث يظهر الأثر تبعاً له ؛ وهذه هي حقيقة تجلّي الله وظهوره وإذنه . فقدكانت في هذا المذياع بحيث إنّ الأسباب والشرائط يجب أن تنظّم بحيث تُبدّل الموجة إلى صوت ، فيمنحُنا صوتاً مسموعاً من جنس الملفوظ .

فهذا الصوت ـ إذاً ـ هو صوت الله . وليس معنى ذلك أنّه قد جاء بصوت الله من مكان آخر فمنحنا إيّاه في الخارج ، بل إنّ نفس هذا الصوت هو صوت الله وظهور الله ، وقد ظهر بهذه الوسيلة وبهذه الكيفيّة في هذه الآلة .

لقدكان موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام يسير في عمق الصحراء . في ذلك الليل البهيم المدلهم ، وفي الجوّ البارد القارس ، يطلب ناراً لزوجته التي جاءها المخاض وانتابتها آلام الطلق ، وحيداً فريداً لا معين له ولا ناصر ، بلا طعام ولا دواء ، ولا ماء ولا نار ، يسير حائراً هنا وهناك ، قد انقطعت عنه جميع الأسباب ، فحصلت له حالة الاضطرار والالتجاء الحقيقيّ لذا فقد تجلّى نور الله في الشجرة ، فصدر منها نداء : **يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ** .[1]

١ـ وردت الآيات القرآنيّة في كلام الشجرة بـ «إنّي أنا الله» في ثلاث سور : ⇦

يقول البعض : إنّ الله قد خلق نوراً في تلك الشجرة وأوجد صوتاً : إِنِّيَ أَنَا ٱللَّهُ . فماذا يعني ذلك ؟ أكان ذلك الصوت صوتاً مسموعاً ملفوظاً ؟وأين أوجد ؟ إنّ الشجرة لن يتحقّق فيها إِنِّيَ أَنَا ٱللَّهُ بمجرّد إيجاد صوت فيها من : إِنِّيَ أَنَا ٱللَّهُ . فلمن ـ يا ترى ـ يعود الضمير في «إِنِّى» ؟ وكيف يمكن قبول هذا الكلام ؟

تقول الشجرة : إِنِّيَ أَنَا ٱللَّهُ . وصوت الله يأتي منها لا من شجرة أُخرى ، قد ستر نفسه خلف الستار وأوجد الكلام في الشجرة مجازاً . لقد كانت هذه الشجرة تجلّي الله . أفكانت مأمورةً للّه أم لا ؟ أكانت مأذونةً من قبل الله أم لا ؟

إنّ جميع وجود الشجرة ، ظاهرها وسرّها ، جذورها وأوراقها ، وجميع ذرّات وجودها وقطرات الماء المتحرّك داخلها هو بأجمعه في قبضة الله وفي قدرته وعلمه ، وكان ظهوراً للّه وتجلٍّ له .كما أنّ الله سبحانه حقّاً

⇦ الأُولى : السورة : طه ، الآيات ٩ إلى ١٤ : وَهَلْ أَتَنٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ * إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ * إِنِّىٓ أَنَا رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ * إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ .

الثانية : السورة ٢٧ : النمل ، الآيات ٧ إلى ٩ : إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .

والثالثة في السورة ٢٨ : القصص ، الآيتان ٢٩ و ٣٠ :

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ .

وحقيقةً أقرب إلى هذه الشجرة من كلّ ذرّة فيها ؛ الله أوّلاً ثمّ هذه الشجرة : الله مع هذه الشجرة وقبل هذه الشجرة وبعدها . كلّ ذرّة من هذه الشجرة قائمة بالله أوّلاً ثمّ بنفسها ، بل قُل إنّها قائمة بالله أوّلاً وبالله آخراً . فهذه الشجرة هي بنفسها آية للّه ومُظهرة له ، فهي تُشير : **إِنِّيَ أَنَا ٱللَّهُ**.

وما أجمل قول الحكيم السبزواريّ :

شورش عشق تو در هيچ سرى نيست كه نيست

منظر روى تو زيب نظرى نيست كه نيست

چشم ما ديدهٔ خفّاش بود ورنه ترا

پرتو حسن به ديوار و درى نيست كه نيست

موسئى نيست كه دعوىّ أنا الحقّ شنود

ورنه اين رمرمه در هر شجرى نيست كه نيست[1]

وما أروع إنشاد العارف الشبستريّ :

روا باشد أنا الله از درختى ... چرا نبود روا از نيكبختى[2]

كما استهشد السبزواريّ بهذين البيتين :

١ـ «لغت نامه دهخدا» مجلّد حرف السين ، ص ٢٣٧ .

يقول : «ليس من رأسٍ إلّا وفيه فتنة عشقك ، وليس من نظرٍ إلّا وطلعتُك زينتُه .

لقد كانت أعيننا أعين الخفّاش ، وإلّا فليس من جدار ولا باب إلّا وشعاع جمالك ساطع عليه .

ليس هناك من موسى ليسمع نداء أنا الحقّ ، وإلّا فليس من شجرة تخلو من هذه الزمزمة والترنّم !» .

٢ـ «گلشن راز» :

يقول : «لقد صحّ من الشجرة أن تقول أنا الله ، فلِمَ لا يصحّ ذلك ممّن حالفته السعادة ؟» .

غافل از خويش خدا مى‌طلبى اى غلط كرده كرا مى‌طلبى

مخزن گنج معانى دل تست مقصد هر دو جهان حاصل تست[١]

إنّ هنا في هذا المسجد حاليّاً آلاف الأمواج الصوتيّة قادمة من أطراف الدنيا وأكنافها ، إذ إنّ أجهزة البثّ منهمكة في البثّ . لكنّنا لا نسمع أيّاً منها ، وعلينا أن نجلب جهاز استلام وننظّم محوّلته مع طول تلك الموجة الخاصّة لتصبح مسموعة . فإن فعلنا ذلك سمعنا وإلّا فلا .

ومن ثَمّ فإنّنا لا نستطيع القول الآن بعدم وجود صوت في هذا المسجد . فهناك صوت فعلاً إلّا أنّنا لا نسمعه .

يقول الشاعر : ليس هناك من موسى ليسمع نداء الحقّ ، وإلاّ فإنّ هذا النداء موجود في كلّ شجرة ، بل في كلّ موجود . فليست في تلك الشجرة خصوصيّة معيّنة ، بل هي شجرة كسائر الأشجار ؛ وجميع أشجار العالم هي مركز تجلّي الله تعالى ومركز نور الحقّ وظهوره ، وآيات لأسماء الله وصفاته . غاية الأمر أنّ ذلك الذي يسمع يجب أن يكون موسى . وحين يصبح الإنسان موسى فإنّه سيسمع ذلك الصوت ، سواء من تلك الشجرة أم من شجرة أُخرى .

لقد تحقّقت في وجود موسى على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام ، بسبب الصفاء والطهارة والتزكية ، شرائطُ تحقّق تجلّيات نور التوحيد ، فشاهد توحيد الحقّ تعالى .

فانظروا إلى ما يقوله القرآن وإلى ما يبيّنه رسولنا من منظار الوحي :

١ـ «المنظومة» حاشية ص ٣٠١ ؛ طبعة ناصري .

يقول : «أيّها الغافل عن نفسه أتطلب الله ! لقد أخطأتَ فمن الذي تطلبه ؟

إنّ قلبك خزينة كنوز المعاني ، وثمرتك وحاصلك غاية العالمينِ معاً» .

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.[١]

فليست تلك الشجرة لوحدها ، بل إنّ جميع الأشجار وجميع الأحجار وجميع الأراضي هي بأجمعها لا إله إلّا الله .

وما أجمل تلك التهليلات المرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، والتي تقرأ في العشرة الأُولى من شهر ذي الحجّة الحرام :

١ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ اللَّيَالِي وَالدُّهُورِ .

٢ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ أَمْوَاجِ الْبُحُورِ .

٣ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ .

٣ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الشَّوْكِ وَالشَّجَرِ .

٤ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الشَّعْرِ وَالوَبَرِ .

٥ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الحَجَرِ وَالمَدَرِ .

٦ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ لَمْحِ العُيُونِ .

٨ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ .

٩ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الرِّيَاحِ فِي الْبَرَارِي وَالصُّخُورِ .

١٠ ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ .[٢]

إنّ كلّ وردة تنمو ، وكلّ ذرّة ، وكلّ حجر ، وكلّ حبّة رمل تذروها الريح في الفضاء هي لا إله إلّا الله وآية لذاته واسمه وصفته تعالى ، غاية

١ـ الآية ٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٢ـ روى هذه التهليلات عن أمير المؤمنين عليه السلام ، السيّد ابن طاووس في «الإقبال» ص ٣٢٤ ، بسنده عن أبي جعفر بن بابويه ، عن كتاب ابن اشناس وغيره ، بأنّها تُقرأ في العشرة الأُولى لشهر ذي الحجّة الحرام ، ونقل في فضلها ثواباً عجيباً . كما ذكرها المرحوم المجلسيّ في «زاد المعاد» ص ١٩٧ و ١٩٨ ، عن الشيخ الطوسيّ وابن بابويه والسيّد ابن طاووس ، وأورد ثواب قراءتها مفصّلاً .

الأمر أنّها آية في حدود سعتها وقابليّتها . فجميع العالم ـ إذاً ـ هو لا إله إلّا الله ، وهو عالم المُلك والملكوت .كما أنّ أوّل ذكرٍ نقوله هو لا إله إلّا الله ؛ نقول عند الإسلام : لا إله إلّا الله ،كما نقول عند الموت : لا إله إلّا الله . إلّا أنّ من المؤسف أنّ الإنسان لا يُدرك معنى هذا الذكر ، ولا يسعى إلى فهم تفسيره بالتأمّل والعناية ، ولا يُجريه على لسانه . أمّا حين يموت فتُحمل جنازته فإنّهم سينادون على جنازته بنداء لا إله إلّا الله .

أي : أيّها المسكين ! أفهمتَ الآن أن لا إله إلّا الله ؟ أفهمتَ أنّ ليس غير الله من معبود ؟ وأن ليس سواه من مؤثّر ؟

مهما قيل لك في حياتك : لا إله إلّا الله ، فإنّك لم تدرك ولم تفهم ولم تتخطّ الاستكبار والتشخّص خارجاً،ولم تضع قدمك على جادّة العبوديّة. نزوعاً [١] إلى الاستقلال والربوبيّة ! وها قد صار مسلّماً لك وجليّاً أن لا إله إلّا الله .

إنّ من المستحبّ أن يسلّم الإنسان إذا ورد المقبرة ، على من ؟ على أهل لا إله إلّا الله ، على أُولئك الذين صاروا من زمرة لا إله إلّا الله ومن أهل التوحيد ، أُولئك الذين أسلمواكلّ ما لديهم عند ظهور جلالة وعظمة الحضرة الأحديّة بقبض الروح ، والذين خرجوا من التفرعن وعبادة الشخصيّة ، وأقرّوا واعترفوا ـ طوعاً أوكرهاً ـ بوحدانية ذات الحقّ تعالى ، فرقدوا في هذه المقبرة سواسية لا تفاوت بينهم ، الرجل والمرأة ، الشيخ والشابّ ، الصغير والكبير ، العالم والعامّيّ ، الغنيّ والفقير ، الرئيس والمرؤوس ، صاحب الشهرة والخامل الذكر ؛ تصافوا جميعاً فلا خصام ولا حرب ، ولا استكبار ولا فخر ؛ رقدوا جميعاً في مصاف بعضهم ، قد ملأ فضاء المقبرة سكوتٌ مطبق محض له دلالة على لا إله إلّا الله .

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه : إذا وردت المقبرة فقل :

١ ـ نزوعاً : اشتياقاً إلى الوطن الأصلي . (المنجد) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ يَا أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! كَيْفَ وَجَدْتُمْ قَولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟

يَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بَحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! اغْفِرْ لِمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللهِ .[1]

يقول شيخ ذو ضمير مُضاء لا يزال على قيد الحياة فعلاً : سنحت لي حال طيّبة حسنة في شهر رمضان ، فشاهدتُ في إحدى الليالي نور التوحيد في جميع الموجودات ، فقد كان كلّ شيء لا إله إلّا الله ؛ ثمّ رأيتُ في تلك الحال قطّة تقفز من جدار إلى آخر ، فكانت القطّة لا إله إلّا الله ، وكانت قفزتها لا إله إلّا الله .

وما أبدع ما أنشد العارف الربّانيّ الفيض الكاشانيّ :

سكـينهٔ دل و جـان لا إله إلّا الله
نـتيجهٔ دو جـهان لَا إِلَهَ إِلَّا اللَه

ز شوق دوست به بانگ بلند مى‌گويند
همه زمـين و زمـان لَا إِلَهَ إِلَّا اللَه

تـو گـوش بـاش تـا بشـنوى ز هـر ذرّه
چـو آفـتاب عـيان لَا إِلَهَ إِلَّا اللَه[2]

١ـ أورد المجلسيّ هذا الدعاء في «بحار الأنوار» ج ٢٢ ، ص ٣٠٢ .

٢ـ «ديوان فيض» تصحيح پيمان ، ص ٣٧٢ .

يقول : «سكينة القلب والروح لا إله إلّا الله ؛ وثمرة العالمين . لَا إله إلّا الله .

ينادي الأرض والزمان جميعاً نداءً عالياً من شوقهما للحبيب أن : لَا إله إلّا الله .

فكُنْ أُذناً صاغيةً لتسمع من كلّ ذرّة عياناً كالشمس : لا إله إلّا الله» .

به گلستان گذری کن به برگ گـل بـنگر
ز رنگ و بـــوی بـــخوان لَا إلَـــهَ إلَّا اللَـه

به برّ و بحر گذر کن به خشک و تر بنگر
شـــــنو ز ایـــــن و زآن لَا إلَــهَ إلَّا اللَــه

بکَن تو پنبهٔ غفلت ز گـوش پس بشـنو
ز نـــطق خُـــرد و کـــلان لَا إلَـــهَ إلَّا اللَـه

سحر ز هاتف غیبم نـدا بـه گـوش آمـد
کـــــه أیّـــــها الثـــقلان لَا إلَـــهَ إلَّا اللَــه

به گـفتن دل جـان فـیض اقـتصار مکـن
بگـــو بـــه نـــطق زبـــان لَا إلَـــهَ إلَّا اللَـه[1]

١ـ يقول : «وإن مررتَ بالبستان فانظر إلى أوراق الورد واقرأ من لونها وعبيرها : لا إله إلّا الله .

واعبر البرّ والبحر ، وانظر الرطب واليابس ، واسمع من ذا وذاك : لا إله إلّا الله .

واترك تغافلك واستمع من نطق الصغير والكبير : لا إله إلّا الله .

طرق سمعي نداء هاتف الغيب سَحَراً أن : أيّها الثقلان ، لا إله إلّا الله .

فيا فيض لا تقتصر على نطق القلب والروح وقل بلسانك : لا إله إلّا الله» .

فيض : اسم الشاعر ، وهو الفيض القاسانيّ .

المجلس السادس والثلاثون

هطول أمطار الحياة لإحياء الموتى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ .[1]

يروي الشيخ الصدوق في كتابه «الأمالي» عن أحمد بن زياد الهمداني رحمة الله عليه ، قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، قال : **إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ الخَلْقَ أَمْطَرَ السَّمَاء عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فَاجْتَمَعتِ الأَوْصَالُ وَنَبَتَتِ اللُّحُومُ.**[2]

وينقل المجلسيّ هذه الرواية في «بحار الأنوار» عن تفسير عليّ بن إبراهيم ، وفي تتمّتها يقول الإمام الصادق عليه السلام :

أتى جبرائيلُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله فأخذه فأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصوّتَ بصاحبه فقال : قُم بإذن الله !

١ـ الآيتان ٦٠ و ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢ـ «أمالي الصدوق» ، ص ١٠٧ .

فخرج منه رجلٌ أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول : **الحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ** . فقال جبرائيل : عُدْ بإذن الله .

ثمّ انتهى به إلى قبر آخر فقال : قُم بإذن اللهِ ! فخرج منه رجل مسودّ الوجه وهو يقول : **يَا حَسْرَتَاهُ ! يَا ثُبُورَاهُ !**

ثمّ قال له جبرائيل : عُد إلى ماكنت بإذن الله . فقال : يا محمّد ! هكذا يُحشرن يوم القيامة ، والمؤمنون يقولون هذا القول ، وهؤلاء يقولون ما ترى ؟ [1]

وتشعر بعض آيات القرآن بأنّ الله تعالى حين يريد إحياء الموتى فإنّه يُرسل المطر من السماء فيكتسب الموتى بذلك حياة جديدة :

وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ. [2]

وبالطبع فليس معنى هذه الآية الشريفة والحديثينِ السابقينِ أنّ المطر الذي يهطل من السماء فيُبعث الموتى بسببه هو هذا المطر الذي نشاهده ، والذي تخضرّ الأرض بواسطته وتزهو ، بل إنّه من باب التمثيل . أي كما أنّ هذا المطر يهطل من السماء فيحيي الأرض التي لو رآها في همودها وذبولها وبرودتها،من لم يسبق له علم بطراوة الأشجار وتساقط الشلالات واخضرار البساتين وينعها ، لما صدّق ولما تصوّر أنّها ستحيا من جديد ، وأنّ هذه الأشجار القديمة التي بدت كقطع الحطب المقتطع الملقى في

١ـ «بحار الأنوار» ج ٧ ، ص ٣٩ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ الآيات ٥ إلى ٧ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

الصحراء ، عارية بلا أثر ولا خاصّيّة ، ستخضرّ من جديد وتقدّم لأفراد البشر عالماً من البهجة والأثر والحركة والخاصّيّة . لكنّنا نرى أنّ الله يُرسل المطر من السماء فيوجب الحياة وينفخ روحاً جديدة في شرايين الأرض . فكذلك هناك مطر يسبّب بعث الموتى ، هذا في مجاله وذاك في مجاله .

ولقد جعل الخالق العظيم الشأن هذا الأثر في هذا المطر فصار يُحيي الأرض ،كما جعل الله رفيع الدرجات ذلك الأثر في ذلك المطر فصار يمنح الحياة للموتى ، وحين يصل إلى عظامهم وأعضائهم وأوصالهم المختلطة ببعضها ، فإنّه سيُحيها جميعاً فيدفع بها في عالم الحياة الجديدة .

هناك في هذا المطر ذلك الاسم للخالق الذي يؤثّر بواسطته في حياة الأرض الميّتة : **مُحيي الأرض بعد موتها** ؛كما أنّه في ذلك المطر اسماً آخر للّه تعالى تُبعث بواسطته أبدانُ الموتى وأجسادهم المبدّدة المشتّتة فتبدأ حياتها من جديد ، وهو اسم : **مُحْيِي الأَمْوَاتِ بَعْدَ مَوْتِهَا** ، **وبَاعِثُ المَوْتَى بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي القُبُورِ.**

ذلك المطر نوع من إفاضة الرحمة من جانب الله تعالى ، وله تأثير وميزة نتيجتها جمع ذرّات أجساد الناس ووصل العظام وإكساؤها لحماً ، وإحياؤها لتحضر في المحشر . وهذا العمل كمثل خلق سائر الموجودات ونشأة باقي الممكنات ، فليس بينهما أيّ اختلاف أو تفاوت ، ولا يجب أن يُنظر إليه كعمل عجيب مُدهش .

وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَـٰئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[1]

١ـ الآية ٥ ، من السورة ١٣ : الرعد .

قال الشيخ الطبرسيّ في تفسير «مجمع البيان» في تفسير هذه الآيات : (وَ إِن تَعْجَب) يا محمّد من قول هؤلاء الكفّار في إنكارهم البعث مع إقرارهم بابتداء خلق الخلق . فقد وضعت التعجّب موضعه . لأنّ هذا قولٌ عجب ومعناه عجب للمخلوقين . فإنّ معنى العجب في صفات الله لا يجوز . لأنّ العجب أن يشتبه عليه سرّ أمره فيستطرفه (فَعَجَبٌ قَوْلُهُم) أي فقولهم عجب (أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) أي أَنُبعثُ ونُعاد بعدما صرنا تراباً . هذا ممّا لا يمكن ! وهذا منهم ، فإنّ الماء إذا حصل في الرحم استحال علقة ثمّ مضغة ثمّ لحماً ، فإذا مات ودُفن استحال تراباً ؛ فإذا جاز أن يتعلّق الإنشاء بالاستحالة الأُولى ، فَلِمَ لا يجوز تعلّقة بالاستحالة الثانية ؟ وسمّى الله تعالى الإعادة خلقاً جديداً . واختلف المتكلّمون فيما يصحّ عليه الإعادة ، فقال بعضهم :كلّ ما يكون مقدوراً للقديم سبحانه خاصّةً ويصحّ عليه البقاء يصحّ عليه الإعادة ، ولا يصحّ الإعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى . وهذا قول أبي عليّ الجبائيّ .

وقال آخرون :كلّما كان مقدوراً له وهو ممّا يبقى يصحّ عليه الإعادة ؛ وهو قول أبي هاشم ومن تابعه ، فعلى هذا يصحّ إعادة أجزاء الحياة .

ثمّ اختلفوا فيما يجب إعادته من الحيّ ، فقال أبو القسم البلخيّ : يعاد جميع أجزاء الشخص . وقال أبو هاشم (الجبائيّ) : يعاد الأجزاء التي تميّز الحيّ من غيره ويعاد التأليف ثمّ رجع عن ذلك وقال : تعاد الحياة مع البنية . وقال القاضي أبو الحسن : تعاد البنية وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل . ثمّ قال المرحوم الطبرسيّ رحمة الله عليه : وهذا هو الأصحّ .[1]

١ـ «مجمع البيان» ج ٣ ، ص ٢٧٧ و ٢٧٨ ، الطبعة ذات المجلّدات الخمسة ، مطبعة ⇦

وروى أحمد بن محمّد أبو عبد الله البرقيّ في كتاب «المحاسن» عن أبان ، عن عبد الرحمن بن سيّابه ، عن أبي نعمان ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال :

العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ لِلشَّاكِّ فِي قُدْرَةِ اللهِ ، وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللهِ .

وَالعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ بِالنَّشَأَةِ الأُخْرَى ، وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأُولَى .

وَالعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الخُلُودِ ، وَهُوَ يَعْمَلُ لِدَارِ الغُرُورِ .

وَالعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ لِلْمُخْتَالِ الفَخُورِ الَّذِي خُلِقَ مِن نُطْفَةٍ ، ثُمَّ يَصِيرُ جِيفَةً ؛ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَصْنَعُ ! [1]

كما أنّه يروي نظير هذه الرواية باختلاف يسير في اللفظ عن عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن الإمام السجّاد عليه السلام بزيادة فقرة أُخرى ، وهي قوله عليه السلام :

وَالعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ لِمَنْ أَنْكَرَ المَوْتَ وَهُوَ يَرَى مَنْ يَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ ! [2]

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ؛ وسيدرككم هذا الموت ، لأنّه يستتبع كمالكم . **عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ** ؛ إذ يجب أن نبدّلكم ونغيّركم ، فلا نبقيكم في درجة واحدة ، بل نأخذكم من صفّ دراسيّ إلى آخر ، والموت هو عبوركم وسبب تكاملكم . ولو شئنا إبقاءكم في الدنيا دوماً ، لأوجب ذلك فسادكم ولبعث على توقّفكم واضمحلالكم . فنحن

⇦ العرفان ـ صيدا.

١ و ٢ـ «محاسن البرقيّ» ج ١ ، ص ٢٤٢ .

ـ إذاً ـ نبدّلكم ونبدّل الرداء الذي ترتدونه ونسوقكم للأمام حتّى نوصلكم إلى حيث : **وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ** ؛ إلى حيث لا تعلمون أصلاً ما الذي سيحدث ، ونبدّلكم في تلك الخلقة . وهنا أسرار جمّة ، إلّا أنّ الإنسان الغافل يتخيّل أنّ الموت يعني الفناء والانعدام ، لأنّه يتصوّر أنّ وجوده ليس إلّا هذا البدن ، وأنّ جميع مراتب وجوده منحصرة في البدن ، هذا البدن الذي يُدفن تحت الأرض فيصبح رميماً ، فليس هناك ـ إذاً ـ من خبر ! لكنّ الأمر ليس كذلك ، إذ إنّ الإنسان يعود إلى الله تعالى ، ومعاده يحصل بجميع أرجاء وجوده ، فهو يعود بروحه ويعود ببدنه أيضاً .

ومن ثَمَّ ، وكما أنّ روح الإنسان تعود إلى الله سبحانه ، فإنّ بدنه يعود هو الآخر ، ويجب ألّا يعجب الإنسان من كيفيّة إحياء الله الموتى ، فهذا الأمر ـ كما ذكرنا سابقاً ـ ناشئ من التوهّم الباطل . ويتلخّص إشكال الطبيعيّين من الزمان السابق إلى يومنا هذا في جملة واحدة وهي مجرّد الاستبعاد . **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**.[1]

لقد ذهب ذلك الأعرابيّ وسط المقبرة ، فتناول عظماً بالياً وجاء به عند رسول الله ، ثمّ فتّه بيده ونثره على الأرض أمام رسول الله وقال :

يا محمّد ! أتزعم أنّ الله يبعث هذا ؟!

لكنّ هذا الرجل المسكين **نَسِيَ خَلْقَهُ** . هذا الإنسان الذي يهزأ بنا ، فيُلقي برميم العظام على الأرض ويعجب من تقدير قدرتنا ، أن كيف في قدرتنا مثل هذه القوّة التي يمكننا بها إحياء ذلك العظم ، لكنّه نسي نفسه .

من أيّ شيء كان ؟ وأيّ مراحل طواها حتّى صار إنساناً ؟ وما كانت

---

١ ـ الآيتان ٧٨ و ٧٩ ، من السورة ٣٦ : يس .

خلقته الأُولى ؟ لو أنّه نظر في خلقته الأُولى لغرق في الحيرة والتفكّر ولما سمح له وجدانه أن يفعل ما فعل .

قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

فقل أيّها النبيّ إنّ الذي يُحيي هذه العظام هو الذي أوجدها في الوهلة الأُولى ، ذلك القادر المتعال الذي جاء بهذه العظام من العدم إلى الوجود ، وخلع عليها رداء الوجود ، ذلك الله هو الذي يُحييها ثانياً . لماذا ؟ لأنّه :

وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.

فليس علم الله محدوداً بحدّ معيّن ، وليس منبعثاً من سبب خاصّ ، بحيث إنّنا لو منعنا ذلك السبب لماكان هناك من سبيل لعلم الله وقدرته بعدُ .

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ.[1]

فما العلاقة بين الماء والاخضرار مع النار ؟ ما علّة اخضرار الأشجار ؟ الماء هو العلّة ، فإن لم يصلها الماء جفّت ويبست ، ومع ذلك فإنّنا نرى أنّ هذه الشجرة الخضراء هي مصدر النار .

أو أن نقول إنّ بعض الأشجار تعمل كالشرارة وكمثل حجر الزناد ، بحيث تبعث النار حين تُقدح ببعضها . وهناك شجرتان تُدعيان بـ **(المَرْخ والعِفَار)** من خصائصهما إيجاد النار حين تُقدح أوراقها ببعضها كمثل حجر الزناد . لذا فإنّ وجود هذه الأشجار في الغابة من دواعي خطر الحريق ؛ إذ بمجرّد هبوب الريح فإنّ أوراقها تحتك ببعضها فتسبب انقداح النار كما يفعل الزناد . ولأنّ هذه الأشجار تشتعل فإنّها تسبّب احتراق جميع الغابة التي تجاوزها .

ذلكم الله الذي خلق لكم من الشجر الأخضر ناراً ، **فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ**

١ـ الآية ٨٠ ، من السورة ٣٦ : يٰس .

تُوقِدُونَ. لقد كانت البيوت تخلو في السابق من النفط والبنزين والكبريت فكانوا يستفيدون من حجر الزناد للحصول على النار ، فيقدحون قطعتين منه ببعضهما فتنبعث شرارة يشعلون بها فتيلة ، ثمّ يشعلون بالفتيلة ما يشاؤون ، ويشعلون الحطب فيطبخون الطعام . أو أنّهم كانوا يأخذون خشب المرخ والعفار إلى بيوتهم ، فإن شاؤوا إشعال نار قدحوا قطعتين من ذلك الخشب ببعضهما ، فيشتعل كالكبريت **فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ**.

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ.[1]

تأمّلوا كم يكون الإنسان بعيداً عن الإنصاف ، حين يرى خلق السماوات والأرض ، وهذه الصناعات البديعة ، وهذه الحركات والدورانات ، وهذه التغيّرات والتبدّلات ، وهذا النظام العجيب المحيّر المدهش ولا يعجب ، ثمّ يعجب لمجرّد إحياء الموتى فيُنكر قدرة الله تعالى !

يقول الله تعالى على الفور وبلا فصل : **بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ** ؛ إنّ الذي خلق السماوات والأرض لقادر على أن يخلق مثل الإنسان . بلى هو قادر أن يخلق ؛ فليس هو خالقاً فقط ، بل وخلّاقاً أيضاً ، أي أُستاذ الخلقة والمتمكّن المهيمن في الخلق والقدرة دون حصر ولا حدّ ولا قياس . قدرته في الخلق عجيبة ، وعمله محيّر مدهش كذلك ، وكلاهما دون حدّ ولا نهاية .

إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ.[2]

فهو ليس محتاجاً إلى زمان ومكان وقوّة واستعداد ومادّة وتدرّج

١ـ الآية ٨١، من السورة ٣٦ : يس .

٢ـ الآية ٨٢، من السورة ٣٦ : يس .

وإعداد وشرط وغير ذلك .

إنّ خلق الطفل في بطن الأُمّ يستغرق تسعة أشهر ، وذلك لأنّ إرادة الله تعلّقت بأن يتحقّق ذلك الأمر «كُن» بهذه الكيفيّة . أي بأن يقول للنطفة أوّلًا :كن ! ثمّ يقول :كن ! ثمّ يقول :كن ! وهكذا يصدر من ذاته المقدّسة أوامر متعدّدة كلّ لحظة ، فتحصل إثر تلك الأوامر تغييرات في تلك النطفة ، حتّى يستغرق الأمر تسعة أشهر .

على أنّ الله تعالى يمكنه أن يخلق البشر بلفظ «كن» واحد ؛ أفلم تُخلق ناقة النبيّ صالح بكلمة «كن» واحدة ؟ أو لم يتمخّض الجبل عن الناقة ؟ أجل ؟ لقد انفتحت بطن الجبل فخرجت منها ناقة كاملة تامّة .

أوَ لم يُخلق النبيّ عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام بكلمة «كن» واحدة دون أن يكون له أب ؟ أَو لم يُخلق آدم أبو البشر وحوّاء أُمّ البشر بكلمة «كن» واحدة ؟

وإجمالاً ، فإنّ أمر الله ليس زمانيّاً ، بل هو زمانيّ حسب نظرنا نحن الواقعين في دائرة حركة التدرّج والزمان ، أمّا تبعاً للواقع في ذلك العالم الربوبيّ ، فليس هناك من معنىً للزمان ، وكلمة «كن» هي نفسها كلمة «يكون» ، أي عين التحقّق الخارجيّ ، وعين عالم التكوين ، ونفس المشيئة العينيّة والخارجيّة للخالق لا منفصلة عنها .

فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[1]

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ

١ـ الآية ٨٣ ، من السورة ٣٦ : يٰس .

مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَـٰسِرِينَ.[1]

قيل إنّ الآية نزلت في **عبد الرحمن بن أبي بكر**، قال له أبواه ليُسلم وألحّا عليه، فقال: أحيوا لي **عبد الله بن جدعان** ومشايخ قريش حتّى أسألهم عمّا تقولون، عن ابن عبّاس وأبي العالية والسدّيّ ومجاهد.

وقيل الآية عامّة في كلّ كافر عاقّ لوالديه، عن الحسن وقتادة والزجّاج، قالوا: ويدلّ عليه أنّه قال عقيبها **أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ**.[2]

وقال العلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه السامي في البحث الروائيّ:

وفي «الدرّ المنثور» أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عبد الله قال: إنّي لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إنّ الله قد أرى أمير المؤمنين (معاوية) في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: أهرقليّة؟ إنّ أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية إلّا رحمة وكرامة لولده.

فقال مروان: ألستَ الذي قال لوالديه **أُفٍّ لَّكُمَا**؟

فقال عبد الرحمن: ألستَ ابن اللعين الذي لعن أباك رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؟

قال: وسمعتها عائشة فقالت: يا مروان! أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟ كذبتَ واللهِ ما فيه نزلت. نزلت في فلان بن فلان.

وفيه (أيّ في «الدرّ المنثور») أخرج ابن جرير عن ابن عبّاس في **ٱلَّذِى**

١ـ الآيتان ١٧ و ١٨، من السورة ٤٦: الأحقاف.

٢ـ «مجمع البيان» ج ٥، ص ٨٧، طبعة صيدا.

قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ـ الآية ـ قال : هذا ابنٌ لأبي بكر .

ثمّ يقول العلامة الطباطبائيّ : وروي ذلك أيضاً عن قتادة والسدّيّ . وقصّة رواية مروان وتكذيب عائشة له مشهورة . قال في «روح المعاني» بعد ردّ رواية مروان : ووافق بعضهم كالسهيلي في «الأعلام» مروان في زعم نزولها في عبد الرحمن ، وعلى تسليم ذلك لا معنى للتعيير ، لا سيّما من مروان ، فإنّ الرجل أسلم وكان من أفاضل الصحابة وأبطالهم ، وكان له في الإسلام عناء يوم اليمامة وغيره ، **وَالإسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ** ، فالكافر إذا أسلم لا ينبغي أن يعيّر بما كان يقول انتهى ـ كلام «روح المعاني» ـ

وقد أشكل العلامة الطباطبائيّ على هذا القول بقوله :

وفيه أنّ الروايات لو صحّت ، لم يكن مناص عن صريح شهادة الآية عليه بقوله : **أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ** ـ إلى قوله ـ **إِنَّهُمْ كَانُوا خَـٰسِرِينَ** ، ولم ينفع شيء ممّا دافع عنه به .[1]

وقد أنكر البعض المعاد فقالوا : ليس لنا من معاد .

مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ.[2]

ليس هناك إلّا الأكل والشرب والنوم وإطفاء الشهوة ، وليس هناك إلّا المعيشة الحيوانيّة البهيميّة ، ثمّ يموت الإنسان بعدها فيُهلكه الدهر ، فليس من سرّ ولا حقيقة وراء ذلك .

ويقول الله سبحانه : **إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ .**

ويقول البعض : إنّ لنا معاداً ، لكنّه معاد روحانيّ لا جسمانيّ . فللإنسان عقل ونفس هما من المجرّدات ، وإنّ هذه النفس المجرّدة تتحرّك

١ـ «تفسير الميزان» ، ج ١٨ ، ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

٢ـ النصف الأوّل من الآية ٢٤ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

إلى مبدئها ،كما يُدفن البدن تحت الأرض فيتخذ لنفسه صوراً متبدّله ومتغيّرة في القبر ، ومن ثَمّ فإنّ المعاد روحانيّ فقط .

ويقول البعض : إنّ المعاد جسمانيّ فقط وليس روحانيّاً أبداً ، فما يعود إلى الله تعالى هو البدن واللذّات البدنية ،كالأكل وإطفاء الشهوة والتفرّج وأمثال ذلك . أمّا تلك الكمالات العقلانيّة والفناء في أسماء الحيّ القيّوم ذي الجلال وصفاته وذاته فقد أنكروها ،كما تجاهلوا تلك الأرزاق والأغذية العقليّة المختصّة بالروح ، والتي تفوق وتفضل هذه الأغذية الجسميّة بمئات الآلاف من المرّات .

كما يقول البعض الآخر : إنّنا نمتلك كلا المعادينِ ، فالروح لها معاد ، والبدن له معاد .

يقول المرحوم الفيلسوف الشهير الحاجّ الملّا هادي السبزواريّ رضوان الله عليه :

مَنْ قَصَّرَ المَعَادَ فِي الرُّوحَانِيّ قَصَّرَ كَالحَاصِرِ فِي الجِسْمَانِيّ

وَجَامِعٌ بَيْنَهُمَا جا فَائِزَا وَقَصَباتِ السَّبْقِ كَانَ حَائِزَا[1]

والدليل الذي أقامته تلك الطائفة من الفلاسفة والحكماء على أنّ المعاد روحانيّ فقط لا جسمانيّ هو أنّ حقيقة الإنسان بالعقل وبالنفس ، وهما مجرّدان . وحين جمع الله تبارك وتعالى بين النفس والعقل من جهة والبدن من جهة أُخرى ، فإنّهما اجتمعا سويّاً وتصافيا وتآلفا مثل روح الإنسان وبدنه ، فهبطت الروح وحلّت في قالب البدن ، أشبه بطائر الورقاء ذات التعزّز والتمنّع .

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ

١ـ «المنظومة السبزواريّة» بحث المعاد ، ص ٣٣٥ ، طبعة ناصري .

ولقد هبط طائر القدس الساكن في السدرة ، المتعالي الدرجات ، رفيع المنزلة ، من المحلّ الأرفع إلى البدن ، فحلّ في قالب البدن وعاش فيه مدّة ، ثمّ إنّ عليه التحليق والعودة إلى محلّه الأوّل ، إذ سيُفتح له باب القفص فيطير ذلك الطائر ويرحل ، ويسقط القفص جنب المنزل .

لقد أرسل الله الروح إلى البدن لتسعى إلى كمالاتها بواسطة هذا البدن المسخّر لها ، وبعد الحصول على الكمالات فإنّ الافتراق يحلّ بينها وبين البدن ، فتعود الروح إلى محلّها ، ويحلّ بدن الإنسان في أعماق التراب الذي كان أصله منه ، فيتبدّل تدريجيّاً إلى التراب . أمّا الروح فإنّ محلّها ـ باعتبارها مجرّدة وملكوتيّة ـ سيكون عالم التجرّد والملكوت . فما يمكن تصوّره من المعاد ، أي الرجوع والعودة إلى الله ، هو معاد الروح لا معاد البدن .

كان هذا هو حصيلة استدلالهم ، وقد أوردوا دليلاً على عدم معاد الجسم بأنّ الروح مجرّدة ، وأنّ غذاءها الأغذية العقلانيّة التي تتناولها عند ربّها . وبأنّ البدن يتبدّل تحت الأرض إلى صورة أُخرى ، وليس لدينا شيء آخر غير الروح والبدن .

ولو قيل لهم إنّ الإنسان يمتلك قوّة خيال وعالم مثال ، لأجابوا بأن قوّة الخيال والمثال هي نفس إحساسات الإنسان وعواطفه ؛ فالذهن يلتذّ بالتفرّج على الصور الجميلة ، كما يصيبه الأذى والألم من مواجهة المزعجات ، وهي أُمور قائمة بأجمعها بالبدن ، فإن كان البدن موجوداً ، وُجدت هذه الصورة والخيال ، أمّا لو انعدم فأين ستكون الصورة والمثال يا ترى ؟

ومن باب المثال ، فإذا ماشاء الإنسان أن يرسم صورة على الجدار ، فإنّ هذا مبتنٍ على كون الجدار حجريّاً صلباً ليرسم عليه الصورة ؛ بَيدَ أنّ

الإنسان لا يمكنه أن يرسم صورةً على الهواء ، ولا على الماء .

وهكذا فإن وُجد البدن ، وُجدت فيه القوى المتخيّلة والمفكّرة والإحساسات والعواطف وغيرها ، وإن زال البدن زالت تبعاً له قوّة الخيال والحسّ المشترك . وحين يزول البدن فإنّنا لن نستطيع بعدُ أن نتصوّر عالِماً يقف على قدميه يلتذّ بتلك الصور المُبهجة ، أو يتأذّى ويتعذّب من تلك الصور القبيحة المُنكَرة .

ومجمل الأمر أنّ كيفيّة استدلالهم كانت بأنّ جهنّم والجنّة قائمتان بواسطة تصوّرات الذهن ، والذهن متوقّف على وجود البدن وقائم به ، فإن انعدم البدن انعدم الذهن .

وأجاب البعض بأنّ الله تعالى حين يُزيل البدن ، فإنّ من الممكن أن يخلق بدناً آخر فتقوم به تلك الصور والإحساسات .كما أجاب بعضُ المتكلّمين بأنّ الله تعالى يُعيد نفس البدن الذي أعدمه مع جميع تلك الشرائط ، وليس هذا بأمر ذي بال بالنسبة للّه تعالى ؛كما أجابوا بإجابات أُخرى جميعها مخدوشة ولا يمكن قبولها .

والإجابة الصحيحة هي أوّلاً : أنّ نفس الإنسان بالرغم من أنّها تذهب إلى عالمها تلقائيّاً فتبتهج هناك وتُسرّ ، إلّا أنّ النفس تمتلك بذاتها سمعاً وبصراً وإدراكاً . أي علاوة على القوّة المتخيّلة التي هي آلة مسخّرة للنفس ، وعلى القوى الذهنيّة التي هي آلة رقيّها وتكاملها ، فإنّ النفس بصيرة في ذاتها وعليمة وممتلكة لسائر صفات الكمال .

وعليه فإنّ النفس حين تذهب إلى عالمها ، فإنّها ستكون مبتهجة ومسرورة ومتمتّعة بتلك اللذّات بواسطة هذه القوى المعنويّة في ذاتها ، وهذا غير تمتّعها باللذّات العقلانيّة المختصّة بعالم الفناء .

وثانياً : فإنّ نفس قوّة الخيال وعالم المثال مجرّدة أُصولاً ، وأنّ قولهم

بأنّ البدن يجب أن يوجد حتماً لتقوم به قوّة خيال الإنسان وتصوّراته ، لا يعدو كونه كلاماً خطابيّاً . فقد ثبت بالأدلّة والبراهين الفلسفيّة أنّ قوّة الخيال مجرّدة ، وأنّ الإنسان يستطيع إثر التكامل والترقّي أن يخلع خياله من البدن ، وأنّ الإنسان موجود بالوجود الروحانيّ في عالم المثال والصورة الذي ينعدم فيه البدن . كما أنّ القوى المتخيّلة والمفكّرة ليست مجرّدة لوحدها . بل إنّ الحسّ المشترك والقوّة الحافظة وسائر قوى الإنسان النفسانيّة مجرّدة بأجمعها .

وتبعاً لأدلّة تجرّد قوّة الخيال هذه ، فقد أثبتوا عالم المثال ، وهو ذلك العالم الماثل بين عالم الدنيا وعالم القيامة . فعالم الدنيا عالم المادّة ، في حين أنّ عالم القيامة عالم المعنى والتجرّد المحض . أمّا عالم المثال فبين هذين العالمين ، فليس بمادّة لها ثقل ، ولا بمعنىً صرف ليكون خارجاً عن الصورة والتشكّل ، واللذّات والآلام الصوريّة .

وهكذا فإنّ عالم المثال ، هو عالمٌ بنفسه قائمٌ بذاته ، يقع بين هذا العالم وذلك العالم . إذ إنّ هناك عالم الصورة حيث لا مادّة ، إلّا أنّ آثار المادّة موجودة . هناك اللذّة وهناك العذاب والألم ، والبكاء والضحك ، والحرارة والبرودة ، والكميّة والكيفيّة .

وفي هذه الحال التي تكون فيها قوّة الخيال بسيطة ومجرّدة ، فإنّ الإنسان حين يكون حيّاً فإنّه سيكون حيّاً بالبدن ، أمّا حين يموت فيترك البدن ، فإنّ قوّة الخيال هذه لن تموت ، بل هي موجودة في عالمها وفي واقعيّتها وكينونيّتها . فإن قبلنا بهذا المطلب فإنّ المسألة ستكون قد حُلّت .

افرضوا أنّ البدن قد تلاشى ، لكنّ قوّة الخيال موجودة في نهاية الأمر ، موجودة تماماً بهذه اللذّات والآلام التي هي محمول لقوّة الخيال .

وبناء على ذلك ، فإنّ الإنسان موجود في عالم المثال بمجرّد موته ؛

يعيش دوماً ويبتهج بالصور الملائمة للنفس ، ويتعذّب بالصور المُنكرة الكريهة التي تشقُّ على النفس . والخلاصة فإنّ لنا مطلباً دقيقاً في **المعاد الجسمانيّ** مُبتنٍ على مقدّمات متينة ، سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وكان **الشيخ الرئيس ابن سينا** لا يقول بعالم البرزخ ، وكان يستدلّ بأنّ عالم البرزخ المجرّد لا معنى له ، وأنّ لدينا عالمينِ لا أكثر ، أحدهما عالم الطبع والمادّة ، والآخر عالم المعنى المجرّد .

وبالرغم من أنّه يُستفاد من بعض استدلالاته في «الشفاء» أنّه عدّ عالم الخيال مجرّداً ، وأنّنا إذا ما عددنا عالم الخيال مجرّداً ، فإنّ علينا أن نقول بعالم البرزخ حتماً ، لا مفرّ لنا من ذلك ولا حيلة .

إلّا أنّه علاوة على عدم تصريحه بوجود عالم البرزخ ، فإنّه كذلك قد صرّح بعدمه ، ومن ثمّ فإنّ إشكالاً سيعترضه في أمر المعاد الجسمانيّ ،[1] فهذه القوى والصور التي اكتسبها الإنسان لنفسه من الكمالات ، أو التي اكتسبها من الأعمال القبيحة ، يقع عالم صورتها في العذاب ، وهو أمر يجب وقوعه حتماً حين يكون البدن موجوداً ، لأنّ الصورة قائمة بالبدن وعديمة التجرّد . أمّا حين يفنى البدن فإنّ الصورة ستفنى تبعاً له ، وستذهب النفس المجرّدة فقط إلى عالمها وإلى موطنها ومحلّها ، فتغرق هناك في الملذّات العقلانيّة ، أو تبقى في العذاب لفقدان الكمالات العقلانيّة . لذا فليس هناك بعدُ من تصوّر للمعاد الجسمانيّ . ولذلك فإنّه يصرّح في «الشفاء» بأنّنا لا نمتلك دليلاً عقليّاً على المعاد الجسمانيّ ، ولا يمكننا إقامة الدليل عليه بالبُرهان ، إلّا أنّه مسلّم شرعاً لإخبار الرسول الصادق المصدَّق به .

يقول في «الشفاء» :

١ـ آخر إلهيّات «الشفاء» أوّل فصل المعاد .

يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المَعَادَ مِنْهُ مَا هُوَ مَنْقُولٌ فِي الشَّرْعِ ، وَلَا سَبِيلَ لِإثْبَاتِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَتَصْدِيقِ خَبَرِ النَّبِيّ ، وَهُوَ الَّذِي لِلْبَدَنِ عِنْدَ البَعْثِ وَخَيْرَاتِ البَدَنِ وَسُرُورِهِ ، مَعْلُومَةٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعَلُّمٍ.

وَقَدْ بَسَطَتِ الشَّرِيعَةُ الحَقَّةُ الَّتِي أَتَانَا بِهَا نَبِيُّنَا وَسَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَالَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ الَّتِي بِحَسَبِ البَدَنِ.

وَمِنْهُ مَا هُوَ مُدْرَكٌ بِالعَقْلِ وَالقِيَاسِ البُرْهَانِيِّ ، وَقَدْ صَدَّقَتْهُ النُّبُوَّةُ ، وَهُوَ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ الثَّابِتَتَانِ بِالقِيَاسِ ، اللَّتَانِ لِلأَنْفُسِ ، وَإِنْ كَانَتْ الأَوْهَامُ مِنَّا تَقْصُرُ عَنْ تَصَوُّرِهَا الآنَ لِمَا نُوضِحُ مِنَ العِلَلِ.[1]

وبناء على ما ذُكر فإنّ ابن سينا ليس من منكري المعاد الجسمانيّ ، بل إنّه أقرّ بثبوته عن طريق الشرع ،كما أنّه قبل بثبوت المعاد النفسانيّ من طريق البرهان والقياس وكذلك من طريق تصديق الشرع وأخبار النبوّة .

وتبعاً لذلك يقول المرحوم السبزواريّ : وأمّا الشيخ رئيس المشّائين فإنّه لم ينكر المعاد الجسمانيّ ، حاشاه عن ذلك ، إلّا أنّه لم يحقّقه بالبرهان كما يظهر لمن نظر في إلهيّات «الشفاء» .[2]

وأمّا بشأن المعاد النفسانيّ وسعادة النفوس وشقاوتها فقد بحث ذلك

١ـ يقول الملّا صدرا : ومنها (أي من جملة الموارد التي عجز ابن سينا عن إثباتها) أنّه لمّا لم يظفر بإثبات تجرّد القوّة الخياليّة للإنسان ، صار متحيّراً في بقاء النفوس الساذجة الإنسانيّة بعد البدن ، فاضطرّ تارةً إلى القول ببطلانها ، كما في بعض رسائله المسمّى بـ«المجالس السبعة» . على أنّه معترف بأنّ الجوهر غير الجرميّ لا يبطل ببطلان الجسد وتارةً إلى القول بأنّها باقية من جهة إدراكها ببعض الأوّليّات والعموميات .

تمّ يتصدّى الملّا صدرا بحزم للإجابة عليها («الأسفار» ج ٩ ، ص ١١٥ ، الطبعة الحروفيّة).

٢ـ «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٣٥ ، طبعة ناصري .

مفصلاً ، ثمّ إنّه يقول بعد بيان مقدّمة :

وَإِذْ تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الأُصُولُ ، فَيَجِبُ أَنْ نَنْصَرِفَ إِلَى الغَرَضِ الَّذِي نُؤمُّهُ فَنَقُولُ :إِنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ كَمَالُهَا الخَاصُّ بِهَا أَنْ تَصِيرَ عَالَماً عَقْلِيّاً مُرْتَسِماً فِيهَا صُوَرُ الكُلِّ ، وَالنِّظَامُ المَعْقُولُ فِي الكُلِّ ، وَالخَيْرُ الفَائِضُ فِي الكُلِّ ، مُبْتَدِيَةً مِنْ مَبْدَءِ الكُلِّ ، سَالِكَةً إِلَى الجَوَاهِرِ الشَّرِيفَةِ الرُّوحَانِيَّةِ المُطْلَقَةِ ، ثُمَّ الرُّوحَانِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ نَوْعاً مَا بِالأَبْدَانِ ، ثُمَّ الأَجْسَامِ العلوِيَّةِ بِهَيْأَتِهَا وَقِوَامِهَا ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَسْتَوْفِي فِي نَفْسِهَا هَيْئَةَ الوُجُودِ كُلِّهِ ، فَتَنْقَلِبَ عَالَماً مَعْقُولاً مُوَازِياً لِلْعَالَمِ المَوْجُودِ كُلِّهِ ، مُشَاهِدَةً لِمَا هُوَ الحُسْنُ المُطْلَقُ ، وَالخَيْرُ المُطْلَقُ وَالجَمَالُ الحَقُّ المُطْلَقُ ، وَمُتَّحِدَةً بِهِ وَمُنْتَقِشَةً بِمِثَالِهِ وَهَيْئَتِهِ ، وَمُنْخَرِطَةً فِي سِلْكِهِ ، وَصَايِرَةً مِنْ جَوْهَرِهِ.[1]

ثمّ يقول : فإذا قيسَ هذا بالكمالاتِ المعشوقة التي للقوى الأُخرى ، وجد في المرتبة التي بحيث يقبح معها أن يُقال إنّه أفضل وأتمّ منها .

بل لا نسبة لها إليه بوجه من الوجوه فضيلةً وتماماً وكثرة وسائر ما يتمّ به التذاذ المدركات ممّا ذكرنا .[2] ثمّ يتابع المطلب ويستمرّ في البحث بشكلٍ كافٍ ووافٍ .

كان هذا كلام «أبي علي» ، وقد ذكرنا أنّ عدم إقامة البرهان على المعاد الجسمانيّ مبتنٍ على عدم تحقيق وإثبات تجرّد قوّة الخيال وعالم البرزخ ، وقائم عموماً على عدم القبول بعالم المثال المجرّد . أمّا إذا قبلنا بعالم المثال فلن يبقى هناك من إشكال آخر . وعالم الصورة يعني عالم المثال .

كما أنّ اللذائذ التي تجدها النفس في عالم المثال هي نفس لذائذ عالم

١ـ إلهيّات «الشفاء» بحث المعاد ، ص ٣ .

٢ـ إلهيّات «الشفاء» ص ٣ و ٤ .

الصورة ، ويمكن أن تكون منفصلة عن البدن ، فيصحب الإنسان تلك الصورة معه على الدوام .

يقول الحكيم السبزواريّ قدّس الله نفسه بشأن هذا المعاد الروحانيّ :

إنَّ آلَّذِي بِالعَقْلِ بِالفِعْلِ انْتَقِي — فَهْوَ لِعَالَمِ العُقُولِ مُرْتَقِي
مِنْهُ يَصِيرُ عَالَماً عَقْلِيَّا — بِهِ يُضَاهِي عَالَماً عَيْنِيَّا[1]
وَ هَيْئَةُ الوُجُودِ بِالشَّرَاشِرِ — تَزِينُهُ كَالأَوَّلِ فِي الآخِرِ
كَوْناً أَشَدِيَّةً أَضْعَفِيَّة — خَالَفَ وَالمَهِيَّةُ المَهِيَّة[2]
فَالْعَالَمُ الأَكْبَرُ كَانَ حَاوِيَا — كَأَنْ غَدَا كُلٌّ لَهُ مُرَائِيَا[3 و 4]

١ـ وهذا الكلام إشارة إلى ما قالوه في تعريف الحكمة : الحِكْمَةُ صَيْرُورَةُ الإنسَانِ عَالَماً عَقْلِيّاً مُضَاهِياً لِلْعَالمِ العَيْنِيّ فِي هَيْئَتِهِ ، لَا فِي مَادَّتِهِ .

٢ـ إذ إنّه قد برهن على أنّ الأشياء تحضر في الذهن بتمام ماهيّتها وتظهر بأنفسها هناك ، لا أن تحضر أمثالها وأشباهها في الذهن . وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أشعاره المعروفة المشهورة :

أَتَزْعَمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ — وَفِيكَ انْطَوى العَالَمُ الأَكْبَرُ

٣ـ «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٣٠ و ٣٣١ ، طبعة ناصري .

٤ـ وما أبدع ما ضمّن المغربيّ هذه المعاني في أشعاره ، وذلك في قوله :

اگر چه آينهٔ روى جان فزاى تواَند — همه عقول و نفوس و عناصر و أفلاك
ولى ترا ننمايد بتو چنانكه توئى — مگر دل من مسكين و بيدل و غمناك
تمام چهرهٔ خود را بدو توانى ديد — كه هست مظهر تامّ و لطيف صافى پاك
ولو جلوت على القلب ما جلوت عليه — لأجل قربته بل لأنّه مجلاك
بساحل ار چه فكندى به بحر باز آرم — كه موج بحر محيط توام نيَم خاشاك
ظهور تو بمن است و وجود من از تو — و لست تظهر لولاي ، لم أكن لولاك
تو آفتاب منيرى و مغربى سايه — ز آفتاب بود سايه را وجود و هلاك

«ديوان مغربى» ص ٨٠ و ٨١ .

⇦

....

⇦ يقول: «مع أنّ العقول والنفوس والعناصر والأفلاك هي بأجمعها مرآة طلعتك المنعشة للأرواح.

إلّا أن شيئاً منها لا يُظهرك كما أنت مثلما يفعل قلبي، أنا العاشق المغموم المسكين.

فإنّك تستطيع أن ترى طلعتك فيه كاملة، لأنّه مظهر تام لطيف صافٍ طاهر».

ولو جلوتَ عن القلب ما جلوتَ عنه لأجل قربته، بل لأنّه مجلاك

ولو قذفتني إلى الساحل لعدتُ إلى البحر من جديد، إذ لستُ قشّة، بل موج بحرك المحيط. ظهورُك بي، ووجودي منك، ولست تظهر لولاي، لم أكن لولاك.

أنت شمسٌ منيرةٌ والمغربيّ ظلّ، ومن الشمس وجود الظلّ وفناؤه».

ويقول في مقام مخاطبة النفس:

توئى خلاصهٔ اركان انجمُ و افلاك
ولى چه سود كه خود را نمى‌كنى ادراك

تو مهرِ مشرق جانى بغربِ جسم نهان
تو دُرّ گوهر پاكى فتاده در دل خاك

توئى كه آينهٔ ذات پاك الهى
ولى چه فائده هرگز نكردى آينه پاك

غرض توئى ز وجود همه جهان ورنه
لما يكون فى الكون كائنٌ لولاك

همه جهان بتو شادند و خرّم و خندان
تو از براى چه دائم شئهٔ غمناك

نجات تو بتو است و هلاك تو از تو
ولى تو باز ندانى نجات را ز هلاك

تو عين نور بسيطى و موج بحر محيط
جنان مكن كه شوى ظلمت حس و خاشاك

يقول: «أنت خلاصة أركان الأنجم والأفلاك، ولكن ما الفائدة؟ إذ إنّك لا تدرك نفسك

فأنت شمس مشرق الروح خفيت بمغرب الجسم، أنت درّ وجوهر صافٍ سقط في ⇦

وينقل المرحوم الحكيم السبزواريّ مطلباً في تصوير محلّ الأبدان المحشورة في المعاد الجسمانيّ ، وهو جدير بالتأمّل .

يقول : قد ذكر الشيخ الرئيس في كتابه «المبدأ والمعاد» في أمر الأبدان البرزخيّة التي هي محلّ وموضوع لتصويرات أنوار المؤمنين ونائرات الكافرين ، إنّ بعض أهل العلم ممّن لا يجازف فيما يقول ، قال : علينا أن نجد تصويراً للمعاد الجسمانيّ بحيث يمكن قبوله .

فحين يرحل الإنسان عن الدنيا ، فإنّ نفسه ـ من أجل أن تتمتّع باللذائذ في عالم الخيال والصورة ، أو تعذّب بالصور الكريهة ـ يجب أن تتعلّق ببدنٍ ليقوم عالم الصورة بذلك البدن .

وليس هناك من بدنٍ فوق الأرض لتتعلّق به هذه النفس ، كما أنّها لو تعلّقت بالأبدان الخارجيّة للزم من ذلك التناسخ الذي نمتلك البراهين والأدلّة الكثيرة لإبطاله .

كما أن الأرض ـ من جهة أُخرى ـ كرة محدودة ، بينما أفراد البشر الذين يأتون فوقها من البدء إلى النهاية غير محدودين ولا متناهين ،

⇐ أعماق التراب .

أنت مرآة الذات الإلهيّة المنزهة ، ولكن ما العائدة ؟ فأنت لم تجلُ المرآة أبداً .
أنت الهدف من وحود العالم كلّه ، ولولا ذلك لما كان في الكون كائن لولاك .
العالم بأجمعه سعيدٌ بك ومسرور وضاحك ، فلِم أنت تجلس دوماً حزيناً ومغموماً ؟
العالم بأجمعه مشغول بك وأنت لاهٍ عن نفسك ؛ الجميع خائف من غفلتك وأنت لا تبالي
نجاتُك بك وهلاكك منك ، لكنّك مع ذلك لا تميّز نجاتك من هلاكك .
أنت عين النور البسيط وموج البحر المحيط ، فلا تفعل ما يجعلك ظلمة القشّ والتبن
وإن صرتَ كالمغربيّ حرّاً عن الكائنات ، أمكنك بقدمٍ واحدة أن تحلّق من السَمك إلى سمائك»

ولا يمكن لغير المتناهي أن يحلّ في المتناهي المحدود .

ولو جعلنا جميع حجم الكرة الأرضيّة أبداناً ـ فرضاً ـ فتعلّق كلّ واحد من النفوس بأحد هذه الأبدان ، لفاض من تلك النفوس عدد كثير ، لأنّها غير محدودة ، ولازم ذلك بقاء كثير من النفوس دون بدن . ولذا فإنّ هذا الفرض مردود لا يمكن قبوله أيضاً .

وعلينا من ثَمّ أن نرى أين تقع تلك الأبدان التي تتعلّق بها النفوس بعد الموت . يجب القول إنّها في السماوات ، أي في الأفلاك وطبقات الدُّخان ، لأنّ لدينا تسعة أفلاك ، وهذه الأفلاك كبيرة بحيث لا يعلم أبعادها إلّا الله تعالى . وأصغر الأفلاك فلك القمر المحيط بجميع هذا العالم ، فضلاً عن الأفلاك الأكبر منه . فنفوس الناس تتعلّق بعد الموت بتلك الأفلاك ، حيث يتّخذ قدر من الفلك هيئة بدن الإنسان فتتعلّق به نفس الإنسان ، ويحصل جميع الثواب والعذاب بواسطة ذلك البدن .

وبالطبع فإنّه ليس كمثل البدن الطبيعيّ الثقيل الذي يمتلك جرماً ، بل هو مادّيّ لطيف زلال ، ويمكن إجمالاً قبول هذا الكلام من ابن سينا . ويقول الخواجة نصير الدين الطوسيّ قدّس الله سرّه : وأظنّ أنّ أصل هذا الكلام من الفارابيّ .[1]

١ـ ينقل المرحوم الملّا صدرا في «الأسفار» قصّة جرم الأفلاك والمواد الدخانيّة لتعلّق النفوس الخسيسة من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال بعد مفارقة البدن ، وذلك عن ابن سينا ، عمّن لا يجازف في قوله (وقال العلّامة الطوسيّ : وأظنّه يريد الفارابيّ) ، ثمّ يقول بعد أن يورد عليه عدّة إشكالات :

والعجب أنّ ما صوّره الشيخ والفارابيّ أحسن وأجود من سائر ما في كتب غيرهما من الإسلاميّين . ولذا فقد اختاره الغزّاليّ في كثير من مصنّفاته ، كمواضع من «إحياء العلوم» وفي رسالته «المضنّون به على غير أهله» ، وذلك بعد أن شرحه مفصّلاً .

وحاصل المطلب أنّ هؤلاء [العوامّ] إذا فارقوا البدن وهم بدنيّون لا يعرفون غير البدنيّات ، وليس لهم تعلّق بما هو أعلى من الأبدان ، فيشغلهم التعلّق بها عن الأشياء البدنيّة،أمكن أن يعلّقهم تشوّقهم إلى البدن ببعض الأبدان التي من شأنها أن تتعلّق بها الأنفس لأنّها طالبة ، وهذه ماهيّات هيئة الأجسام ، وهذه الأبدان ليست بأبدان إنسانيّة أو حيوانيّة ، لأنّها لا تتعلّق بها إلّا ما يكون نفساً لها ، فيجوز أن يكون أجراماً سماويّة لا أن تصير هذه الأنفس أنفساً لتلك الأجرام أو مدبّرة لها ، فإنّ هذا لا يمكن ، بل يستعمل تلك الأجرام لإمكان التخيّل ثمّ يتخيّل الصور التي كانت معتقدة عنده وفي وهمه ، فإن كان اعتقاده في نفسه وأفعاله الخير شاهدت الخيرات الأُخرويّة على حسب ما تخيّلتها ، وإلّا فشاهدت العقاب .

وقال كذلك : ويجوز أن يكون هذا الجرم متولّداً من الهواء والأدخنة ، ويكون مقارباً لمزاج الجوهر المسمّى روحاً الذي يشكّ الطبيعيّون أنّ تعلّق النفس به لا بالبدن . هذا ما لخّصه المحقّق (الخواجة نصير الدين) الطوسيّ رحمة الله عليه من كلام الفارابيّ .

وقد استحسن الشيخ شهاب الدين السُّهرورديّ هذه الفرضيّة وقال بأنّها تخلو من الإشكال ، وذلك لتعلّق الروح ببدن في الأفلاك غير المتناهيه ، وخاصّة فلك الأفلاك الذي يقال له أيضاً الفلك الأطلس والفلك المحدّد .

ثُمّ يقول الملّا صدرا : وأكثر هذه المطالب يوافق ما نقلناه عن «الشفاء» ولعلّه اقتبس منه . («الأسفار» ج ٩ ، ص ١٤٨ إلى ٢٥٣ ، الطبعة الحروفيّة) .

وقد ذكر الغزّاليّ هذه المطالب مفصّلاً في رسالة «المضنّون به على غير أهله» المطبوعة في هامش رسالة «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيليّ ، ج ٢ ، ص ٨٤ و ٨٥ ، طبعة المطبعة الأزهريّة ـ مصر ، سنة ١٣١٦ هجريّة .

وقد تعجّب الخواجة نصير الدين الطوسيّ رحمة الله عليه من كلام شيخ الإشراق فقال :

إنّي لأتعجّب من بعض الموصوفين بفقه المعارف الإلهيّة والاستشراق للأنوار الملكوتيّة كصاحب «التلويحات» مع شدّة توغّله في الرياضات الحكميّة واعتنائه بوجود عالم آخر بين العالمين ، كيف صوّب في «التلويحات» قول بعض العلماء من كون جرم سماويّ موضوعاً لتخيّلات طوايف من السعداء والأشقياء .[1]

ولصدر المتألّهين (الشيرازيّ) على هذا القول اعتراضات كثيرة مذكروة في أكثر كتبه وفي موضعين من «الأسفار» ، كلزوم التناسخ بسبب التعلّق بالفلك وشبهه ، وكإباء الفلك عن التأثّر من العلل الغريبة ، وكعدم ما يصون الجرم الدخانيّ عن التبدّد والتحلّل والفساد ، وكعدم المطابقة بينه وبين النفوس المفارقة في الأزمنة غير المتناهية لتناهيه وعدم تناهيها وغير ذلك ممّا هو مذكور في «الأسفار» .

وقد أجاب المرحوم السبزواريّ رحمة الله عليه على إشكالات الملّا صدرا وردّ عليها جميعاً حسب ظنّه ، ودَعم كلام الفارابيّ وشيخ الإشراق .[2]

بَيدَ أنّ بعض إشكالات الملّا صدرا ـ إنصافاً ـ لا يمكن ردّها ، خاصّة بعد أن ثبت هذه الأيّام عدم وجود الأفلاك . وأنّ فرضيّة القدماء هذه أمر اضمحلّ اليوم وفقد اعتباره . فالالتزام بهذه الزوايا لإثبات المعاد الجسمانيّ ، والدخول في عقبات ومنعطفات يستحيل عبورها ، هو تأييد للشرع الأنور بجهاتٍ لا يرتضيها صاحب الشرع نفسه . والشرع الأنور

---

١ ـ «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٣٧ ، طبعة ناصري .

٢ ـ «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٣٨ ، طبعة ناصرى .

أسمى وأقدس من أن نشاء دعمه ومناصرته بهذه الأُمور .

وإجمالاً فقد قال المرحوم الحكيم السبزواريّ رحمة الله عليه في الفرضيّات التي نُقلت في المعاد الجسمانيّ :

وَبَعْضُهُمْ قَدْ صَحَّحُوا الجِسْمَانِيّ بِالجِرْمِ مِنْ أَفْلَاكٍ أَوْ دُخَانِ

يَكُونُ مَوْضُوعاً لِتَصْوِيرَاتِهِمْ مِنْ نَائِرَاتِهِمْ وَتَنْوِيرَاتِهِم

وَبَعْضُهُمْ صَحَّحَ بِالتَّنَاسُخ وَأَخْذُ جِنسٍ كُلَّ خُلْقٍ رَاسِخ

وَفِرْقَةٌ بِحِفْظِ أَجْزَا فَرْدَةٍ تَصِيرُ ذِي بِالوَصْلِ ذَاتَ وَحْدَةٍ

وَقَالَ الإِشْرَاقِيُّ بِالمِثَالِ وَالأَنْفُسُ الأَنْفُسُ فِي الأَقْوَالِ[1]

يقول : قد صحّح بعض الفلاسفة تصوير المعاد الجسمانيّ بحلول النفس بعد مفارقة البدن بالأجرام السماويّة من الأفلاك أو الأجرام الدخانيّة ، لأنّها محلّ صور نيران أهل جهنّم وأنوار أهل الجنّة .

وصحّح بعضهم التناسخ ، بأن تستخدم كلّ مَلَكة من ملكات الإنسان و أخلاقه الراسخة ذلك النوع من الحيوانات الذي يرسخ فيه تلك الملكة وذلك الخُلُق . فالنملة ـ مثلاً ـ محلّ بروز ملكة الطمع ، والخنزير محلّ بروز ملكة الشره وانعدام الغيرة ، والفأر محلّ بروز ملكة السرقة .

والتناسخ باطل بجميع أقسامه ، وقد جرى إقامة الدليل الفلسفيّ على ذلك . وقال بعض المتكلّمين بأنّ أجزاءً فردة تبقى في الإنسان محفوظة لا تتجزّأ بعد الموت ؛ ثمّ إنّ الباري تعالى يخلع لباس الوحدة على تلك الأجزاء بواسطة الوصل عند المعاد ، ويصوّرها في صورها السابقة في الدنيا ، فتتعلّق بها النفس من جديد .

والإشكالات الواردة على هذه الفرضيّة كثيرة ، وسيأتي ذكرها .

١ـ «المنظومه السبزواريّة» ص ٣٣٧ إلى ٣٤١ ، طبعة ناصري .

وصحّح الإشراقيّون المعاد الجسمانيّ لنفوس المتوسّطين من أهل السعادة وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وذلك بعالم المثال الذي يدعى أيضاً عالم الأشباح .كما أنّ النفوس تبقى نفسها دون تغيير وفقاً لجميع هذه الأقوال .

المجلس السابع والثلاثون

شيئية الأشياء بصورتها لا بالمادة



بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ .[1]

البنان عبارة عن أطراف الأصابع ، والاستدارة في أطراف الأظافر وفوقها . فحين يخيط الخيّاط ثوباً فإنّه يعمد عند الخياطة إلى ثني قدر من حافّة القماش إلى الداخل ، ويقال لهذا القسم السجاف . وهكذا فإنّ الله تبارك وتعالى جعل سجافاً لاتّصال أُصول الأظافر بلحم الأصابع يُدعى بالبَنان .

يقول سبحانه في هذه الآية المباركة : ما الذي يقوله هذا الإنسان وما الذي يحسبه ؟ أيحسب أنّنا لسنا قادرين على جمع عظامه ؟ بلى ، سنجمع جميع أعضائه وجوارحه ، اللحم والعظم ، والعروق والشحم والجلد والأظافر ونسوّي حتّى البنان بل وأصغر عضو من أعضائه .

وهكذا فقد كانت شبهات المادّيين لإنكار المعاد ، إنّما هي في حال عجز الله تعالى . وحاشا وكلّا أن تكون قدرة الله محدودة بحدّ أو منحصرة

---

١ ـ الآيتان ٣ و ٤ ، من السورة ٧٥ : القيامة .

في إيجاد موجود خاصّ ؛ بل قدرته كاملة وشاملة ، لا تضيق حتّى عن إيجاد البنان وإعادته ، فيرد الإنسان الحشر للحساب بكلّ أرجاء وجوده ، وحتّى ببنانه وأطراف أصابعه . ولقد ألقى المنكرون شُبهة في باب المعاد الجسمانيّ عُرفت باسم **شُبْهَة الآكِلِ والمَأكُولِ** ، ودُوّنت بهذا الاسم في الكتب والدفاتر .

ومحصّل هذه الشبهة : كيف يُحيي الله جميع الموتى فيُحضرهم في المحشر ، مع أنّهم كانوا في هذه الدنيا آكلاً ومأكولاً لبعضهم البعض الآخر ؟ بل إنّ ما سوى الله من الموجودات المادّيّة التي تتبدّل صورها دائماً هي بأجمعها آكل ومأكول لبعضها . فالبذرة تقتات على الموادّ الترابيّة تحت الأرض وتبدّلها إلى نفسها فتصبح شجرة ، والنار تأكل الشجرة فتحوّلها إلى فحم ، ثمّ تبدّل الفحم إلى رماد ، ثمّ يتحوّل الرماد تحت الأرض إلى تراب ، فيصير التراب مرّة أُخرى شجرة وزرعاً وإنساناً وحيواناً .

وهكذا فإنّ المادّة تتبدّل دائماً في دائرة حركة الزمان وفوق هذه الأرض وعالم الطبع إلى صور مختلفة ، وتتجلّى وتظهر في شكل وسيماء أشياء متفاوتة بأسماء مختلفة ، كالإنسان والبقرة والحمار والشجرة والماء والهواء والغاز وغيرها .

إنّ بدن الفرد من أفراد الإنسان كـ «زيد» مثلاً ، يصبح تحت الأرض رميماً ويتحوّل إلى موادّ غذائيّة تقوّي الشجرة والزراعة التي تزرع فوقها ، ثمّ إنّ الإنسان يتناول هذه المحاصيل الزراعيّة في هيئة حبوب الحنطة والشعير والعدس والماش وغيرها ، وفي هيئة ثمار الأشجار كالتفّاح والكمّثرى والجوز واللوز وغيرها ، فتتبدّل إلى الذرّات الموجودة في بدنه وتصبح جزء بدن شخص آخر كـ «حسن» مثلاً .

ثمّ إنّ «حسن» يموت ويتبدّل بدنه تحت الأرض إلى موادّ ترابيّة وموادّ

مقويّة لسائر الأشجار والزراعات ، وهكذا فإنّ أفراداً آخرين سيأكلون ثمار تلك الأشجار أو حبوب تلك الزراعات وخضروات البساتين ، أو يقتاتون على الضأن والإبل والأبقار وطيور السماء وأسماك البحار التي تغذّت من تلك الموادّ الغذائيّة ، فتتبدّل إلى أجزاء وأعضاء وذرّات بدنهم .

وعلى هذا المنوال فقد كان هناك دائماً في هذه الأرض وفي عالم الطبيعة هذا آكلاً لمأكول آخر ، كما كان الآكل يتحوّل إلى مأكول ، وهذه السنّة الإلهيّة في حركة دائميّة كالعجلة الدوّارة .

فإذا حُشر جميع أفراد البشر في عالم الحشر ، لاستلزم ذلك امتلاك أفراد كثيرين لبدنٍ مشترك ، وسيمتنع أمر امتلاكهم أبداناً مستقلّة ، ويلزم من ذلك تقديم أحد الأبدان على غيره ، وهو ترجيح بلا مرجّح .

افرضوا أنّ كافراً أكل لحم بدن مؤمن ، وأنّ لحم بدن هذا المؤمن صار جزءاً من أجزاء ذلك الكافر . فإن أراد الله تبارك وتعالى حشرهما ، فإنّه إن حشر ذلك المأكول مستقلّاً ، فإنّ ذلك الآكل لن يكون قد حُشر بتمامه ، إذ إنّه فَقَد نصف بدنه ، لأنّ نصف بدن الآكل تشكّل من المؤمن الذي صار مأكوله . فإن حشر الله تعالى ذلك المؤمن بتمامه وكماله ، لما حُشر هذا الآكل الكافر بتمام المعنى ، إذ إنّ نصفه سيكون غير محشور .

وإن حشر الآكل ، لما حُشر المأكول المؤمن بتمام المعنى ، إذ قد بقي جزء منه ، وهو الذي صار مأكولاً في بطن الآكل وتبدّل إلى جزء من أجزائه الوجوديّة . هذا أحد الإشكالات . أمّا الإشكال الثاني وهو مشتقّ من الأوّل فهو : أنّ الله سبحانه إن شاء خلقهما فأيّهما سيقدّم ؟ إن قدّمَ الآكل ، فسيُقال : لماذا لم يقدّم المأكول ؟ وإن قدّم المأكول ، قيل : لماذا لم يقدّم الآكل ؟ وهكذا فإنّ معاد كلّ منهما سيكون ترجيحاً بلا مرجّح ، كما أنّ معادهما سويّاً أمر غير ممكن ، وإلّا لزم منه تعلّق النفوس المختلفة ببدنٍ

واحد .

وهناك أيضاً شبهة أُخرى هنا ، وهي أنّ ذلك المؤمن قد صار الآن مأكولاً للشخص الكافر ، فإن شاء الله حشرهما ومجازاتهما بأعمالهما ، فعذّبَ بدن الكافر ، فإنّه سيكون قد عذّب نصف بدن المؤمن الذي صار جزءاً لبدن الكافر .

وإن نَعَّمَ بدن الكافر بلحاظ هذا النصف من بدن المؤمن ، لوقع الكافر في هذه الحال ببدنه مورد النعمة والرحمة ؛ إذ لا يمكن جعل بدن واحد في وقت واحد مورداً للرحمة والغضب كليهما ، فينعّمه الله في الجنّة ، ويحرقه في عين الحال في جهنّم .

كما أنّه إن نعّم بدن المؤمن ، لكان قد نعمّ أيضاً نصف بدن الكافر ، وإن عذّب بدن المؤمن بلحاظ هذا النصف من بدن الكافر ، لكان في هذه الحال قد عذّب المؤمن بتمام بدنه .

وعموماً فإمّا أن يكفّ الله سبحانه عن رحمة المؤمن وعذاب الكافر لهذه المحذورات المذكورة ، أو أن يعذّب الأجزاء المطيعة في بدن المؤمن وينعّم الأجزاء العاصية في بدن الكافر ، وكلاهما خلاف الفرض . وذلك أوّلاً : لأنّ عالم الحشر لجزاء الأعمال . وثانياً : لأنّ المؤمن والمطيع يجب أن يكون مورداً للرحمة والثواب الجميل ، أمّا الكافر والعاصي فيجب أن يكون مورداً للغضب والانتقام .

هذا وقد قال المرحوم صدر المتألّهين قدّس الله نفسه في ردّ هذه الشبهة :

إنَّ انْدِفَاعَهُ ظَاهِرٌ بِمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ تَشَخُّصَ كُلِّ إنْسَانٍ إنَّمَا يَكُونُ بِنَفْسِهِ لاَ بِبَدَنِهِ ، وَأَنَّ البَدَنَ المُعْتَبَرَ فِيهِ أَمْرٌ مبْهَمٌ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ تَعَيُّنٌ وَلاَ ذَاتٌ ثَابِتَةٌ ، وَلاَ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ بَدَنِ زَيْدٍ مَثَلاً مَحْشُوراً ، أَنَّ الجِسْمَ الَّذي

صَارَ مَأْكُولاً لِسَبُعٍ أَوْ إِنْسَانٍ آخَرَ مَحْشُوراً ، بَلْ كُلَّمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ نَفْسُهُ فَهُوَ بِعَيْنِهِ بَدَنُهُ الَّذِي كَانَ ؛ فَالاعْتِقَادُ بِحَشْرِ الأَبْدَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ هُوَ أَنْ يُبْعَثَ أَبْدَانٌ مِنَ القُبُورِ ، إِذَا رَأَى أَحَدٌ كُلَّ وَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنْهَا يَقُولُ : هَذَا فُلَانٌ بِعَيْنِهِ ، وَهَذَا بَهْمَانٌ بِعَيْنِهِ ؛ أَوْ هَذَا بَدَنُ فُلَانٍ ، وَهَذَا بَدَنُ بَهْمَانٍ ، عَلَى مَا مَرَّ تَحْقِيقُهُ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُبَدَّلِ الوُجُودِ وَالهُوِيَّةِ، كَمَا لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُشَوَّهُ الخَلْقِ وَالأَقْطَعُ وَالأَعْمَى وَالهَرِمُ مَحْشُوراً عَلَى مَا كَانَ مِنْ نُقْصَانِ الخِلْقَةِ وَتَشْوِيهِ البُنْيَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الأَحَادِيثِ.

وَالمُتَكَلِّمُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَجَابُوا عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ بِمَا لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهِ لِرَكَاكَتِهِ.[1]

كان هذا كلام الملّا صدرا في ردّ هذه الشبهة . وقد سار المرحوم الحكيم السبزواريّ قدّس سرّه في ردّ هذه الشبهة على منوال الملّا صدرا ونهجه . فيقول :

وَ شُبْهَةُ الآكِلِ وَالمَأْكُولِ يَدْفَعُهَا مَنْ كَانَ مِنْ فُحُولِ
إِذْ صُورَةٌ بِصُورَةٍ لَا تَنْقَلِبْ عَلَى الهَيُولَى الانْحِفَاظُ مُنْسَحِبْ

فإذا قلنا : صار الماءُ هواءً ، ليس المراد أنّ الصورة المائيّة بما هي صورة مائيّة صارت مُصوّرة بالصورة الهوائيّة ، لأنّه انقلاب في الحقيقة ، بل المراد أنّ المادّة التي كانت متلبّسة في الزمان الأوّل بالصورة المائيّة ، انخلعت عنها الصورة المائيّة ولبست الصورة الهوائيّة في الزمان الثاني . وكذا إذا صار الأبيض أسودَ لا يصير البياض سواداً ، بل الموضوع له خلع ولبس كما ذكر ، فاللحم من حيث له الصورة اللحميّة لا يصير كيموساً[2]، ولا بدن المؤمن من حيث له صورة خاصّة يصير بدناً للكافر ، إذ الصورة

١ـ «الأسفار الأربعة» بحث المعاد ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ الكيموس : كلمة يونانية تعني حالة الطعام بعد هضمه في المعدة . (المنجد) .

الخاصّة ليست شرطاً في مادّية المادّة ، بل هي موانع ، والصورة المطلقة من المصاحبات الاتّفاقيّة ، ولو صار البدن بما هو بدن كيموساً لشاهدناه في أيّام كونه كيموساً وليس كذلك ، بل كلّ صورة في حدّها ومرتبتها هي هي .[1]

ونقول لتوضيح هذا المطلب : قد ثبت في الحكمة المتعالية أنّ شيئيّة الأشياء بصورتها لا بمادّتها ، أي أنّ ما يشخّص الأشياء ويُلبسها رداء التعيّن ويُميّز بين الشيء والشيء ، وبين الموجودات ، فصلها وصورتها لا مادّتها . وذلك لأنّ جميع الموجودات الطبيعيّة تشترك في المادّة ، وأنّ هناك مادّة صرفة بسيطة دون تشخّص ولا تعيّن قد طبقت أرجاء الموجودات ، حيث تدعى بالمادّة الأوّليّة والهيولى الأوّليّة ومادّة الموادّ .

وتحتاج هذه المادّة من أجل التشخّص والتميّز لأمرٍ يعطي لها شكلاً وإسماً وتعيّناً ، كالإنسان والحيوان والشجرة والحجر والماء والهواء وغير ذلك . ومن ثَمّ فإنّ إنسانيّة الإنسان مرتبطة بإنسانيّته تلك لا بمادّته ، لأنّ المادّة موجودة على كلّ حال ولا تُدعى إنساناً . وحين صارت المادّة إنساناً فقد صار يُقال لها إنساناً ، وتعلّق بها اسم الإنسان وشخصيّة الإنسان ؛ وهكذا الأمر في الحيوان والشجرة ، فما دامت صورتها واسمها لم ينطبقا على المادّة ، فإنّه لا يقال لتلك المادّة حيوان أو شجرة . فكون الشجرة شجرة وكون الحيوان حيواناً - إذاً - منوط ومرتبط بذلك الشيء الذي يتركّب على المادّة فيقال لتلك المادّة - لتلك الجهة - حيواناً أو شجرة ، ويقال لذلك الشيء صورة حيوانيّة أو صورة شجريّة .

فإن زالت تلك الصورة من المادّة ، فاتّخذت صورة أُخرى صورة تلك المادّة لنفسها ، فإنّ المادّة لم تفنى ولم تعدم ، بل إنّ هناك مادّة مشتركة

---

١ - «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٤٥ ، طبعة ناصري .

موجودة في كلتا الحالتين . كلّ ما في الأمر أنّ تشخّصها في الصورة الأُولى التي كانت فيها خشباً ـ مثلاً ـ كان بتلك الصورة ، فكانت تُدعى خشباً . أمّا حين تبدّل الخشب إلى فحم ، فإنّ تشخّص تلك المادّة صار بصورة الفحم . وهكذا فإنّ ما يوجب تشخّص وتميّز الموجودات هو فصلها المميّز وصورتها لا مادّتها . فما يجعل من زيدٍ زيداً زيديّته لا المادّة . وما يجعل المؤمن مؤمناً والكافر كافراً ، الإيمانُ والكفر لا المادّة .

وإذا ما قلنا ـ مثلاً ـ هاتِ الخشب ! فما هو الخشب يا ترى ؟ هو ذلك الشيء الذي هو الآن خشب ، والذي يُدعى الآن خشباً . فإن سألتَ أحداً : ما هذا ؟ لأجابك : هذا خشب .

ولو كان هذا الخشب تراباً في السابق فتبدّل إلى خشب ، أو أنّهم سيحرقونه فيما بعد فيتبدّل إلى فحم ، ثمّ يشعلون الفحم فيشتعل ناراً ثمّ يصبح رماداً ، فإنّ تلك الصور التي امتلكها قبلاً فاكتسبتها هذه المادّة لنفسها ، ليست مرتبطة بخشبيّة هذا الخشب ، لأنّ الخشب كان خشباً حين كان خشباً ، لا قبل ذلك ولا بعده . وليست خشبيّته مرتبطة بمادّته ، لأنّ المادّة كانت موجودة قبله وبعده إلّا أنّها لم تكن خشباً .

وبالطبع فقد كانت هناك مادّة في جميع الأحوال ، ولم يكن ليتحقّق بدونها في الخارج أي قسم من أقسام التراب والخشب والفحم والنار والرماد ، إلّا أنّ تلك المادّة كانت مشتركة فيها جميعاً . فخشبيّة الخشب ليست قائمة بتلك المادّة ، لأنّ تلك المادّة موجودة في هذا الخشب ، كما أنّها موجودة في الفحم الذي يليه ، وفي تلك النار وفي ذلك الرماد أيضاً .

لكنّ ما جعل هذه المادّة خشباً فعلاً ، ومنحها صورة الخشبيّة والحطبيّة هو الفصل المميّز للخشب . ثمّ إنّ ما يُعطيها بعد ذلك صورة الفحميّة والناريّة والرماديّة الفصل المميّز لها .

إنّ بيضة الدجاج التي يأكلها الإنسان مركّبة فعلاً من بياض البيض وصفاره ، وهذه البيضة تتبدّل حين تحضنها الدجاجة وترقد عليها إلى علقة ، ثمّ إلى فرّوج . فهي إذ تحوّلت إلى فرّوج لم تعد بيضة ، ولم يعد هناك بياض البيض ولا صفاره ، بل هي فرّوج .

وبالطبع فإنّ هناك مادّة مشتركة في تلك البيضة وفي هذا الفرّوج ، ولم يكن الأمر بحيث إنّ تلك البيضة تلاشت كلّيّاً فخُلق فرّوج جديد مستقلّ ، بل تبدّلت تلك البيضة إلى فرّوج . إلّا أنّ البيضة مادامت بياض البيض وصفاره فإنّها ليست فرّوجاً ، أمّا حين صارت فرّوجاً فإنّها لم تعد بياض البيض وصفاره .

ولقد تعاقبت الصور على هذه المادّة ، الواحدة بعد الأُخرى ، لكنّ ما يشخّص الموجود ويمنحه اسماً ويجعله ذا خواصّ وأثر معيّن ، وما يفرّق الماهيّات ويميّزها عن بعضها ليس مادّتها ، بل صورتها .

فما يجعل من بيضة الدجاج بيضةَ دجاج بياض البيض وصفاره في هذه الحال الفعليّة والخصائص الفعليّة ، وحين تصبح فرّوجاً فإنّ هذا الوجود مبتنٍ على أساس هذا التشخّص الفعليّ ، وهو الكون فرّوجاً (الفرّوجيّة) .

فَمِنَ المحال أن تجتمع صورتان معاً ، أي أن تجتمع البيضة والفرّوج ، ويجب حتماً أن تزول صورة ما لتظهر صورة أُخرى على المادّة . وعموماً فإنّ وجود وتشخّص كلّ موجود في عالم الخارج منوط بصورته لا بتلك المادّة المشتركة .

افرضوا الآن أنّ إنساناً أكل إنساناً آخر ، إمّا بدون واسطة ، كأن يقتل كافر مؤمناً فيأكله مثلاً ، أو مع الواسطة ، كأن يتغذّى كافر من لحم خروف أو من زراعة وفاكهة نمت على جسد مؤمن ميت . فإنّ تشخّص ذلك المؤمن ـ مادام لم يصبح مأكولاً لذلك الكافر الآكل ـ إنّما هو بنفسه الناطقة وصورته

الإنسانيّة القائمة بالمادّة .

وحين أكَلَ شكلُ الآكل بدنَ هذا الإنسان المأكول ، فإنّه قد أكل تلك المادّة لا الصورة الإنسانيّة ، فاتّخذت تلك المادّة لنفسها الصورة الإنسانيّة للآكل ، وهي صورة غير تلك الصورة . فصورة المؤمن تلك موجودة في موضعها ، وصورة الكافر هذه موجودة في موضعها أيضاً .

وبناءً على ما أثبت في الفلسفة العالية ، فإنّ النفس الناطقة مجرّدة وموجودة بعد الموت ، وباقية بفعليّتها تلك لا تتغيّر أبداً .

أي أنّ ذلك الإنسان المؤمن الذي صار بدنه مأكولًا للكافر هو زيد المؤمن مادام لم يصبح بعدُ طعاماً للآكل ، فأنت تناديه بـ«زيد» فيجيبُك بالإيجاب . فتقول : ما وجودك وتشخّصك ؟ فيجيب : الزيديّة . أنا زيد .

أمّا حين يصبح طعاماً للآكل ، فإنّ تلك الصورة الزيديّة لا تتبدّل إلى طعام وغذاء ، بل إنّ تلك الصورة باقية إلى الأبد . وما يصبح طعاماً للآكل مادّة زيد التي تتعلّق بها صورة فرعون الكافر ، وهي صورة أُخرى أعقبت تلك الصورة ولا ارتباط لها أبداً بصورة زيد .

على أنّ ما يجعل هذين الموجودين ـ أي زيد المؤمن وفرعون الكافر ـ متشخّصين متميّزين في الخارج ،وما يجعلهما زيداً وفرعونَ صورتُهما الإنسانيّة وإيمانهما وكفرهما ونفسهما الناطقة ، فهما منفصلان عن بعضهما لا يختلطان ولا يمتزجان أبداً ، فزيد ليس فرعون ، وفرعون ليس زيداً .كما أنّ صفار البيضة ليس فرّوجاً ، والفرّوج ليس صفاراً . ولقد وجد الفرّوج حين زال الصفار .

وهكذا فإنّ وجود وشيئيّة البيضة والفرّوج ليسا بتلك المادّة المشتركة بينهما ، لأنّ تلك المادّة المشتركة أمر مُبهم لا حصول له في الخارج ، ومن المحال أن يوجد أو يتحقّق بنفسه تلقائيّاً في عالم الخارج .

أي أنّكم لا يمكن أن تجدوا في الخارج أيّ مادّة دونما صورة ،كأن تجدوا ـ مثلاً ـ مادّة ليست إنساناً ولا بقرة ولا خروفاً ولا خشباً ولا شجرةً ولا ماءً ولا هواءً ولا تراباً ولا غازاً ولا غير ذلك .

فتلك المادّة هي إذاً في تحقّقها عين الإبهام وعدم الحصول ، وما يجعل موجوداً ما حاصلاً هو الصورة التي تتعلّق بالمادّة .

إنّ المعاد لا ارتباط له بالمادّة أبداً ، لأنّ المادّة ليس لها ارتباط بزيد ولا بالعمل الصالح والطالح ولا بالإيمان والكفر ، فمادّة الموادّ مادّة سارية وجارية في جميع المادّيّات ، وليس لها جانب للتشخّص والتميّز ، وليست قابلة للإشارة ليتحدّث الإنسان معها ويجعلها مورداً للمؤاخذة أو الثواب ، يقسّم الموجودات ـ من ثمّ ـ على ذلك الأساس .

لقد قسمت الموجودات على أساس الصورة ، فنحن نقول زيد ، بكر ، حسن ، حسين ، تقي ، نقي ، إنسان ، حيوان ، شجر ، مدر ؛ وهي بأجمعها تابعة للصورة ، وهذه الصور موجودة بأجمعها في عالم الدهر وظرف عالم الكون .

بيان : إنّ بيضة الدجاجة لم تكن في بطن الدجاجة بأكثر من بيضة دجاجة ، وحين وضعت الدجاجة هذه البيضة على الأرض ، فإنّها كانت بيضة دجاجة،مادّة صفراء وبيضاء.فإن رقدتالدجاجة فوقها فإنّها ستتبدّل إلى حالاتٍ ما ، فتفقد كلّ يوم وكلّ ساعة وكلّ لحظة تلك الصورة الأُولى وتكتسب صورة جديدة .

ثمّ يمرّاليومالأوّل والثاني والثالث والرابع و ... حتّى تتبدّل إلى علقة ، ثمّ تتقدّم إلى الأمام لتتبدّل إلى مُضغة ، ثمّ تتقدّم لتتبدّل إلى عظام ، فيكسو الله تلك العظام لحماً فتتبدّل بعد واحد وعشرين يوماً إلى فرّوج يكسر قشر البيضة ويخرج . ويُلاحظ أنّ عمله طيلة هذا الزمن كان تبديل الصورة

وتغييرها باستمرار ، فكان يبدّل بسرعة فائقة صورةً بعد أُخرى .

أشبه بنفس الإنسان الناطقة التي تغيّر لباسها في الدنيا باستمرار ، فهناك أيّام الصبا وأيّام الشباب وأيّام الشيخوخة ، وهي بدينة أحياناً ، هزيلةً أحياناً أُخرى ، سليمة في بعض الأوقات ، مريضة في بعضها الآخر . فهذه الحالات المختلفة هي الأردية والألبسة المختلفة لنفس الإنسان .

وهكذا فإنّ هذه المادّة ـ هي الأُخرى ـ تتّخذ لنفسها باستمرار صوراً فترتديها وتخلعها الواحدة بعد الأُخرى ، حتّى تظهر فيها الروح ويكمل الفرّوج فيكسر القشر ويخرج .

أفيمكننا أن نرى في لحظة واحدة خلال جميع هذه المراحل وجود صورتين مختلفتين في آن واحد في هذه البيضة ؟ فلقد كانت نطفة ولم تكن إذ ذاك علقة ؛ فصارت علقة ولم تبق كذلك في المراحل التي تليها . ثمّ اكتسبتْ روحاً فاستوى خلقها ، فلم تعد حينئذٍ علقةً ولا مضغة ولا نطفة .

بَيدَ أنّنا نتخيّل أنّ تلك الحال السابقة لهذه البيضة قد زالت تماماً ولم يبقَ منها أثر في عالم الخارج . وأنّها قد اتّخذت الآن صورةً أُخرى . ونتخيّل أنّ تلك الحالة قد انعدمت بجميع أرجائها وليست بالمعدومة . فهناك بيضة دجاج موجودة وباقية في الوعاء السابق لبيضة الدجاج .

لقد كانت أمس بيضة دجاج ، ثمّ تقدّمنا من أمس إلى اليوم ، وتقدّمت هذه البيضة أيضاً من أمس إلى اليوم ، فلقد تحرّكت معنا هذه البيضة كما تحرّكنا ، ولقد اختفت عنّا صورة وجودنا أمس ، واختفت عنّا اليوم صورة البيضة التي كانت لها أمس ؛ وحين نتحرّك اليوم لنصل إلى الغد ، فإنّ وجود اليوم سيكون مختفياً بالنسبة إلى الغد ، كما أنّ الحالة التي تمتلكها بيضة الدجاج اليوم ستكون مختفية بالنسبة إلى الغد .

وهكذا نسير إلى زمان تتبدّل فيه هذه البيضة إلى فرّوج ، فتحاول

الخروج من هذه الصورة . على أنّ جميع سلسلة المراتب التي طوتها هذه البيضة ، والصور المتغيّرة التي اتّخذتها ليست حاضرة أو مشهودة لدينا الآن ، والذي أمامنا فعلاً فرّوجاً فقط ولا شيء غيره . أفهناك بيضة دجاج ؟ أهناك بياضها وصفارها ؟ أهناك الآن تلك الحالات المختلفة التي طوتها خلال بضع وعشرين يوماً ؟كلّا .

ونحن أيضاً نحسّ الآن بوجودنا الفعليّ في أنّنا موجودون الآن . أفموجودٌ أمسنا معنا الآن ؟ أو موجود أمس الأوّل ؟ أو اليوم الذي سبقه ؟

أموجودة معنا فعلاً جميع الأعمال التي كنّا قد فعلناها قبل عشرين يوماً ، وتلك التميزات والتشخّصات التي كانت لنا ، وتلك الصور المختلفة التي بدّلناها ، هل هي موجودة الآن ؟

إنّ أيّاً منها ليس معنا الآن ، إنّ وجودنا الفعليّ الآن هو الوجود الذي ندركه فعلاً لا غير . أمّا في عالم الواقع وفي عالم الكون والحقيقة فإنّ الجميع موجود ومختفٍ عنّا .

نحن نقول حيناً : لقد زالت البيضة وانعدمت كلّيّاً وضاعت في عالم الكون ، فهناك الآن فرّوج . ونقول حيناً آخر : إنّ ذلك الصفار والبياض ليسا موجودينِ الآن ، لكنّهما كانا موجودينِ قبل عشرين يوماً ، وإنّ هذه البيضة التي صارت فرّوجاً ليست الآن صفاراً .

بَيدَ أنّ هذه البيضة التي صارت فرّوجاً ، لو وضعنا جانباً كونها فرّوجاً (وهو صورة) ، وأعدنا هذه المادّة إلى الوراء عشرين يوماً ، لكانت البيضة موجودة في ظرف قبل عشرين يوماً .

إنّنا نولد من الأمّ ونطوي مراحل معيّنة واحدة بعد الأُخرى ، فجميع هذه الصور المختلفة والحالات المتفاوتة موجودة في عالم الواقع وعالم الكون والوجود . إلى أن ذهبنا إلى المدرسة وصرنا شباباً ، ثمّ شيوخاً ، وها

نحن نقترب من مرحلة الموت ونرحل عن هذه الدنيا . فجميع هذه التغيّرات والتحوّلات موجودة في عالم الواقع وعالم نفس الأمر وعالم الوجود ، إلّا أنّنا نجهل ذلك . لماذا ؟

لأنّنا موجودون زمانيّون ومكانيّون ، ولأنّ الزمان والمكان من آثار وشرائط تشخّص طبيعتنا . كما أنّ أحد الأعراض التسعة العارضة على جوهر وجودنا هو أين (المكان) ، والآخر متى (الزمان) .

أي باعتبار أنّ تشخّصنا الفعليّ منوط بالزمان والمكان ، فإنّنا لهذا ندرك هذا الزمان الحاضر . ولأنّ الزمان والمكان كليهما من شرائط التشخّص ، فإنّ وجودنا الفعليّ وشخصيّتنا الطبيعيّة قائمة بهذين الاثنين .

وهكذا فقد مرّ أمسُ واختفى عن الأنظار ، ومرّ قبله أمسُ الأوّل ، كما أنّ جميع الأمكنة الموجودة في الدنيا ـ عدا مكاننا والحيّز الذي يشغله بدننا ـ بعيدة عنّا ومهجورة . كما أنّنا لسنا الآن ـ ولا يمكن أن نكون ـ في الأمكنة التي كنّا فيها أمس وأمس الأوّل .

وليس معنى قولنا إنّها مرّت ، أنّها انعدمت وفنيت وضاعت في عالم الوجود ، بل هي محفوظة جميعاً ، كلّاً في موضعه . ولقد أَخَذَتْنَا من هناك ومن ذلك الزمان وجاءت بنا إلى الأمام فوق مقطع الزمان ، حتّى أجلستنا في هذه النقطة من الزمان والمكان . فاختفى ما سبق عن نظرنا ، واستتر عن إدراكنا وإحساسنا .

إنّ هذا العبد الحقير بهذا التشخّص وقيد التحيّز في هذا المكان ، وقيد الوجود في هذا الزمان ، مشهود الآن لجميع حضّار هذا المجلس ، فأنا بمرأىً ومسمع منكم ، لا شكّ في هذا الأمر . لكنّ الساعة التي سبقت لي ليست موجودة الآن ، بَيدَ أنّها موجودة في الساعة السابقة . كما أنّ أمسي ليس موجوداً الآن ، لكنّه موجود في ذلك الظرف الزمانيّ السابق . وهكذا

فإنّ أمسي وأمسي الأوّل وشهري السابق وسنّتي السابقة ، وهكذا عوداً إلى الوراء ، وكلّ واحد من هذه التشخّصات والخصوصيّات موجود في ذلك الزمان وفي ذلك المكان ، ومقترن بتلك الأعراض والخصوصيّات في عالم الوجود والواقعيّة والحقيقة . غاية الأمر أنّ منتهى الإدراك ونحو التعقّل بحيث أنّه لا يمكننا الآن أن ندرك الزمان السابق أو نفهم الزمان اللاحق ، وإلّا فإنّ الجميع موجود وحاضر في عالم الوجود وعالم التكوين .

ونورد مثالاً لإيضاح هذا الأمر :

افرضوا أنّكم أخذتم حبلاً طوله عشرة أمتار ، وصبغتم كلّ متر منه بلون خاصّ ، فصبغتم المتر الأوّل ـ مثلاً ـ باللون الأبيض ، والمتر الثاني بالأسود ، والثالث بالأخضر ، وهكذا إلى نهاية الحبل .

ثمّ إنّكم وضعتم عند طرف الحبل جرادة أو نملة لا تبصر إلّا ما هو أمامها وقدراً ممّا حولها ، فما الذي ستراه هذه الجرادة أو هذه النملة ؟ إنّها سترى حبلاً أبيضاً فقط ولا شيء آخر غيره . ذلك لأنّ امتداد شعاع بصرها ليس حادّاً بالقدر الذي يمكنها معه أن ترى الألوان المختلفة إلى آخر الحبل . بل إنّها لا ترى ما بعد المتر الأوّل ، وهو اللون الأسود .

ثمّ إنّنا نمرّر هذا الحبل أمام أنظار هذه الحشرة ببطء ، بحيث ينتهي اللون الأبيض فترى اللون الأسود فقط .

فإن سألناها : ما الذي حصل للحبل الأبيض ؟ لقالت : ضاع وفني . ومهما تلفّتتْ إلى هذه الجهة أو تلك لما شاهدت الحبل الأبيض ولا الحبل الأخضر اللاحق في القطعة القادمة . وستقول هذه الحشرة أن ليس هناك شيء في العالم غير هذا الحبل الأسود . ثمّ نحرّك الحبل قليلاً إلى الأمام بحيث تصبح القطعة الخضراء أمامها فستقول : لقد انعدم ذلك الحبل الأسود وفني ، وليس هناك الآن مطلقاً غير الحبل الأخضر . وهكذا فكلّما قدّمنا

الحبل إلى الأمام فجعلنا الألوان الأُخرى أمامها ، فإنّها ستعتبر ذلك اللون موجوداً وستُنكر مطلقاً الألوان الأُخرى سواءً كانت في هذا الطرف من الحبل أم ذلك . أي أنّها ستُنكر كلّيّاً الألوان التي لم ترها سابقاً ،كما ستنكر الألوان التي شاهدتها واختفت من أمام عينيها، وستعدّها جميعاً معدومة وفانية .

وإذا ما سألناها : ما الذي جرى لتلك الألوان ؟ فإنّها ستجيب : لقد انعدمت وزالت . فإن قلنا : إنّها موجودة . فسترّد : ليست موجودة قطعاً . ونسألها : ما الدليل على عدم وجودها ؟

فتقول : لأنّي مهما فتحت عيني فحدّقت في هذا الجانب أو ذلك لم أرَ أبداً غير الحبل الذي يقابلني الآن .

إنّ الجرادة أو النملة صادقة في قولها ، إنّها لا ترى ، لأنّها تتحدّث ضمن إدراكاتها التي هي مدى بصرها فقط ، وهو ـ مثلاً ـ بقدر رؤية مترٍ واحد .

أمّا أنتم فتُلقون بنظرة واحدة فترون ـ علاوة على الأمتار العشرة ـ مائة متر وألف متر من طرفي هذا الحبل . وهكذا فإنّ جميع هذا الحبل بألوانه المختلفة حاضر لديكم في آنٍ واحد ولحظة واحدة . فلا يمكنكم القول بأنّ الحبل الأبيض قد ضاع ، أو أنّ الأصفر قد ضاع ، أو أنّ الأسود قد ضاع ، فالجميع موجود ، إذ إنّ لإدراككم السيطرة والهيمنة على جميع أقسام الحبل و أجزائه الوجوديّة .

پشّه كى داند كه اين باغ از كِى است
در بهاران زاد و مرگش در دى است

يقول : «إنّ هذه البعوضة تولد في الربيع فتخرج من البيضة ، ثمّ تموت في شهر دي [أي في الشتاء] ، فهي الآن تقفز في هذا الحقل ، فأنّى

لها أن تعلم عن أصل هذا الحقل وأساسه ؟ أو تعلم مَن رتّب هذا الحقل ونظّمه ؟ أو تعلم مَن زرع أشجاره قبل مائة سنة ، ومَن أجرى القناة فيه قبل مائتي سنة ؟ وأنّى لها أن تعلم عن مستقبل هذا الحقل الذي سيعمّر عدّة مئات من السنين أو للألف سنة القادمة ؟ إنّ البعوضة إنّما تعلم عن الحقل بما يوازي معيشتها فقط .

وتبعاً للبراهين الفلسفيّة المتقنة ، فليس هناك من موجود يصبح موجوداً ويصبح معدوماً في عين وجوده ، فالوجود والعدم متناقضان ، والموجود والمعدوم متناقضان ، والبياض والسواد لا يجتمعان .

أيمكن ـ يا ترى ـ أن تكون مصابيح هذا المسجد مُضاءة ومطفأة مظلمة في نفس الوقت ؟ كلّا بالطبع .

نعم ، يمكن أن تكون مطفأة مظلمة في لحظةٍ ما ، ثمّ مضاءة في اللحظة التي تليها ، ثمّ مطفأة بعد ذلك ، إذ إنّ الإضاءة والظلمة المتعاقبة يمكن حصولها ، أمّا حصولها في زمن واحد فأمر محال .

وإذا ما ارتدى أحد رداء الوجود ثمّ صار معدوماً في زمن آخر ، فقد صار معدوماً في زمن يلي الأوّل . ولكن أيمكن القول ـ يا ترى ـ إنّه كان معدوماً أيضاً في الزمن الأوّل .

أنا الآن حيّ ، ثمّ إنّني أرتحل إلى رحمة الله إن شاء الله ، ولن يكون لي آنذاك حياة طبيعيّة . أفيمكن القول إنّني الآن لست حيّاً ؟ بل أنا الآن حيّ ، وسأبقى إلى الأبد حيّاً في ظرف الزمن الحالي ولن أكون ميّتاً .

ذلك لأنّ الحياة مفروضة في هذا المقطع من الزمان ، والوجود مفترض في هذا المقطع ، ولن يتبدّل الوجود في هذا المقطع في اللحظة التالية ، ولن يطرأ عليه العدم . ثمّ إنّ الوجود سيتبدّل في المقطع اللاحق إلى عدم ، ولن يكون لذلك ارتباط بهذا المقطع من الزمان . ومن ثَمّ ، وتبعاً لهذا

البرهان ، فإنّ العدم محال بالنسبة لكلّ موجود ارتدى لباس الوجود في العالم ، فكلّ شيء قد وجد ، فإنّ انعدامه من المحال .

افرضوا الآن أنّ هذا العمود الذي يحمل سقف المسجد معدوم في عين قيامه بحمل السقف . لا ريب أنّ ذلك من المحال . نعم ، إن العمود قد يرفع السقف لألف سنة ثمّ ينهار ، لكنّ هذه السنوات الألف التي كان يحمل السقف فيها ليس فيها عدم ، أمّا حين ينهار فإنّ وجوده سيزول .

وعليه فإنّ الوجود والعدم ، والموجود والمعدوم لا يجتمعان ، والشيء الذي وجد لن يرتدي لباس العدم في عين وجوده وزمن وجوده .

أمّا الآن وقد اتّضح هذا المطلب ، فنقول :

إنّ الله سبحانه قد أوجد عالماً في بداية الخلقة (ولن نتعرّض فعلاً لبحث سلسلة المراتب الطوليّة ونكتفي بالحديث عن المراتب العرضيّة).

لقد خلق اللهُ العالم ، وخلق الشمس والقمر والنجوم ، ثمّ انقضت مدّة فخلق آدم ، ثمّ ظهر أولاد من آدم وحوّاء ، ونشأ منهم نسل البشر ، ثمّ وُجدت أُمم وأنبياء ، الواحد بعد الآخر ، ثمّ زالت ، حتّى وصل الدور إلى زمان خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، واستمرّ الأمر من ذلك الزمان إلى زماننا هذا ، وسيبقى من هذا الزمان إلى يوم القيامة ، وبعد يوم القيامة إلى ما يعلمه الله تعالى . على أنّ جميع هذه الموجودات السابقة واللاحقة ، التي هي غير موجودة الآن ، ليست موجودة في ظرف هذا اليوم مع ظروفها الخاصّة . أي أنّها غير موجودة في ظرف هذا الزمان ولا في موطنه، بل موجودة بأجمعها في أزمنتها ومواطنها.

لقد جئتم بالماء في القدح ، فهذا الماء ليس في «السماور» [1] ، لكنكم

١ـ السماور وعاء معدنيّ في وسطه مكان لإشعال النار ، يستعمل لغلي الماء . (م)

لا تستطيعون القول مطلقاً إنّ الماء ليس موجوداً في القدح والسماور .

إنّ الماء في القدح ـ مع قيد أنّه في القدح ـ ليس موجوداً في مكان آخر ، وتلك الموجودات ـ مع قيد وجودها في هذا الزمان ـ ليست موجودة في ذلك الزمان . كما أنّ الموجودات التي كانت موجودة في ذلك الزمان ـ مع قيد وجودها في ذلك الزمان ـ ليست موجودة في هذا الزمان . ولكن هل تكون موجودات ذلك الزمان غير موجودة في ذلك الزمان ؟ من المحال أن لا تكون موجودة فكلّ موجود يوجد في أيّ زمان ، هو ـ بدون شكّ ـ موجود في خصوص ذلك الزمان .

إنّ آدم أبا البشر على نبيّنا وآله وعليه السلام غير موجود الآن ، إلّا أنّه موجود في ذلك الزمان الذي خلع فيه الله عليه رداء الحياة . فآدم أبو البشر حيّ ، ولكن ليس في هذا الزمان ، بل في ذلك الزمان . بَيدَ أنّ إدراكنا لا يصل بحيث نرى ذلك الزمان ، وإذا افترضنا أنّ إدراكنا يصل إلى حيث نرى ذلك الزمان ، فسنرى آدم آنذاك ونرى حوّاء . وسنرى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في زمانهما ، وسنتفرّج على الآباء واحداً فواحداً إلى زمان رسول الله خاتم النبيّين وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام .

سنرى سلسلة آبائنا ، وسنراهم متحرّكين جميعاً ، وذوي إحساس جميعاً ، وذوي شهود جميعاً ، لأنّنا نراهم مع جميع أعمالهم طيلة حياتهم ، لا نتخطّاهم لحظة واحدة . وسنرى موسى كليم الله في جبل الطور في تلك الليالي الأربعين التي ذهب فيها لميقات الله ومناجاته . وسنرى عيسى ابن مريم وجميع معجزاته طيلة فترة حياته .

فَلِمَ لا نرى ذلك الآن ؟ ذلك لأنّنا ـ كشأن تلك الجرادة والنملة ـ لا ندرك إلّا ما يوجد أمامنا . نحن ندرك اللحظات الموجودة فعلاً ، فلا نرى الآن اللحظات العديدة التي سبقت ، وما هو موجود منها إنّما هو صورة في

ذهنكم أمّا أصل تلك اللحظات فثابت في الذهن الكلّيّ لهذا العالم .

وإذا فُرض الآن أنّكم رقيتم إلى ما فوق عجلة الزمان ، فإنّكم سترون الجميع ؟ وسترون معجزات النبيّ موسى ويده البيضاء والعصا والثعبان ، وترون معجزات رسول الله وجميع ما فعله الأوّلون والآخرون من الجنّ والإنس ، وكلّ واحد من الجمادات سواء فوق الأرض أم تحتها ، وكلّ ما في السماء ، وجميع الحيوانات والملائكة وطائفة الجنّ ، فهي بأجمعها موجودة وثابتة في أمكنتها المعيّنة دون ذرّة واحدة من زيادة أو نقصان .

لقد كان المرحوم والدي رحمة الله عليه يقيم صلاة الجماعة في هذا المسجد ، وقد انقضى على رحيله عن الدنيا ثلاثون سنة . افرضوا أنّه كان قد أقام صلاة المغرب والعشاء قبل خمس وثلاثين سنة ، وأنّه جلس في مثل شهر رمضان هذا مقابل الناس وانهمك بتفسير سورة الأعلى ، وأنّ كورة[1] عمامته كان آنذاك مفتوحاً ومُنساباً إلى الأسفل ، وأنّ جزءاً من حافّة الكورة قد اكتنفه الغبار .

ولو شاهدتم الآن ذلك المجلس بعين البصيرة لا بعين البصر ، أي بعينٍ فوق الزمان ، لرأيتموه جالساً وقد استقبل الناس بوجهه ، مشغولاً بتفسير سورة الأعلى ، وكورة عمامته مسدله وقد اغبرّ جزء من حافّتها ، ولكانت جميع الخصائص ، حتّى تغيّر السحنة والقسمات والتبسّم وحركة اليدين ، مشهودةً بأجمعها . ولو اجتمع الأوّلون والآخرون فأرادوا في عالم الوجود أن يزيلوا غبار العمامة ذلك ويعدمونه لما استطاعوا ، ولو شاؤوا أن يزيدوا أو ينقصوا من عدد أنفاسه لما استطاعوا ، ولو شاؤوا أن يعدموا قطرة عرق واحدة من جبينه لما استطاعوا .

وما أعجب ما تبيّن آيات القرآن المباركة هذا الأمر بجلاء ووضوح :

وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا

---

١ ـ كورة : دورة لف العمامة . (المنجد) .

مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.[1]

حين يُحشر الإنسان يوم القيامة للحساب ويرتقي فوق الزمان ، فإنّه سيطّلع على جميع أفعاله وتصرّفاته ، فإن كان له درجات في تهذيب النفس ، فما أحراه أن يطّلع على جميع الموجودات ، فتكون بأجمعها حاضرة لديه .

ولو حصل أن أُزيل الزمان عنّا نحن البشر الزمنيّين ، لما رأينا الموجودات الفعليّة لوحدها ، بل إنّ جميع الموجودات السابقة ستكون هي الأُخرى حاضرة لدينا فعلاً ، لأنّ الزمان هو الذي يفصل بيننا وبين الموجودات السابقة أو اللاحقة ، فإن ارتفعنا ـ فرضاً ـ عن الزمان ، تساوى لدينا جميع الموجودات السابقة والحاليّة والمستقبليّة، وأمكننا أن ننظر إليها بأجمعها بنظرة واحدة فنطّلع على حالها . وسيكون الماضي والمستقبل آنذاك بلا معنى ، وسيكون السبق واللحوق بلا معنى ، وسيكون زمن آدم أبي البشر واحداً مع زمن النبيّ نوح ومع زمن الرُّسل الآخرين ومع زمن قيام قائم آل محمّد أرواحنا له الفداء ، أي أنّه لن يكون هناك زمان عموماً ليُميّز على أساسه سابقٌ ولاحق ، أو مقدّم ومؤخّر ؛ بل سيكون الجميع حاضرين في صفّ واحد من الثابتات .

أي أنّنا سنكون في تلك الحال في أُفق عالٍ واحد . وسنكون مُهيمنين مُسيطرين على جميع الموجودات في آنٍ واحد ، وعلى جميع الموجودات الزمانيّة من زمان آدم إلى يوم القيامة .

وكما أنّ الماضي لن يكون له من معنىً بالنسبة لنا ، فإنّ المستقبل هو

١ـ الآية ٤٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

الآخر سيكون بلا معنى . وسيكون كلّ عمل سيفعله أولادنا وأحفادنا في الدنيا إلى يوم القيامة حاضراً وموجوداً أمامنا . فإن سُئلنا : ماذا يدور في الدنيا ؟ وماذا حدث أمس ؟ فإنّنا سنتطّلع إليه ونجيب على الفور .

وإن سألوا مثلاً : ماذا كان حديث تينك الحمامتين اللتين عشعشتا في السنة الفلانيّة في الجبل الفلانيّ ؟ فإنّنا سنجيب فوراً ونصرّح بخصوصيّات حديثهما ونيّتهما .

وإذا ما سُئلنا الآن : ماذا في المسجد ؟ فإنّنا سنجيب فوراً : عدّة قطع من السجّاد ، منبر ، مكبّر للصوت ، ساعة جداريّة ، عدّة نسخ من القرآن الكريم ، و ... غير ذلك . بَيدَ أنّنا ـ باعتبارنا موجودين مكانيّين ـ لن نرى مكاناً آخر غير هذا المسجد الذي نجلس فيه ، فجدران المسجد هذه ، وسقفه هذا حاجب وحائل . أمّا لو ارتفعنا عن المكان ، فعشنا ـ فرضاً ـ في أُفق ليس فيه مكان ، فإنّ التفاوت سيزول آنذاك بين هذا المسجد وبين غيره ؛ فالجدار لم يعد حائلاً ، وستصبح جميع الأمكنة والمواضع فوق الأرض مشهودة لنا ومعلومة لدينا .

فإن سُئِلتم : ماذا يجرى في مكّة المكرّمة ؟ فإنّكم لن ترونها فقط ، بل وستكونون هناك أيضاً !

ماذا يجرى في الكرة الأرضيّة ؟ ماذا يجرى في كوكب النبتون ؟ ماذا يجرى في الشمس والقمر والزهرة والمجرّات ؟ إنّكم ستجيبون على الفور على جميع ذلك وكما أنّ **اللازمان** له السيطرة على جميع الأزمنة ، فإنّ **اللامكان** له السيطرة هو الآخر على جميع الأمكنة .

وهكذا فإنّ ما ورد في الأخبار والتواريخ من العلم الغيبيّ للأنبياء على نبيّنا وآله وعليهم السلام ، ولرسول الله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام هو من هذا القبيل .

إنّنا نرحل عن دار الدنيا ، فنذهب إلى حيث نعلو عن الزمان والمكان ـ ذلك لأنّ نفسنا الناطقة مجرّدة وليست زمانيّة أو مكانيّة ، في حين أنّ بدننا الطبيعيّ الذي يعيش في هذه الدنيا مادّيّ وغير مجرّد ـ فنرى أنفسنا آنذاك مهيمنين على أعمالنا وسيرتنا وتصرّفاتنا في الدنيا .

ولقد كانت نفسنا الناطقة ـ وهي روح قدسيّة ـ حبيسة قفص البدن أيّاماً معدودة ، أسيرةَ المادّة والماء والعلف ، أمّا حين يتحطّم القفص فتحلّق عالياً ، فإنّها سترى نفسها طليقةً في عالم القدس وفي فضاء التجرّد اللامتناهي ، فهي مطّلعة على كلّ مكان ، ولها المعيّة مع كلّ شخص ومع كلّ شيء .

ترا ز كنگرهٔ عرش مى‌زنند صفير
ندانمت كه در اين دامگه چه‌افتاده است

كه اى بلند نظر شاهباز سدره نشين
نشيمن تو نه اين كُنج محنت آباد است

غلام همّت آنم كه زير چرخ كبود
زهر چه رنگ تعلّق پذيرد آزاد است[1]

* * *

اگر چه مستى عشقم خراب كرد ولى
اساس هستى من زان خرابى آباد است

١ـ «ديوان حافظ» حرف التاء ، ص ١٠ ، الغزل رقم ١٥ : طبعة پژمان .

يقول : «إنّهم ينادونك من شرفات العرش ، أن ما الذي وقع في هذه الأحبولة والمصيدة ؟

فيا أيّها الصقر ذو النظر الثاقب ، المستقرّ في سدرة المنتهى ! ليس مأواك هذه الخربة المبنيّة بالمحنة !

تأسرني همّة مَن تحرّر طليقاً من كلّ ما يُتعلّق به تحت هذه السماء الزرقاء».

گدای کوی تو ازهشت خُلد مستغنی است

اسـیر بـند تـو از هـر دو عـالم آزاد است[1]

إنّ نفسنا الناطقة ، أي حقيقة إنسانيّتنا التي هـي خـليفة اللـه ، ليست زمانيّة ولا مكانيّة ، فجعلها الله متعلّقة بالمادّة ، أي بالبدن الزمانيّ المكانيّ . لذا فإنّنا سنكون أسرى مادمنا متمسّكين بالمادّة . فنحن نريد الاطّلاع على عالم التجرّد وسعة اللازمـان واللامكـان ، إلّا أنّ العـلائق المـادّيّة والهـوى والآمال البعيدة تفصل بيننا وبين ذلك العالم .

ومهما نـادى الأنـبياء وأوليـاء حـرم قـدس الربّ المـنّان : افـتحوا أعينكم !

إصغوابأسماعكم . أفرغوا قـلوبكم مـن حبّ الدنـيا ، لتكـونوا دوماً خفيفي الحمولة ، خفيفي الحركة ، وليكون الرجوع إلى عالم الأبـديّة سـهلاً لكم ! فإنّ الرائحة العفنة لجيفة الدنيا قد خدّرت مشاعرنا وأفسـدتها بـحيث صرنا لا نجيب بالإيجاب على نداء أُولئك الأجلّاء .

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ .[2]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ .[3]

إنّ علينا في النهاية أن نقطع عن أنفسنا علائق الدنيا ، ونـرتدي رداء

١ـ نفس المصدر ، الغزل ١٧ .

يقول : «مع أنّ نشوة العشق وسُكره قد بعث فيّ الخراب ، لكنّ أساس وجودي عامرٌ من هذا الخراب . (أي أنّ دمار العشق ليس إلّا عُمراناً) .

إنّ من شحذ في حيّك لمستغنٍ عن الجِنان الثمانية ، ومن أسره قيدك فهو حرٌّ عن العالمين» .

٢ـ النصف الثاني من الآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

الوجود وسعة فضاء القدس ، فإن لم نفعل ذلك اختياراً وطوعاً ، فإنّ الموت المكتوب على جبين جميع البشر ، والحركة من عالم المادّة والمدّة والورود إلى عالم التجرّد سيكون سيراً تكوينيّاً للجميع ، وسيصل الجميع - من ثَمّ - إلى صور الأعمال . سواءً في ذلك السعيد منهم والشّقيّ ، المؤمن منهم والكافر ؛ الجميع سيصلون إلى حيث يدركون وجودهم المجرّد . وحين سيدركون إدراكاً مجرّداً ، فإنّهم سيمتلكون السيطرة على جميع الأعمال التي فعلوها ، وسيدركون أنفسهم مع جميع الأعمال التي اجترحوها ، مع جميع أنواع الثواب وجميع أنواع العذاب . ولن يروا أنفسهم فقط ، بل وسيدركونها ويفهمونها . وكما ندرك في الدنيا أنفسنا وأعمالنا ، فإنّهم سيدركون أنفسهم وجداناً مع جميع الأعمال والنوايا .

الردّ على شبهة الآكل والمأكول : إنّ هناك جنّة وناراً . فأيّ جنّة وجهنّم أعلى من أن تظهر للإنسان هذه الصور التي تنشأ إثر الأعمال . بل هي نفس الأعمال الحسنة وحقائقها ؟ ومن أن تبرز للإنسان تلك الأعمال القبيحة مع حقائقها أيضاً ؟

سينكشف للإنسان ذلك الاستكبار والتمرّد والفرعونيّة التي بدرت منه . وتلك الغفلات التي كانت له في الدنيا ، والتي تمرّد وعصى بدافع منها . كما سينكشف له تلك الملامح الملكوتيّة والحقيقيّة . أي أنّ الإنسان سيدرك نفسه دفعةً واحدة مع جميع أعماله التي فعلها طيلة مدّة عمره .

وتلاحظون - بهذا البيان - كم هي واهية شبهة الآكل والمأكول ؟ وكم هي بعيدة عن مرحلة التحقيق ؟ فتلك الشبهة إنّما تعتمد على مبنى أصالة المادّة ؛ وأصالة المادّة في أنّ شيئيّة الشيء قائمة على ذلك الشيء . وهو كلام واهٍ وضعيف بحيث يهزأ به الأطفال . بل إنّ الحيوانات تتخطّاه فلا تُلقي له بالاً . ذلك لأنّكم لو ألقيتم قطعاً من السكّر في الخلّ ، ثمّ

أعطيتموه للطفل فإنّه لن يتناوله مع أنّ المادّة نفس المادّة ، لأنّ ذلك الطفل يعلم أنّ شيئيّة السكّر إنّما هي بصورة السكّر لا بمادّته . ولو لطّختم التبن والبرسيم بالخلّ ، لما أكله الحيوان آنذاك ، لأنّه يلتفت إلى الصورة لا إلى المادّة .

إِذْ صُورَةٌ بِصُورَةٍ لَا تَنْقَلِبْ   عَلَى الهَيُولَى الْانْحِفَاظُ مُنسَحِبْ

إنّ جميع الأجساد والأبدان ستُحشر بأجمعها يوم الجزاء ، وسيُحشر الآكل والمأكول بتمامهما وكمالهما؛ على أنّ شبهة الآكل والمأكول قائمة على أساس أصالة المادّة ، وليست المادّة شيئاً ، بل هي أمر مُبهم لا اسم له ولا تحصّل ولا وجود ولا شخصيّة ، بل إنّ حقائق الأشياء بصورها ، وهذه الصور ثابتة بالمادّة فهي لا تختلط ولا تمتزج ببعضها . كما أنّ الصورة لا تنقلب إلى أُخرى ، فتحفظ هيولى ومادّة تلك الصور بذلك التشخّص ، وهذا الحفظ سارٍ وجارٍ على الدوام .

فَفِي وِعَاءِ الدَّهْرِ كُلٌّ قَدْ وُقِي   مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ عِنْدَهُ بَقِي

ومع أنّ الصور مختفية عنّا ، وأنّ حجاب المادّة والمدّة والزمان والمكان لا يدعنا لحظة واحدة ندرك جميع الصور ، إلّا أنّ جميع الصور ، وجميع النفوس وجميع الأشياء ، وجميع الموجودات ، وأعمال كلّ واحد ، ثابتة وموجودة في موضعها في ظرف العصر ، وعالم الدهر وعالم الوجود والتكوين .

كما أنّ العمامة ذات التكويرة المسدلة المغبرّة موجودة إلى جانب ذلك وفي موضعها ، ومنظر أُولئك الذين شربوا شايهم المرّ قبل ثلاث سنوات فتناولوا معه حبّة سكّر واحدة محفوظ بهيئته . و مكان الذنب لذلك الذي أذنب محفوظ ، شأنه شأن مكان الطاعة المحفوظ بعينه لذلك الذي أطاع .

فهذه الأعمال مسجّلة ومدوّنة مع خصائصها ودقائقها وظرافتها . ومع

نيّتها والهدف المقصود بها ، بحيث إنّ الآلاف من البشر لو شاؤوا تدوين ذلك بذلك القدر من الدقّة والصحّة ، ومع حفظ الشرائط والمقدّمات والتقدّم والتأخّر لما أمكنهم ذلك .

بَيدَ أنّ الوجود يستلزم الوجود ، ولا يمكن ان يتبدّل إلى العدم ، فهم يحافظون عليها جميعاً ويحرسونها في ظرف الدهر وفي عالم الوجود والحقيقة . وبالرغم من أنّها تنفد لدينا وتهلك وتفنى ، إلّا أنّها لا تفنى عند الله عالم السرّ والخفيّات . فذلك العمل الذي فعلناه صار خفيّاً بالنسبة لنا ، لكنّه حاضر عند الله العليم الخبير . **لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ.**[1]

أوَ لم يقل سبحانه : **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ.**[2]

إنّ هذه الأعمال التي نقوم بها لها صورتان وجانبان ، جانب طبيعيّ ظاهريّ منسوبٌ لنا ، وجانب ملكوتيّ وباطنيّ منسوب إلى الله تعالى . فالجانب الظاهريّ معرّض دوماً للهلاك والفناء والاضمحلال ، أمّا الجانب الباطنيّ ! (أي الوجهة الإلهيّة الملكوتيّة) فثابت على الدوام ومتحقّق في عالم الخارج عند الله سبحانه .

تُبْلَى إذَا غِطَا زَمَانِنَا انْخَزَلْ مَرَاتِبُ السَّيَّالِ مَعْ كُلِّ عَمَلْ

وحين ينخزل غطاء الزمان وينشق ، فإنّ الأعمال التي فعلناها ستظهر دفعةً واحدة لنا مع جميع الموجودات التدريجيّة التي ظهرت واختفت في هذا العالم بصورة متعاقبة . وحين يأتي الموت الطبيعيّ أو الاختياريّ اختياراً أو اضطراراً ، فسيتّضح آنذاك ما الذي وراء الستار والغطاء، وستظهر

١ـ مقطع من الآية ٣ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٢ـ صدر الآية ٩٦ ، من السورة ١٦ : النحل .

الأعمال التي فعلناها وكنّا نتخيّل دوماً أنّها زالت ، وأنّ فلاناً لم يطّلع على عملنا ، وأنّ أحداً لم يطّلع على هذا العمل ، وأنّه لم يعلم بالفعل الفلانيّ . نتخيل أنّنا فعلنا العمل الفلانيّ ! فلم يعلم به أحد والحمد لله .

ونتخيّل أنّنا سبقنا الله تعالى وخلّفناه وراءنا. لكأنّنا لم ندرك ولم نفهم أبداً، ثمّ جئنا الآن إلى هنا، فانخزل الغطاء والستار من أمام الأبصار . ولم يدُر في خَلَدِنا أنّنا ذخرنا ذلك وجمعناه .

ثمّ يتصاعد صراخ الإنسان : ما الخبر يا إلهي ؟ أيّ عالمٍ هذا ؟ أيّ كتابٍ هذا ؟

فَذَلِكَ الكِتَابُ لَنْ يُغَادِرَا شَيْئاً صَغَائِراً وَلَا كَبَائِرَا[1]

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.[2]

إنّ جميع الأعمال التي فعلها الإنسان إنّما فعلها بنفسه ، فهي بعينها حاضرة أمامه ، وآنذاك سيعلم الجميع أنّ الله لم يظلم أحداً ، وأنّ هذه الأعمال بهذه الصور القبيحة الكريهة هي عين الأعمال التي اجترحها الإنسان بيده . وقدّمها أمامه ، فلقد سعّر جهنّم بيده ، وغرس أشجار الجنّة بيده . وجعل بيده نسائم الجنّة تهبّ على مشامه ، وسعّر لظى جهنّم وأشعلها بِيَدِهِ وبشرارته .

١ـ الأبيات المذكورة للحكيم السبزواريّ ، وذلك في «المنظومة» ص ٣٤٥ و ٣٤٦ .

٢ـ الآيات ٤٧ إلى ٤٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

زَاهِـدْ مَـنَ آلَّادْمَـا جَـهَنَّمْدَه اُودْ اُولْـمَارْ
اُلَّارْ كِهْ يَا نُولَّارْ اُودِى بُورْدَانْ آپَـارُو لَّار

يقول : لا تخدعني أيّها الزاهد ، فليس هناك في جـهنّم مـن نـار . إنّ الذين يحترقون هم الذين يصطحبون النار معهم من الدنيا .

المجلس الثامن والثلاثون

في الرد على الشبهات الواردة على المعاد الجسماني



بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم
الحمد للَّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم
وصلَّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ.[1]

أي أنّ نفس الإنسان ستعلم الأعمال التي قدّمتها سابقاً في قديم الأيّام ، والأعمال التي قدّمتها أخيراً في الأزمنة الحديثة . وبهذا المعنى جاءت الآية المباركة الثانية من السورة ٤٨ : الفتح :

لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.

العقائد المختلفة في المعاد حسب نقل صدر المتألّهين :

ينقل المرحوم صدرا رضوان الله عليه مطالب في «الأسفار» في عقائد الناس المختلفة في كيفيّة المعاد ، وهي مطالب تستحقّ التأمّل ، يقول فيها :

إنّ من الأوهام العامّيّة والآراء الجاهليّة رأي من ذهب إلى استحالة النفوس والأجساد وامتناع أن يتحقّق في شيء منهما المعاد ، وهم **الملاحدة**

١ـ الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٨٢ : الانفطار .

والطباعيّة [1] **والدهريّة** وجماعة من **الطبيعيّين والأطبّاء** الذين لا اعتماد عليهم في الملّة، ولا اعتداد برأيهم في الحكمة. زعماً منهم أنّ الإنسان ليس إلّا هذا الهيكل المحسوس حامل الكيفيّة المزاجيّة وما يتبعها من القوى والأعراض، وأنّ جميعها ممّا يعدم بالموت ويفنى بزوال الحياة ولا يبقى إلّا الموادّ المتفرّقة، فالإنسان كسائر الحيوان والنبات إذا مات فات، وسعادته وشقاوته منحصرتان فيما له بحسب اللذّات والآلام البدنيّة الدنيويّة. وفي هذا تكذيب للعقول على ما رآه المحقّقون من أهل الفلسفة، وللشرع على ما ذهب إليه المحقّقون من أهل الشريعة.

والمنقول من **جالينوس** في أمر المعاد هو التردّد والتوقّف بناءً على توقّفه في أمر النفس أنّه هل هي المزاج فتفنى بالموت ولا يعاد، أم هي جوهر مجرّد فهو باقٍ بعد الموت فلها المعاد. ثمّ من المتشبّثين بأذيال العلماء من ضمّ إلى هذا أنّ **المَعْدوم لَا يُعَادُ**، فإذا انعدم الإنسان بهيكله لم يمكن إعادته وامتنع الحشر.

والمتكلّمون منعوا هذا بمنع امتناع إعادة المعدوم تارةً، وبمنع فناء الإنسان بفساد هيكله أُخرى. فقالوا: إنّ للإنسان أجزاء باقية إمّا متجزّية أو

١ـ الفرق بينهما (بين الطباعيّة والدهريّة) أنّ الطباعيّة بعد الموادّ الجسمانيّة، وهي القوى الانفعاليّة لم يتفطّنوا من القوى الفعليّة والمبادئ الفاعلة إلّا بالقوى والطبائع المقارنة، ولم يعثروا بالمبادئ البرزخيّة والمجرّدات المضافة التي هي النفوس النطقيّة القدسيّة فضلاً عن المجرّدات المرسلة، فكيف على من له الأمر والخلق القدّوس السبّوح ربّ الملائكة والروح. والدهريّة تقول باقتضاء الزمان وفصوله للاجتماع والافتراق والحياة والموت ونحو ذلك فتبّاً لنظرهما وتعساً على فكرهما. نعم، مَن لا يعرف اللطيفة المجرّدة في ذاته كيف لا يعجز عن إثبات المجرّدات في الإنسان الكبير الخارج منه وعن معرفة الله تعالى. (الحكيم السبزواريّ قدّس سِرُّه).

غير متجزّية ، ثمّ حملوا الآيات والنصوص الواردة في بيان الحشر على أنّ المراد جمع الأجزاء المتفرّقة الباقية التي هي حقيقة الإنسان . والحاصل أنّ أصحاب الكلام ارتكبوا في تصحيح المعاد أحد الأمرين المستنكرين المستبعدين عن العقل بل النقل ، ولا يلزم شيء منهما . بل العقل والنقل حاكمان بأنّ المُعاد في الآخرة هو الذي كان مصدر الأفعال ومبدأ الأعمال مكلّفاً بالتكاليف والواجبات والأحكام العقليّة والشرعيّة . ثمّ لا يخفى أنّ الشبهة لا تنقلع عن أراضي أوهام الجاحدين المنكرين للحشر والقيامة ، إلّا بقطع أصلها . وهو أنّ الإنسان بموته يفنى ويبطل ولا يبقى ، لأنّه ليس إلّا الهيكل مع مزاج أو صورة حالّة فيه . وقد مرّ قطع هذا الأصل مستقصى .

وقد اتّفق المحقّقون من الفلاسفة والملّيين على حقّيّة المعاد وثبوت النشأة الباقية ، لكنّهم اختلفوا في كيفيّته ، فذهب جمهور الإسلاميّين وعامّة الفقهاء وأصحاب الحديث إلى أنّه جسمانيّ فقط بناءً على أنّ الروح عندهم جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد والزيت في الزيتونة ، وذهب جمهور الفلاسفة وأتباع المشّائين إلى أنّه روحانيّ ، أي عقليّ فقط ، لأنّ البدن ينعدم بصوره وأعراضه لقطع تعلّق النفس عنها . فلا يُعاد بشخصه تارة أُخرى ، إذ المعدوم لا يعاد . والنفس جوهر مجرّد باقٍ لا سبيل إليه للفناء ، فتعود إلى عالم المفارقات لقطع التعلّقات بالموت الطبيعيّ .

وذهب كثير من أكابر الحكماء ومشايخ العرفاء وجماعة من المتكلّمين ، كحجّة الإسلام **الغزّاليّ والكعبيّ والحليميّ والراغب الإصفهانيّ** ، وكثير من أصحابنا الإماميّة **كالشيخ المفيد وأبي جعفر الطوسيّ والسيّد المرتضى والعلّامة الحلّيّ والمحقّق (الخواجة نصير الدين الطوسيّ)** رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى القول

بالمعادين[1] جميعاً ذهاباً إلى أنّ النفس مجرّدة تعود إلى البدن ، وبه يقول جمهور النصارى والتناسخيّة ، إلّا أنّ الفرق بأنّ محقّقي المسلمين ومن يحذو حذوهم يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى البدن لا في هذا العالم ، بل في الآخرة ، والتناسخيّة بقدمها وردّها إلى البدن في هذا العالم ، ويُنكرون الآخرة والجنّة والنار الجسمانيّتين . ثمّ إنّ هؤلاء القائلين بالمعادين جميعاً اختلفت كلماتهم في أنّ المعاد من جانب البدن ، أهو هذا البدن بعينه أو مثله ، وكلّ من العينيّة أو المثليّة أيكون باعتبار كلّ واحد من الأعضاء والأشكال والخطوط أم لا ، والظاهر أنّ هذا الأخير لم يوجبه أحد ، بل كثير من الإسلاميّين مال كلامهم إلى أنّ البدن المُعاد غير البدن الأوّل بحسب الخلقة والشكل .

وربّما يستدلّ عليه ببعض الأخبار المذكورة فيها صفات أهل الجنّة والنار ككون أهل الجنّة جرداً مرداً ، وكون ضرس الكافر مثل جبل أُحد . وبقوله تعالى : **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ**.[2]

وبقوله تعالى : **أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم**.[3]

١ـ هذا هو القول الفحل والرأي الجزل ، لأنّ الإنسان بدن ونفس ، وإن شئتَ قلتَ نفسٌ وعقل ، فللبدن كمال ومجازاة ، وللنفس كمال ومجازاة ، وكذا للنفس وقواها الجزئيّة كمالات وغايات تناسبها ، وللعقل وقواه الكلّيّة كمال وغاية . ولأنّ أكثر الناس لا تناسبهم الغايات الروحانيّة العقليّة ، فيلزم التعطيل في حقّهم في القول بالروحانيّ فقط ، وفي القول بالجسمانيّ فقط يلزم في الأقلّين من الخواصّ والأخصّين . (الحكيم السبزواريّ قدّس سرّه) .

٢ـ مقطع من الآية ٥٦ ، من السورة ٤ : النساء .

٣ـ الآية ٨١ ، من السورة ٣٦ : يٰس .

فإن قُلت : فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذات والآلام الجسمانيّة غير مَن عمل الطاعة وارتكب المعصية .

قيل في الجواب : العبرة في ذلك بالإدراك وإنّما هو للروح ولو بواسطة الآلات وهو باقٍ بعينه ، ولهذا يُقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة إنّه هو بعينه وإن تبدّلت الصور والمقادير والأشكال والأعراض ، بل كثير من الأعضاء والقوى ، ولا يُقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب إنّها عقاب لغير الجاني ، هذا تحرير المذاهب والآراء ، والحقّ كما ستعلم أنّ المُعاد في المعاد هو هذا الشخص بعينه نفساً وبدناً ، فالنفس هذه النفس بعينها ، والبدن هذا البدن[1] بعينه ، بحيث لو رأيته لقلت رأيته بعيني فلان الذي كان في الدنيا . وإن وقعت التحوّلات والتقلّبات إلى حيث يُقال هذا ذهب وهذا حديد ، وربّما ينتهي في كلاهما إلى حيث يتّحدان ويصيران عقلاً محضاً واحداً ، ومن أنكر ذلك فهو مُنكر للشريعة ناقص في الحكمة ، ولزمه إنكار كثير من النصوص القرآنيّة .[2]

ويعدّ كثيرٌ من المتكلّمين كالفخر الرازيّ ومن حذا حذوه في باب الاعتقاد بحشر الأجساد ، المعادَ مادّيّاً طبعيّاً بهذه المادّة الكثيفة الظلمانيّة .

ولإيضاح مرامهم فإنّنا نورد عين عبارات صدر المتألّهين :

---

١ ـ أي البدن البرزخيّ والأُخرويّ هذا البدن الدنيويّ ، لكن لا بوصف الدنيويّة والطبيعيّة ، وإنّما كان هو هو بعينه لما مضى ، وسيأتي أنّ شيئيّة الشيء بصورته ، أي الصورة البدنيّة ، لا بمادّته وصورته التي بمعنى ما به الشيء بالفعل وهو النفس ـ والنفس متشخّصة ـ فإذا كان متشخّص هذا وذاك باقياً ، فكيف لا يكون الشخص بمعناه وصورته باقياً ، وتشخّص النفس بالوجود الحقيقيّ وهو عين وحدتها وتشخّصها ، وسيحقّق المصنّف قدّس سرّه المقام بأبلغ وجه (الحكيم السبزواريّ قدّس سرُّه)

٢ ـ «الأسفار» ج ٩ ، ص ١٦٣ إلى ١٦٦ ، من الطبعة الحروفيّة .

نظرية المتكلّمين في المعاد الجسمانيّ :

إنّ المعاد عندهم عبارة عن جمع متفرّقات أجزاء مادّيّة لأعضاء أصليّة باقية عندهم ، وتصويرها مرّة أُخرى بصورة مثل الصورة السابقة لتتعلّق النفس بها مرّة أُخرى ، ولم يتفطّنوا بأنّ هذا حشرٌ في الدنيا لا في النشأة الأُخرى ، وعودٌ إلى الدار الأُولى دار العمل والتحصيل لا إلى الدار العقبى دار الجزاء والتكميل ؛ (وهي عقيدة تعود إلى التناسخ) فأين استحالة التناسخ ؟ وما معنى قوله تعالى : **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ**.[1] وقوله تعالى : **نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا**.[2]

ولا يخفى على ذي بصيرة أنّ النشأة الثانية طور آخر من الوجود يُباين هذا الطور المخلوق من التراب والماء والطين ، وأنّ الموت والبعث ابتداء حركة الرجوع إلى الله أو القرب منه ، لا العود إلى الخلقة المادّيّة والبدن الترابيّ القذر الظلمانيّ .

ثمّ جعل الفخر الرازيّ في «التفسير الكبير» يستدلّ على إثبات ما فهمه وتصوّره من معنى الحشر والمعاد بآيات قرآنيّة وقعت في باب القيامة والبعث ، ويحملها على ما وافق طبعه ورأيه . فقال : إنّ قوله تعالى في سورة الواقعة من الآيات إشارة إلى جواب شبهة المنكرين الذين هم من أصحاب الشمال المجادلين ، فإنّهم قالوا :

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ.[3]

١ـ الآيتان ٦٠ و ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

٣ـ الآيتان ٤٧ و ٤٨ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

وأُشير إلى إمكانها هذا بوجوه أربعة :

أوّلها : قوله تعالى : **أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ**.[1]

وثانيها قوله تعالى : **أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ**.[2]

وثالثها قوله تعالى : **أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ**.[3]

والرابع من تلك الوجوه قوله تعالى : **أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ**.[4]

ثمّ نقل الفخر الرازيّ مطالب في تفسير الآيات وتأويلها على مراده ، بحيث تعسّف في حملها على ما يخرج عن مفادها ومضمونها ، وبحيث يمكن أن يُعَدّ تحريفاً معنويّاً للآيات ، وقد أعرضنا عن نقل كلامه اجتناباً للإطالة .

ثمّ يقول الملّا صدرا بعد ذلك : وهذا نهاية ما بلغ إليه فهم أهل الكلام . وغاية ما وصلت إليه قوّة نظر علماء الرسوم في إثبات النشأة الأُخرى وحشر الأجسام ونشر الأرواح والنفوس ، وفيه مع قطع النظر عن مواضع المنع والخدش ، وعن تحريف الآيات القرآنيّة عن معانيها والأغراض المتعلّقة بها المقصودة منها المنساقة هي إليها ولأجلها ـ كما

١ـ الآيتان ٥٨ و ٥٩ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢ـ الآيتان ٦٣ و ٦٤ ، من السورة ٥٦ : الواقعة

٣ـ الآيتان ٦٨ و ٦٩ ، من السورة ٥٦ ، الواقعة .

٤ـ الآيتان ٧١ و ٧٢ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

سنشير إليه ـ أنّ ما قرّره وصوّره ليس من إثبات النشأة الأُخرى وبيان الإيمان بيوم القيامة في شيء أصلاً .

فإنّ الذي يثبت من تصوير كلامه وتحرير مرامه ليس إلّا إمكان أن يجتمع متفرّقات الأجزاء المنبثّة في أمكنه متعدّدة وجهات مختلفة من الدنيا ، ويقع منظمّاً بعضها إلى بعض في مكان واحد ، ويفيض عليها صورة مماثلة للصورة السابقة المعدمة ؛ فيعود الروح من عالمه التجرّديّ القدسيّ بعد أحقاب كثيرة كانت فيه في روح وراحة تارةً أُخرى إلى هذا العالم ، متعلّقة بهذا البدن القذر المظلم .

وإنّما سُمّي يوم الآخرة بيوم القيامة ، لأنّ فيه يقوم الروح عن هذا البدن الطبيعيّ مستغنياً عنه في وجوده قائماً بذاته وبذات مُبدعه ومنشئه ، والبدن الأُخرويّ قائم بالروح هناك ، والروح قائم بالبدن الطبيعيّ هنا ، لضعف وجوده الدنيويّ وقوّة وجوده الأُخرويّ .

وبالجملة كلامه أشبه بكلام المنكرين للآخرة منه بكلام المقرّين بها ، فإنّ أكثر الطباعيّة والدهريّة هكذا كانوا يقولون ، يعني أنّ الموادّ العنصريّة تجتمع بواسطة هبوب الرياح ونزول الأمطار على الأرض ووقوع الأشعة الشمسيّة والقمريّة وغيرهما عليها ، فيحصل من تلك الموادّ إنسان وحيوان ونبات ، ثمّ تموت وتتفسّخ صورها ، ثمّ تجتمع تلك الأجزاء مرّة أُخرى على هذه الهيئة أو على هيئة أُخرى قريبة منها ، فيحصل منها أمثال هذه المواليد تارة أُخرى . إمّا مع بقاء النفوس والأرواح كما يقوله التناسخيّة ، أو مع حدوث طائفة منها وبطلان طائفة سابقة .

وليت شعري مَن الذي أنكر أن يحدث من ماء وتراب ومادّة بعينها تارةً بعد أُخرى صورة شبيهة بالصورة الأُولى حتّى يكون المطلوب إثبات قدرة الله في ذلك . وجملة الأمر أنّ هؤلاء القوم من أصحاب اللقلقة

والكلام وأهل المجادلة والتخاصم لم يعلموا أنّ مقصود التكاليف ووضع الشرائع وإرسال الرسل وإنزال الكتب ليس إلّا لتكميل النفوس الإنسانيّة ، وتخليصها عن هذا العالم ودار الأضداد ، وإطلاقها عن أسر الشهوات وقيد الأمكنة والجهات ، ولا يحصل هذا التكميل والتجريد إلّا بتبديل هذه النشأة الداثرة المتجدّدة إلى النشأة الباقية الثابتة .

وهذا التبديل إلى النشأة الباقية موقوف على : أوّلاً : معرفتها والإيمان بوقوعها .

وثانياً : أنّها الغاية الأصليّة المقصودة من وجود الإنسان ، التي يتوجّه إليها بمقتضى فطرته الطبيعيّة لو لم ينحرف عن مسلكها بواسطة الجهالات وارتكاب السيّئات .

وثالثاً : العمل بمقتضاها وما يسهل السبيل إليها وتدفع القواطع المانعة عنها .

فالغرض الإلهيّ من هذه الآيات الدالّة على حقيقة المعاد هو التنبيه على نحو آخر من الوجود ، والهداية إلى عالم غائب عن هذه الحواس ، باطن عن شهود الخلائق ، وهو مسمّى بعالم الغيب وهذا بعالم الشهادة ، وهو عالم الأرواح وهذا عالم الأجساد . وكما أنّ الروح باطن الجسد ،كذلك عالم الآخرة باطن هذا العالم .

ثمّ لمّا كان إثبات نحو آخر من الوجود يخالف هذا الوجود الطبيعيّ الوضعيّ ، ونشأة أُخرى باطنة تُباين هذه النشأة الظاهرة أمراً صعب الإدراك مستعصياً على أذهان أكثر الناس ، جحدوه وأنكروه . وأيضاً لإلفهم بهذه الأجساد وشهواتها ولذّاتها يصعب عليهم تركها وطلب نشأة تضادّ هذه النشأة ، ولذلك لم يتدبّروا في تحقيقها وكيفيّتها ، بل أعرضوا عنها وعن آياتها .كما قال تعالى :

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ.[١]

وَرَضُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا.[٢]

وأخلدوا إلى الأرض كما قال: وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ.[٣]

ونحن رأينا كثيراً من المنتسبين إلى العلم والشريعة انقبضوا عن إثبات عالم التجرّد، واشمأزّت قلوبهم عن ذكر العقل والنفس والروح ومدح ذلك العالم ومذمّة الأجساد وشهواتها المحسوسة ودثورها وانقطاعها، وأكثرهم توهّموا الآخرة كالدنيا ونعيمها كنعيم الدنيا إلّا أنّها أوفر وأدوم وأبقى، ولأجل ذلك رغبوا إليها وفعلوا الطاعات لأجلها طالبين قضاءً لوطر شهوة البطن والفرج، ولأجل ما ذكرناه تكرّر في القرآن العظيم ذكر الآيات الدالّة على النشأة الآخرة والبعث والقيام، ليتنبه الإنسان من نوم الجهالة ورقدة الغفلة، فيتوجّه نحو الآخرة ويتبرّأ من البدن وقيوده، من الدنيا وتعلّقاتها، متطهّراً عن الأدناس والأرجاس، متشوّقاً إلى لقاء الله، ومجاورة المقرّبين والاتّصال بالقدّيسين.[٤]

وإجمال الأمر، فإنّ محصّل كلام هذا الرجل الجليل هو أنّ عالم الآخرة غير عالم الدنيا، وفي طول الدنيا وفي تكاملها وترقّيها. وإذا تقرّر أن تكون هذه المادّة القذرة الظلمانيّة الأرضيّة هناك، فلن يكون هناك

١ـ الآية ١٠٥، من السورة ١٢: يوسف.

٢ـ مقطع من الآية ٧، من السورة ١٠: يونس.

٣ـ مقطع من الآية ١٧٦، من السورة ٧: الأعراف.

٤ـ «الأسفار» ج ٩، ص ١٥٣ إلى ١٥٨، الطبعة الحروفيّة.

ـ إذاً ـ عالم للآخرة ونشأة للقيام والقيامة . بل سيكون العالم هناك عالمَ الدنيا .كما أنّ المعتقدين بمثل هذا المعاد قد أنكروا المعاد في الحقيقة ووطّنوا قلوبهم على دوام الحياة الدنيا كفعل الطبيعيّين والدهريّين .

كما أنّ المعاد الجسمانيّ ـ لا المعاد الطبيعيّ الماديّ ـ من ضروريّات الدين وممّا يلزم الاعتقاد به ، ويتكفّل العقل بإثباته ؛ فالإنسان سيكون هناك ببدنه الجسمانيّ ـ لا ببدنه الطبيعيّ الماديّ ـ مورد نعم الله أو عذابه . بَيدَ أنّ هؤلاء المنتسبين للعلم والشريعة لم يضعوا فارقاً بين الجسم والمادّة ، فتوهّموا المعاد الجسمانيّ معاداً مادّيّاً طبيعيّاً ، مع أنّ الاعتقاد بالمعاد الماديّ أمرٌ مخالف لضرورات الإسلام ولآيات القرآن الكريم وللروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، وعائد في حقيقة الأمر إلى مذهب المادّيّين والطبيعيّين والقائلين بالتناسخ . على أنّ الآية المباركة :

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.[1]

والروايات الدالّة على أنّ جسم عالم الآخرة ألطف من هذه الأجسام ، وأنّ الناس لا يحتاجون في القيامة إلى دفع الأقذار ، وأنّ جميع ما يأكلونه ويشربونه يصبح جزءاً من البدن ، وأنّ أهل الجنّة يُحشرون في تلك النشأة في هيئة شباب نضرين بوجوه جميلة فاتنة ، دون نقص عضويّ ، كالعمى والصمم والعرج ؛ وأنّ أهل جهنّم يحشرون في صور قبيحة منكرة عمياناً ؛ تدلّ بأجمعها على أنّ جسم ذلك العالم ليس كمادّة هذا العالم وطبيعته الكثيفة . بل هو جسم لطيف يظهر إثر تجلّي النفس وظهورها في ذلك العالم . وقد صوّرنا بحول الله وقوّته بإحدى الطرق المعادَ الجسمانيّ بهذا البدن العنصريّ والهيكل المادّيّ الطبيعيّ وسنورده في البحث الآتي إن شاء

١ـ صدر الآية ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

الله تعالى .

بَيدَ أنّ ما أجاب به المتكلّمون عن الإشكالات الواردة على المعاد الجسمانيّ مخدوش بأجمعه ولا يمكن قبوله .

ولقد ذكر أنّ إحدى الإشكالات التي تورد على المعاد الجسمانيّ شبهة الآكل والمأكول ، وقد أجبنا بحمد الله ومنّه على هذه الشبهة ، فاتّضح جليّاً أنّها تفتقر إلى الأساس الصحيح . وبالالتفات إلى أنّ حقيقة الأشياء هي باعتبار أنّ شيئيّتها بصورتها لا بالمادّة ، فإنّ تلك الشبهة ليست شبهة في الحقيقة ، بل نوعاً من المغالطة . وكما قلنا فإنّ تشخّص الأشياء ووجودها ، إنّما يحصل بالصورة التي هي محفوظة على الدوام في عالم الوجود . لذا فإنّ شبهة الآكل والمأكول مردودة من أساسها ومنشأها .

على أنّ بعض المتكلّمين الذين لا تضلّع لهم في الحكمة الإلهيّة والعلوم العقليّة ، قد أجاب عن هذه الشبهة بأنّ هذا الإشكال إنّما يرد حين يريد الله يوم القيامة بعث جميع بدن الآكل وجميع بدن المأكول . إذ إنّ هذا الإشكال سيكون وارداً آنذاك . فإنّه سُبحانه إن شاء حشر بدن الآكل ، فسيكون بدن المأكول غير محشور بتمامه ، وإن حَشَرَ المأكول ، كان بدن الآكل غير محشور بتمامه .

وهكذا فإنّ بدن زيد الآكل المؤمن ، أو بدن عمرو المأكول الكافر سيكون غير محشور ، مع أنّ ما خلقه الله تعالى من هذين البدنينِ أجزاءهما الأصليّة التي يرتبط بها القوام الوجوديّ لهذين البدنينِ ، وقوام زيد وعمرو . وذلك لأنّ لكلّ شخص أجزاءً أصليّة في بدنه ، كما أنّ له أجزاءً أُخرى تُضاف إلى الأجزاء الأُولى . ومن ثَمّ فإنّ الأجزاء الزائدة الفائضة هي على الدوام تلك التي تُزاد على الأجزاء الأصليّة .

فالطفل الذي يولد من الأمّ ـ مثلاً ـ له بدن خارجيّ موجود

ذو تشخّصات ومزايا ، وله صفات خاصّة ومواصفات بلحاظ الشكل واللون والقامة وغير ذلك . حيث إنّ تلك المواصفات الأُولى ستبقى دون تغيير مهما نما بدنه بعدئذٍ وكبر إثر التغذية بالموادّ المختلفة .

ولو كان هذا الطفل يزن عند ولادته ثلاثة كيلو غرامات مثلاً ، فزاد وزنه في شبابه إثر النموّ إلى مائة كيلو غرام ، فإنّ شكله وتناسب قامته وهيئة هيكله العظميّ ولون بشرته وخطوط باطن يده وقدمه وسائر الجهات التي تُعدّ من مميّزاته وعلاماته الفارقة ستبقى دون تغيّر مهما كان طفيفاً .

ولو مرض هذا الشخص ، أو أدرك سنّ الكهولة والشيخوخة ، فهبط وزنه من مائة كيلو غرام إلى خمسين ، لما طرأ على خصائصه وعلاماته الفارقة تغيير ما .

وهكذا فإنّ ما أُضيف إلى البدن أو أُنقص منه هو الأجزاء الزائدة الفائضة ، أمّا الأجزاء الأصليّة فباقية في البدن على الدوام، لا يطرأ عليها الزوال والفناء والبوار أبداً . ولهذه الجهة فإنّ شكل أفراد البشر وشمائلهم ثابتة لا تتغيّر ، وهكذا يعرف الناس بعضهم بهذه المميّزات ويشخّصونهم عن غيرهم .

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة هذه الأجزاء الأصليّة لبدن الآكل والمأكول . وكما قيل فإنّ تلك الأجزاء باقية وثابتة دوماً وغير قابلة للفناء والبوار ، لأنّ قوام الأبدان ووجودها بتلك الأجزاء . أمّا الأجزاء الفائضة الموجودة دوماً في هيئة زيادات ، والتي لها دخول في بدن الإنسان وخروج منه ، فهي تتبدّل إلى غذاء ، وتتحوّل إلى دم ، ثمّ إلى لحم وعظم ، ثمّ تتحوّل إلى غاز لكونها بدل ما يتحلّل ، فتنتشر في الفضاء ؛ فهي جميعاً خارجة عن البدن .

فيكون لبدن الإنسان حكم المجرى ، يرد فيه الماء باستمرار من

جهة ، ويخرج من الأُخرى . وستكون الأجزاء الأوّليّة هي التي تشكّل إنسانيّة الإنسان بلحاظ البدن والطبيعة . وهي ثابتة وباقية باستمرار ، سواءً في الآكل أم في المأكول . أمّا الأجزاء الأُخرى فلها حكم الماء الداخل من إحدى جهات مجرى البدن والخارج من المجاري الأُخرى ، ومن جملتها جميع خلايا البدن .

وحين يأكل الإنسانُ الآكل الإنسانَ المأكول ، فإنّ الأجزاء الأصليّة والفائضة لبدن المأكول ستدخل بدن الآكل ، فأمّا الأجزاء الفائضة فتبقى في بدنه وتتحوّل إلى غذاء ، وتتحلّل وتستحيل عصارةً ودماً . وأمّا الأجزاء الأصليّة فلا توقّف لها ولا استقرار ، فهي تصبح دونما تغيّر أو تبدّل في هيئة بدل ما يتحلّل ، فتخرج من بدن الآكل بلا فاصلة ،كما أنّ الأمر على هذا النحو في المأكول أيضاً .

والخلاصة فإنّ الأجزاء الفائضة لبدن المأكول ـ وليس أجزاؤه الأصليّة ـ هي التي تصبح جزءاً من بدن الآكل ، ولا يلزم من ذلك ـ والحال هذه ـ أيّ إشكال واعتراض . هذه هي الإجابة التي أجابوا بها على الإشكال .

إلّا أنّه قد اعتُرض على هذه الطائفة من المتكلّمين بأنّ هذه الأجزاء الأصليّة للشخص المأكول لو صارت فعلاً أجزاءً فائضة في بدن الشخص الآكل ، لصارت مبدأ موجود آخر ،كأن تتبدّل في بطن المأكول إلى نطفة ـ مثلاً ـ فتكون مبدأً لتكوّن شخص ثالث . وفي هذه الحالة فإنّ الأجزاء الأصليّة للمأكول ستكون قد صارت أجزاءً أصليّة لذي نفس آخر . وهكذا فإنّ الإشكال سيتكرّر .

ويجيب المتكلّمون بأنّ الله تعالى يحفظ الأجزاء الأصليّة للمأكول ، بحيث لا تصبح ضمن الأجزاء الأصليّة لموجودٍ آخر ، والله تعالى قادر على حفظها . ومع أنّ الأجزاء الفائضة للمأكول ستصبح بأجمعها غذاءً للشخص

الآكل ، إلّا أنّ هذه الأجزاء الأصليّة فقط تبقى من بينها دون أن تصبح غذاءً للآكل ، فتخرج من بدنه سالمة وتبقى محفوظة . وهكذا فإنّ هذه الأجزاء تدخل سالمة وتخرج سالمة . ومن ثَمّ فإنّ ذلك الموجود الذي ينشأ في بدن الآكل في هيئة نطفة يصبح مبدأ تكوّن إنسان ثالث قد تكوّن حتماً من الأجزاء الفائضة لبدن المأكول وليس من أجزائه الأصليّة .

ولله سبحانه من القدرة بحيث يمكنه حفظ تلك الأجزاء الأصليّة في خضمّ هذا الصراعات ومراتب الدخول والخروج ، فلا يدع التغيير يطرأ عليها، ولا أن تصبح جزءاً أصليّاً من بدن الآكل أو جزءاً أصليّاً من بدنٍ ثالث ينشأ من نطفة الآكل .

وهكذا فإنّ هذه الأجزاء الأصليّة سترد في بطون الناس في الأحقاب المختلفة ، فترد وتخرج إلى يوم القيامة دون أن تصبح جزءاً من بدنٍ من تلك الأبدان .

وإجمالاً فقد شاؤوا بهذه الأجوبة الفرار والتملّص من الإشكال بدلاً من الإجابة عليه ، وذلك لأنّه لو كان هناك مثال في الدنيا أوهن من بيت العنكبوت لَكانَ جواب هؤلاء السادة .

وذلك **أوّلاً** : **لعلّ** الله يحفظ تلك الأجزاء الأصليّة ، ولعلّها لا تصبح جزءاً للآكل ، والأمر لا يتمّ بـ «لعلّ» و «ليت» و « كأنّ» وأمثالها .

إنّ على من يخوض المسائل الفلسفيّة ، وخاصّة أُصول العقائد ، أن يُقيم البرهان الذي يجب أن تكون صغراه وكبراه يقينيّتينِ . لأنّ النتيجة تتبع أخسّ المقدّمتين . ولا يمكن وضع أساس أصل اعتقاديّ بـ «**ليت**» و «**لعلّ**» و «**ربّما**» و «**أظنّ**» ، فهي أشبه بالخطاب الذي لا ارتباط له بالقياس والبرهان . ولا سبيل في العلوم أبداً لمثل هذه الطرق والخطط التي لا تساوي قرشاً أسوداً .

وثانياً : لننظر إلى آدم أبي البشر الذي تزوّج من **حوّاء** فانتشر من نسله البشر في العالم :

وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً.[1]

أفكان جميع هذا النسل الكثير إلى يوم القيامة من الأجزاء الأصليّة لآدم وحوّاء ، أم من الأجزاء الفائضة ؟

فإن كانوا من الأجزاء الأصليّة ، فيتضّح بذلك أنّ جزءاً أصليّاً قد خرج من آدم فصار ولداً له . فإن شاء الله ـ والحال هذه ـ حشر آدم يوم القيامة دون أجزائه الأصليّة المنفصلة عنه التي شكّلت أولاده إلى يوم القيامة ، لكان هناك نقصان في أجزاء آدم الأصليّة ، ولما حُشرت أجزاء آدم الأصليّة بكاملها .

وبغضّ النظر عن ذلك ، فكم سيتوجّب أن يكون آدم هذا من الضخامة وا لسمنة والقوّة بحيث يخرج منه إلى يوم القيامة أطفال في هيئة نطفة ـ ولو كانت بقدر ذرّة لا تُرى ـ فيتدفّق هذا النسل من صلبه بلا حصر ولا نهاية !

لقد كان حريّاً حقّاً بآدم هذا أن يكون أكبر من جبل **أبي قُبيس** ، بل ومن أكبر جبال العالم ، إذ لو فرضنا كلّ طفل بقدر ذرّة واحدة ، لتوجب أن تكون في بدن آدم ذرّات بلا نهاية لتنتقل إلى أولاده في هيئة أجزاء أصليّة على نحو الانقباض والتراكم وإلى يوم القيامة . وسيكون بدن آدم في هذه الحال كبيراً بلا انتهاء . بينما نعلم أنّ آدم أبا البشر لم يمتلك بدناً كهذا .

وهكذا فإنّ المتكلّمين مُجبرون على القول بأنّ أولاد آدم ليسوا من أجزائه الأصليّة ، بل من أجزائه الفائضة الزائدة .

١ـ مقطع من الآية ١ ، من السورة ٤ : النساء .

لقد كانت لآدم نفسه أجزاء أصليّة ، ثمّ ظهر أولاده من الأجزاء الفائضة ، كما أنّ الأولاد الذين ينشأون لأفراد البشر ، إنّما ينشأون من أجزائهم الفائضة لا الأصليّة . ومن ثَمّ فحين يحشرهم الله تعالى ، فلن يكون من أجزائهم الأصليّة شيء داخل الآكل ، كما أنّه نفسه سيكون وجوداً مستقلاً نشأ من أجزائهم الفائضة .

وسيقال لهم إن أجابوا بهذه الإجابة ـ وهم مُجبرون على الالتزام بهذه المقولة ـ إنّنا لا نرى تفاوتاً بين الأجزاء الأصليّة والفائضة ! وأساساً فما الذي يعنيه تصنيفكم للأجزاء إلى أصليّ وفائض ؟!

فلقد فرضتم حين وقعتم في مأزق شديد وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ، أنّ آدم أو أولاده يمتلكون أجزاءً أصليّة وأجزاءً فائضة .

ونسأل : ما هي هذه الأجزاء الأصليّة ؟ وما هي الأجزاء الفائضة ؟ أرونا إيّاها !

ويقولون : إنّ الأجزاء الأصليّة هي الأجزاء الأُولى التي كان أصل الإنسان منها .

ونقول : أيّها ؟ أهي ذلك الطفل المولود في الدنيا حديثاً ؟

فيجيبون : نعم !

ونقول : لقد كان هذا الطفل في بطن أُمّه ، فأضيفت له أشياء حتّى استوى وقدم إلى الدنيا ، فما هي هذه الأجزاء الأصليّة للجنين والطفل في الرحم ؟

فيقولون : أجزاؤه الأصليّة هي النطفة التي استقرّت في الرحم فأُضيفت لها باستمرار إضافات ، فنمت وكبرت حتّى بلغت هذا الحدّ .

ونقول : فهل كانت الأجزاء الأصليّة جميع النطفة أم قدراً منها ؟

ويجيبون : كانت ذرّة واحدة من النطفة تُدعى **بالحويمن** .

وعليه فإنّ الله حين يحشر إنساناً وزنه في الدنيا أو حال الموت مائة كيلو غرام فيريد تعذيبه أو إثابته ، فإنّه يبعث منه فقط حويمناً واحداً ، أي ذرّة واحدة غير مرئيّة (تشكّل جزءاً واحداً من أربعة ملايين جزء من القطرة الواحدة) ، فيكون السؤال والجواب والعرض والصراط والكتاب والحشر والنشر والجنّة والنار بأجمعها لهذا الحويمن الواحد . فهم يصنعون منه بدناً فيجعلونه مورد الجزاء .

نُقسم عليكم بالله ، أضيّقةٌ هي شريعة الإسلام وفلسفته إلى هذا الحدّ ، لنضطرّ من أجل الدفاع عنها إلى حشر أنفسنا في هذا المأزق ، ونضعها بين هذه العجلات المسنّنة وهذه الفرضيّات المختلفة المجعولة الخاطئة ؟!

أليس جعل الإنسان مادّيّاً في يوم القيامة ، بل جعله ذرّة غير مرئيّة (حويمناً) لعباً واستخفافاً بمقدّسات مقام الإنسان والجزاء والشريعة والخالق وعوالم الغيب ؟

وعلاوة على ذلك ، فتعالوا وافصلوا الأجزاء الأصليّة عن الفائضة !

ذلك لأنّ هذه النطفة التي هي ذرّة واحدة (حويمن) حين تذهب إلى بطن الأُمّ فتضمّ إلى نفسها أجزاءً أُخرى ، فإنّ تلك الأجزاء ستصبح مثلها ، وسوف لن يبقى ذلك الحويمن على حاله بتلك الخصوصيّة والشخصيّة والصورة بعد إضافة أشياء أُخرى إليه ، فالأمر ليس كما تقولون .

افرضوا أنّ لديكم قدحاً من الماء فصببتموه داخل طست فيه ماء ، فإنّ ماء ذلك القدح لن يحفظ صورته الوجوديّة ، بل سيفقدها جبراً فيشكّل ماء الطست مع ماء القدح الثاني والثالث ومجموع مياه مِائة قدح أو أكثر ، ويتّخذ مجموع هذه المياه شكلاً واحداً .

أضيفوا إلى الماء باستمرار قدحاً بعد آخر ، فستشاهدون أنّ صورة القدح الأوّل وحجمه السابقين ليسا مشخّصين في الطست . ثمّ إنّه سيمتزج

مع القدح الثاني والثالث والرابع بحيث لا يبقى منها أيّ أثر أبداً ، فقد فقدت جميع المياه حدود وجودها وشخصيّتها وصارت في هيئة طست ماء بشكل وحجم خاصّين .

والأمر هو نفسه تماماً بالنسبة إلى النطفة التي هي مبدأ وجود الإنسان ، فتلك الزيادات التي تضاف إلى النطفة المكوّنة من قطرة واحدة ، بل من حويمن واحد ، ستصبح جزءاً أصليّاً وتترك تلك الحالة الأُولى . ثمّ إنّ النطفة تكتسب حالات جديدة إثر التحوّلات والتغيّرات حتّى يولد الجنين .

بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ .[1]

إنّ هذه الموجودات في حركة دائمة في عالم الخلقة ، فهي ترتدي كلّ يوم لباساً جديداً ، فتصبح خلقاً بعد خلق ، وحالة بعد حالة .

ومن ثَمّ فإنّ تلك الأجزاء الأصليّة لوجود الإنسان ، التي دخلت فيها الأجزاء الفائضة صارت مجموعة واحدة لا تميّز فيها ، فقد اتّخذت الأجزاء الفائضة صورة الأصليّة وصارت منها ودخلت ضمن تلك العائلة .

إنّ بدن الطفل الذي كان قبلاً جنيناً ، وقبل ذلك في هيئة نطفة ، قد نمى واكتمل هيكله العظميّ . ولقد زالت تلك النطفة الأُولى التي كانت في صورة نطفة ، وفقدت صورتها فلم تعد نطفة ولا حويمناً ، ثمّ اتّخذت في اللحظة التالية صورةً أُخرى فصارت شيئاً آخر أكبر ليست حقيقته نطفة ، بل علقة في شكل وصورة دم متخثّر ، ثمّ صارت في اللحظة الثالثة شيئاً آخر ، وها قد صارت طفلاً وزنه ثلاثة أو أربعة كيلو غرامات قد امتزجت جميع أجزاء بدنه واختلطت مع بعضها ، فظهر بدن الطفل في صورة واحدة

١ـ الصف التاني من الآية ١٥ ، من السورة ٥٠ : ق .

في هذه الهيئة الملحوظة .

وليس الأمر بحيث إنّ تلك النطفة التي كانت مبدأ نشأة هذا الطفل وتكوّنه قد استقرّت الآن في زاوية من وجود هذا الطفل ، فاختفت جنب قلبه أو في مخّه أو كبده ، فهذا الكلام خاطئ من وجهة النظريّة والفرضيّة العلميّة ومن وجهة العلوم التجريبيّة ، ومن وجهة نظر الفلسفة والعلم أيضاً .

ذلك لأنّ النطفة قد فقدت صورتها الأُولى واتّخذت صورة أُخرى ، فلا معنى ـ عقلاً ـ لأن تكون تلك النطفة باقية بحدودها وخصائصها ، **وَلِذَلِكَ فَإنَّ التَّجْزِئَةَ وَالتَّفْكِيكَ بَيْنَ الأَجْزَاءِ الأَصْلِيَّةِ وَالفَائِضَةِ هِيَ أُصُولاً كَلَامٌ مُفْتَعَلٌ لَا أَسَاسَ لَهُ.**

وتلاحظون ـ بناءً على هذه النظريّة ـ أنّ المؤمن الذي هو الحويمن عند السادة المتكلّمين ، يجب أن يكون قد صار جزء غذاء الآكلين ، ثمّ خرج من مجاري البول والغائط لآلاف المرّات ، بل ملايين المرّات ، وقد حفظه الله تعالى ، ولربّماكان الأمر كذلك في جميع عصور نسل البشر التي لا يعلم مقدارها إلّا الله سبحانه .

فإن قال المتكلّمون : إنّ أجزاء الإنسان الأصليّة في النطفة فقط ، وإنّها تحكي عن جميع وجوده ؛ فلماذا انتقلت في الخارج اليد والرجل والعين وغُرْلةعضوالرجولة[1] وغشاء البكارة وغيرها إلى هؤلاء الأطفال مع انعدام وجود أمثالها لدى أبائهم وأجدادهم وأسلافهم ؟

وبغض النظر عن هذا المطلب ، فما الذي تقولونه في الأجزاء الفائضة ؟

إن قلتم إنّ الأجزاء الأصليّة عبارة عن جزء أصليّ في المخّ ، أو جزء أصليّ في القلب أو الكبد ، وإنّ الأجزاء الفائضة هي سائر الأعضاء والجوارح ، وإنّ الشعر والأظافر من الأجزاء الفائضة ، فإنّنا نأخذ جزءاً

١ـ غُرْلة : عضو الرجل قبل الإختتان . (المنجد) .

تعدّونه حتماً من الأجزاء الفائضة ،كجلد البدن والأظافر ، ونضعه تحت المطالعة والتحليل والتدقيق ، فينتج أنّ جميع خصوصيّات ومشخّصات صاحبه الوجوديّة منعكسة في هذا الظُّفُر وفي هذا الجلد . فما الذي يعنيه ذلك ؟

يعني أنّ ذلك الغذاء الذي يتناوله الإنسان ، أي هذه التفّاحة وهذه الكمّثرى ، وهذه الخضروات ، وهذا الخبز ، ولحم الضأن الذي يتناوله الإنسان ، لم يَعد في بدن الإنسان في هيئة الأغذية الأُولى ولا في هيئة تفاحة أو كمّثرى أو لحم ضأن ، فقد دخل البدن فتحلّل وصار جزءاً من بدن الإنسان ، وتحوّل إلى لحم وعظم وعروق وشحم . ولقد زالت تلك الصور ، فلم يعد هناك الآن جبن ولا حليب ، بل إنّها الآن بدنكم الحاكي عنكم .

لقد دخلت هذه الأجزاء الفائضة البدنَ وتحوّلت إلى لحم وعضلات وخلايا ، فصارت لحمكم ومن أجزائكم الأصليّة ، فهي تقف مع سائر الخلايا في صفّ واحد وكيفيّة واحدة دون أدنى تفاوت .

ولو اقتطعوا من لحم بدنكم قطعة ، فأخذوها إلى المختبر فحلّلوا ذرّاتها ، لقالوا في أيّ مكان من العالم إنّ هذا اللحم عائد إلى البدن الفلانيّ ، ومن المحال أن يكون لحم فرد آخر ، أو شبيهاً بلحم بدن آخر ، ومن المحال أن يشتبه بلحم بدن آخر . وذلك لأنّ هذا اللحم قد اختصّ بكم وانعكست فيه خصائص بدنكم ، وصار ممثّلاً لكم حاكياً عنكم . إنّنا لا نمتلك ـ فعلاً ـ جهازاً ولا مختبراً أومحلّاً للتشخيص،يمكنه تشخيص أنّ هذا اللحم عائد إلى بدنكم ، بحيث يمكنه تمييزه وفصله وتشخيصه عن جميع اللحوم التي تتبدّل في الخارج إلى الولد .

إنّ النطفة إذا ما أُخذت من الإنسان من حيث المجموع ، للزم من ذلك أن يولد من الشخص الأعمى طفل ينمو في رحم الأُمّ ويولد أعمى ، بينما

نرى أنّ كثيراً من العميان يتزوّجون فيُولَد منهم أطفال مُبصرون بأعين برّاقة لامعة ، وهو أمر لا يخضع للحسابات ، فطفل الأعمى ليس أعمى ، كما أنّ طفلاً سالماً تامّ الخلقة يولد من الشخص الأعرج ومن المصاب بالفالِج ومن مقطوع اليد والرجل .

فما هي إذاً الخصوصيّة التي تمتلكها تلك النطفة ، بحيث تؤخذ من الشخص الأعمى ومن مقطوع اليد ومقطوع الرجل ، فيوجد في الخارج شخص مُبصر له أعضاء وجوارح سالمة مستوية ؟

لقد انقضى على المسلمين أربعة عشر قرناً ، وعلى اليهود من أتباع موسى أربعة آلاف سنة وهم يختنون أولادهم ، فيُولَد لهم طيلة هذه المدّة أطفال غير مختونين ، مع أنّ النطفة أُخذت من أب مختون .

وقصّة بكارة الفتيات أعجب وأغرب ، فمنذ بدايات التأريخ تولد الفتيات وهنّ يمتلكن غشاء البكارة ، مع أنّ أُمّهاتهنّ كن لا يمتلكنّه عند انعقاد النطفة ، سالماً ! أوَ ليس هذا استهزاءً وسخريةً بعالم الخلق وبناء الوجود الشامخ ؟ أَوَرَدَتْ هذه الأجزاء الأصليّة والفائضة وتفكيكها على هذه‌الصورة ، في آيةٍ أو رواية مّا؟ لتتابعوا الأمر بهذه السماجة[1] وتجرونه في هذه الهيئة الفاضحة ؟!

مَن جعلكم حرّاساً للموازين الإسلاميّة المتقنة ، لتقوموا بِيَدٍ خالية عزلاء من الثروات العلميّة بحفظها وحراستها ، بجعل أولياء الله والمؤمنين فضلات مدفوعة للكفّار ؟ **تَبّاً لَكُمْ وَتَرَحاً !**

بحث علميّ : ليس هناك أيّ تفاوت بين الأجزاء الأصليّة للإنسان والفائضة منها ، فهذه اليد التي يمتلكها الإنسان ـ مثلاً ـ وهذه الرجل التي له ، وهذه العين والأُذُن والكلية ، وهذا الكبد والقلب والمخّ والشريان

١ـ السماجة : القباحة .

والوريد ، وحتّى الشعر والأظافر ، حاكية عن شخصيّته ووحدته . وهو أمر عجيب بل من أعجب الأُمور والمسائل .

فالإنسان يتخيّل أنّ ممثّل الإنسان والذي جاء به إلى الوجود لا يمكن أن يكون شيئاً غير النطفة ، وأنّ النطفة شيء يحكي عن وجود الإنسان بتمام المعنى ، ولذا فإنّها أفراد العالم . وهذا الجهاز عجيب جدّاً ، بَيدَ أنّ علم البشر لم يصل إلى صنع مثل هذا الجهاز وهذا المختبر ، إلّا أنّ المطلب ثابت من وجهة نظر البراهين الكلّيّة العلميّة والفلسفيّة وليس محلّاً للنقاش والشكّ .

إنّ وجودكم موجود بأجمعه في قطعة اللحم هذه ، أو في قطعة العظم هذه ، أو قطعة الأظافر هذه أو في غيرها ، أي أنّ هناك عين ، وأُذن ، ويد ، ورجل ، وقلب ، ومخّ ، وكبد ، وشريان ، ووريد ، وكلّ شيء . وهو أمر عجيب جدّاً فتطلّعوا إلى فعل الله تعالى وصُنعه !

إنّنا نتخيّل أنّ جميع خصائص الإنسان الوجوديّة منعكسة في النطفة لوحدها ، أي أنّ تلك الذرّة (الحويمن) تظهر الإنسان ، مع أنّ كلّ ذرّة من ذرّات بدن الإنسان ، سواءً اللحم أم العظم أم العروق أم الشحم أم الشعر أم الأظافر هي ممثّلة لإنسان كامل تامّ الخلقة .

ولربّما سيُثير هذا الأمر عجبنا الشديد أن كيف تكون كلّ ذرّة وخليّة في بدن الإنسان ممثّلة للإنسان ، إلّا أنّ التبحّر والممارسة والتضلّع في هذا الأمر والورود في العلم ، تثبت : أنّ جميع بدن الإنسان له حكم النطفة وحاكٍ عن جميع وجود الإنسان ، بحيث لو استطاع البشر أن يأخذ ذرّة وخليّة من لحم البدن فيربّيها في محلّ مناسب بدرجة حراريّة خاصّة ، بعيداً عن الآفات ،كما تتربّى النطفة وتنمو في رحم الأُمّ ، فتمرّ بمراحل معيّنة وتتبدّل إلى طفل ، فإنّ تلك الخليّة ستمرّ بمراحل معيّنة وتحصل على سبيل

تكاملها ، فتتبدّل تدريجيّاً إلى علقة ، ثمّ إلى مُضغة ، ثمّ إلى عظام ، ثمّ يكسو اللحم تلك العظام وتنفخ فيه الروح فتظهر إلى ساحة الوجود في هيئة طفل ومولود كامل .

وكما أنّ الفلّاح لا يحتاج في بعض النباتات إلى زراعة البذور ، فيكتفي باقتطاع قطعة من ذلك النبات فيقوم بزراعة ذلك القلم ، فنرى بعد مدّة أنّ أرجاء الحديقة مملوءة بالأقلام الحيّة النامية ؛ فإنّ من الممكن أن يصل تكامل سلسلة العلوم التجريبيّة البشريّة إلى درجة بحيث يأتي شخص فينتزع قلماً من قطعة لحم حيّ مقتطعة من بدن إنسان ، فيُنشئ مليون طفل من وزن قليل لا يتجاوز مائة غرام .

ويُستفاد من هذه المطالب المذكورة أنّ هناك إنساناً في عظم الإنسان ، وأنّ هناك إنساناً في لحم الإنسان ، وفي ظفر الإنسان ، وإلّا لما تبدّل إلى طفل .

ويستفاد من أمر أنّ هناك إنساناً في جميع أجزاء البدن وذرّاته ، أنّ الأجزاء الفائضة التي تدخل بدن الإنسان من الخارج ، هي تماماً كتلك الأقداح من الماء التي كنتم تصبّونها في الطست ، فهذه الأقداح المائيّة لها صفات معيّنه ما دامت لم تدخل الطست ،كأن تكون في شكل أُسطوانة ، أمّا حين صببتم هذا الماء الأُسطوانيّ الشكل في الطست ، فإنّه لم يعد أُسطوانيّاً ، بل اكتسب شكلاً آخر .

وكلّما صببتم بالترتيب أقداح الماء في الطست ، فإنّها ستفقد شكلها الأُسطوانيّ وتكتسب شكلاً وحدّاً ، بل ولوناً آخر . فلو كان ماء الطست أصفراً ـ مثلاً ـ وكان ماء الأقداح أبيضاً ، لصار الماء الأبيض المصبوب ذا لون أصفر .

وهكذا فإنّ الماء الأبيض لم يحافظ على بياضه ، فقد توحدّ في جميع

الخصوصيّات مع ماء الطست حين امتزج به .

وعليه فإنّ الأجزاء الفائضة تمتلك حدوداً خاصّة قبل أن تدخل بدن الإنسان ، فقد كانت حنطة أو شعيراً أو رزّاً أو خضروات أو مشتقّات الحليب وأمثال ذلك ، أمّا حين تدخل المعدة فإنّها لا تبقى حنطة أو قمحاً أو رزّاً ، بل ستتبدّل هناك إلى مادّة أُخرى ، إذ سيُضاف إليها اللعاب المُفرز ، كما تُضاف إليها إفرازات المعدة . وبعد أن يتمّ الهضم في المعدة ، فإنّ الكبد سيحاول جذبها إليها وامتصاصها بواسطة **العروق الماساريقيّة** ، فتذهب عصارتها إليه ، وتتحرّك فضلاتها في الأمعاء ، وثمّ تقوم الأمعاء باستمرار بامتصاص المتبقّي من عصارة الغذاء وتنقله إلى البدن . وبعد أن تقوم الكلية بعملها فتعيد قوّة الغذاء إلى البدن وتُخرج الفضلات والسموم عن طريق الإدرار إلى الخارج ، وبعد أن يجري في الرئة تصفية جوهر الغذاء الذي صار الآن في الدم ، فإنّه يصل إلى القلب الذي يُرسل إلى جميع أنحاء البدن ، فيتبدّل في كلّ عضو من الأعضاء إلى جنس ذلك العضو ، ويتحوّل إلى ذلك العضو ، وتتكوّن النطفة منه . فقد تغيرت في جميع هذه الحالات تلك الصورة الأُولى للغذاء بصورة كلّيّة وتبدّلت فعلاً إلى أجزاء بدن الإنسان .

على أنّ النطفة حقيقة الإنسان ، فتلك القطعة من الجبن وقدح الحليب والحنطة لو وُضعت خارج البدن مائة ألف سنة لما صارت طفلاً ووليداً إنسانيّاً ، أمّا حين ترد البدن وتتحوّل في هيئة نطفة ، فإنّ تلك النطفة تتبدّل إلى طفل ، لأنّ ذلك الجزء الفائض الذي ورد البدن في هيئة غذاء قد تبدّل فعلاً إلى أجزاء أصليّة وصار جزءاً من الإنسان .

فيتضّح ممّا قيل أنّ فصل الأجزاء الأصليّة عن الأجزاء الفائضة أمر خاطئ من وجهة نظر العلوم التجريبيّة ومن وجهة نظر العلم والفلسفة . وأنّ قولنا بأنّ الله تعالى يحشر يوم القيامة الأجزاء الأصليّة لبدن الميّت ، وأنّ

الأجزاء الفائضة في بدن الآكل التي شكّلت تمام البدن لا ربط لها بأجزاء الآكل الأصليّة ،كان بلا أساس ولا قيمة له ولا اعتبار في منطق العلم .

لقد كان السادة المتكلّمون يُفرّحون أنفسهم بهذا النحو من الاستدلالات ، إذ إنّهم كانوا يريدون من جهة الإجابة بجواب شافٍ ، ولأنّهم من جهة أُخرى كانوا يفتقرون إلى التخصّص في العلوم والمعارف الإلهيّة ، لذا فقد كانوا يضعون المطلب بمثل هذه العبارات في لِفافة فيختمون عليها ، ولا يُجيزون لأنفسهم التأمّل والتدقيق أكثر من هذا القدر .

ولقد كانت نتيجة هذا البحث أنّ الإجابة على شبهة الآكل والمأكول بالأجزاء الأصليّة والأجزاء الفائضة ليست إجابة شافية ؛ وعلاوة على عدم ردّها على الإشكال ، فإنّها ستكون بنفسها مدعاةً لإشكالات وانتقادات أُخرى .

هذا وقد أجاب بعض المتكلّمين عن شبهة الآكل والمأكول على نحوٍ آخر ، وهو أنّ هذه الشبهة ستكون واردة إذا ما أراد الله تعالى حشر عين بدن الآكل وعين بدن المأكول ، غير أنّ هذا الإشكال لن يرد إذا ما خلق سبحانه مثل تلك الأبدان فجعل الأرواح متعلّقة بها .كما أنّ الآيات الواردة في القرآن الكريم لها دلالة على حشر الروح وتعلّقها ببدن مثل هذا البدن ، ومن جملتها هذه الآية :

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ .[1]

وهذه الآية : نَحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا .[2]

١ـ الآية ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

فالأمثال في هذه الآيات عبارة عن بدن عنصريّ مادّيّ آخر يخلقه الله فيجعله مورداً للسؤال .

إلّا أنّ جواب المتكلّمين هذا ليس شافياً ، وذلك أوّلاً: لأنّ هذه الآيات القرآنيّة قد وردت في الردّ على مُنكري الحشر الذين أنكروا خلق هذه الأبدان لا خلق مثلها ، فالقرآن يردّ عليهم بأنّ خلق أمثالهم ليس عسيراً على الله :

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم .[1]

فإن لم يكن المراد من «مثل» و«أمثال» هو الإنسان نفسه ، لما كانت الحجّة تامّة على المنكرين ، لأنّ إحياء هذا البدن الميّت هو العجيب بينما إيجاد مثله وجعل الروح متعلّقة ببدن آخر ليس مدعاةً للعجب :

القرآن يقول إنّ هذا البدن سيُحيا ويُبعث : **مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ .**[2]

وثانياً : أنّ هذا البدن قد أطاع وعصى ، ثمّ إنّه سيذهب فيرقد مستريحاً بينما يكون المُحاسَب بدنٌ آخر غيره .

گنه كرد در بلخ آهنگرى به شوشتر زدند گردن مسگرى[3]

فالمراد من الأمثال في هذه الآيات هذا البدن نفسه ، والأمثال تعني الأطوار والأحوال ، أي طوراً بعد طور وحالاً بعد حال .

إنّنا سنجعل أبدانهم بأحوال وأطوار مختلفة : وكما تستقرّ النطفة في

١ـ الآية ٨١ ، من السورة ٣٦ : يس .

٢ـ الآية ٥٥ ، من السورة ٢٠ : طه

٣ـ يقول : أذنب حدّاد في «بلخ» ، فضربوا عُنق صانع الأدوات النحاسيّة في «شوشتر»

رحم الأُمّ فتطوي أطواراً وأمثالاً لتصل إلى كمالها ، فإنّنا سنجعل الإنسان يمرّ بأطوار بعد الموت لنخلقه في النهاية وننشئه في صورة لا يعرفها الناس ولا يعلمونها .

وبالطبع فإنّ ذلك الإنسان الذي يحشره الله تعالى هو هذا البدن بأطوار عالية ليست له فيها مادّيّة وكثافة وجهات طبيعيّة ، بدن نورانيّ مُضاء .

وبالطبع فإنّ خلق أطوار البدن وأمثاله هذه لا منافاة له مع الآيات الدالّة على أنّ الله يُحيي الموتى بنفسه ، لأنّ خلق أطوار البدن عين خلق البدن نفسه ،كالآية :

أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِىَ ٱلْمَوْتَىٰ .[1]

وقد ورد «مثل» في الآية القرآنيّة بمعنى النفس والذات : **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ .**[2]

هذا وقد قال المرحوم صدر المتألّهين في إجابة المتكلّمين في الردّ على شبهة الآكل والمأكول بحشر الأجزاء الأصليّة وعدم حشر الأجزاء الفائضة ، بأنّ هذه الإجابة لا حاجة إلى ذكرها لركاكتها .[3]

وقال المرحوم الحكيم السبزواريّ : **وَفِيهِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أُولِي النُّهَى .**[4]

١ـ الآية ٣٣ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢ـ مقطع من الآية ١١ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

٣ـ «الأسفار» ج ٩ ، ص ٢٠٠ ، الطبعة الحروفيّة .

٤ـ «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٤١ ، طبعة ناصري .

وقال في الحاشية في توضيح كلامه : أمّا أوّلاً فلأنّه مبنيّ على أنّ شيئيّة الشيء بالمادّة لا بالصورة ، وهو سخيف جدّاً ؛ إذ يلزم أن يكون المني إنساناً والبيضة طيراً والنواة نخلة ونحو ذلك .

وأمّا ثانياً فلأنّه حينئذٍ يكون دنيا ولا آخرة مُغَيّاً لا غاية ؛ لأنّ الآخرة نشأة أُخرى طوليّة وغاية الشيء كماله . فكمال النفس أن تصير عقلاً ، وكمال الصورة الطبيعيّة أن تصير صورة صرفةً خالصةً عن شوب القوّة ، وتصير الصورة الدنيويّة برزخيّة ، والبرزخيّة أُخرويّة .

وأمّا ثالثاً : فلأنّه يلزم تعطيل الحقّ ومنع الحقّ عن المستحقّ ، إذ يطرأ على الأجزاء المادّيّة استعدادات للصور المتفنّنة ، والاستعداد الصادق ما هو بلسان الاستعداد ، فيلزم أن لا يعطي الحقّ حقّها مع أنّه نهى عِبَاده عن تعطيل الحقوق .

وأمّا رابعاً : فلأنّ توجّه أكثر الشبهات كمثل شبهة التناسخ وشبهة الآكل والمأكول وشبهة عدم وفاء الموادّ وغيرها ، إنّما هو على هذا القول ، وبعد في الزوايا خبايا .[1]

١ـ «المنظومة السبزوارية» ص ٣٤١ ، طبعة ناصري



المجلس التاسع والثلاثون

الرد على شبهة المعاد الجسماني وبيان حقيقته



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .[1]

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ .[2]

وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .[3]

يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ .[4]

من الإشكالات الواردة على المعاد الجسماني أنّ مقدار جرم الأرض وحجمها معيّنان ، وأنّهما مقدّران بعدد معيّن من الفراسخ ، ومحدّدان بالأميال والأذرع . بينما عدد النفوس ـ في الجهة المقابلة ـ غير متناهٍ . ومن ثمّ فإنّ هذا القدر من الجرم المحدود لا يتّسع لهذه الأبدان اللامتناهية .

يقول المرحوم صدر المتألّهين في ردّه على هذا الإشكال :

١ـ الآية ٩٦ ، من السورة ٥ . المائدة ؛ والآية ٩ ، من السورة ٥٨ : المجادلة .

٢ـ الآية ١٥٨ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣ـ الآية ٢٤ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٤ـ الآية ٤٤ ، من السورة ٥٠ : ق

«ومنها (من الإشكالات) أنّ جرم الأرض مقدار محصور محدود ممسوح بالفراسخ والأميال والذراع، وعدد النفوس غير متناهٍ، فلا يفي مقدار الأرض ولا يسع لأن تحصل منه الأبدان غير المتناهيّة.

والجواب الحقّ بما مرّ من الأُصول أن لا عبرة بخصوصيّة البدن وأنّ تشخّصه والمعتبر في الشخص المحشور جسميّة مّا أية جسميّة كانت، وأنّ البدن الأُخرويّ ينشأ من النفس بحسب صفاتها، لا أنّ النفس تحدث من المادّة بحسب هيئاتها واستعداداتها كما في الدنيا.

ولك أن تُجيب أنّ المقادير قد يزداد حجماً وعدداً من مادّة واحدة، فإنّ هيولى قوّة قابلة محضة لا مقدار لها في نفسها، ولا لها اختصاص بحدّ خاصّ وعدد معيّن، بل تعرض لها المقادير والانقسامات من خارج، وهي في نفسها قابلة للانقسامات غير المتناهية، وليس أيضاً من شرطها في أن تكون أبدانا، أن تكون صورة الأرضيّة باقية، بل يجوز انقلابها من الأرضيّة إلى أجسام حسب ما شاء الله.

وأيضاً لا يلزم أن يكون كلّ نفس محشورة بالبدن، فإنّ من النفوس ما فارقت الأجسام صاعدةً إلى عالم القدس منخرطةً في سلك المقرّبين، والجواب الأوّل هو العمدة.

شبهة لزوم مكان للجنّة والنار، وردّ صدر المتألّهين:

ومنها أنّ الجنّة والنار إذا كانتا موجودتين جسمانيّتين فأين مكانهما؟ وفي أيّ جهة من جهات العالم حصولهما؟ فإن كان حصولهما أو حصول إحداهما فوق محدّد الجهات، فيلزم أن يكون في اللامكان مكان وفي اللاجهة جهة؛ وإن كان في داخل طبقات السماوات والأرض أو فيما بين طبقة وطبقة، فيلزم إمّا التداخل وإمّا الانفصال بين سماء وسماء

والكلّ مستحيل . ومع هذا ينافي قوله تعالى :

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ .[١]

هذا تقريرٌ عن الشبهة ، وطريق اندفاعها مكشوف لمن تدبّر في الأُصول التي بيّناها .

أمّا المتكلّمون فحيث لم يدخلوا البيوت من أبوابها ، ليس في وسعهم التفصي[٢] عن أمثال هذا الإشكال ، فأجابوا عنه تارةً بتجويز الخلاء ، وتارةً بعدم كون الجنّة والنار مخلوقتين بعد ، وتارة بانفتاق السماوات على قدر يسع بينها الجنّة ، وليتهم قنعوا بدين العجائز واكتفوا بالتقليد ولم يستنكفوا أن يقولوا : لا ندري « الله ورسوله أعلم » .[٣]

ثمّ قال : «إنّ أعضل شبه الجاحدين للمعاد الجسمانيّ ، وأعظم إشكالات المنكرين للجنّة والنار المحكوم بثبوتهما وتحقّقهما في الشريعة الحقّة التي أتى بها أهل النبوّة والحكمة المؤسّسة على الأُصول والمباني المحكمة المهمّة هو طلب المكان لهما ، والتزام كونهما في جهة من الجهات الامتداديّة الوضعيّة ، وفي زمان من الأزمنة المتصرّمة ، واستيجاب كونهما داخل حجب السماوات وتحت حيطة محدّد الجهات وعرش المتماديات .

فالجواب كما يستعلم من الأُصول المؤسّسة عن أصل هذه الشبهة وقلع مادّتها وفسخ صورتها هو أن يقال على منهج أبحاث المتألهين وطريقة أنظار السالكين إلى الله بأقدام المعرفة واليقين : إنّ حجّتكم هذه مبنية على أنّ للجنّة والنار مكاناً من جنس أمكنة هذه الدنيا ، لكنّ أصل

١ـ الآية ١٣٢ ، من السورة ٣ : آل عمران

٢ـ التفصي : الابانة والفعل .

٣ـ «الأسفار» ج ٩ ، ص ٢٠٠ و ٢٠١ ، الطبعة الحروفيّة .

إثبات المكان على هذا الوجه للجنّة والنار باطل ؛ فالشبهة منهدمة الأساس مقتلعة الأصل . وممّا يوضّح ذلك حسب ما مضت الإشارة إليه أنّ عالم الآخرة عالم تامّ لا يخرج عنه شيء من جوهره ، وما هذا شأنه لا يكون في مكان كما ليس لمجموع هذا العالم أيضاً مكان يمكن أن يقع إليه إشارة وضعيّة من خارجه أو داخله ، لأنّ مكان الشيء إنّما يتقرّر بحسب نسبته وإضافته إلى ما هو مباين له في وضعه خارج عنه في إضافته ، وليس في خارج هذه الدار شيء من جنسه وإلّا لم يوجد بتمامه ، ولا في داخله أيضاً ما يكون مفصولاً عن جميعه إذا أخذ من هذه الحيثيّة . فلا إشارة حسيّة إلى هذا العالم عند أخذه تامّاً كاملاً لا من داخله ولا من خارجه فلا يكون له أين ووضع . ولهذا المعنى حكم **معلّم الفلاسفة** بأنّ العالم بتمامه لا مكان له ، فقد اتّضح أنّ طلب المكان لما يكون عالماً تامّاً باطلٌ ، والمغالطة نشأت من قياس الجزء على الكلّ ، والاشتباه بين الناقص والكامل .

ثمّ على سبيل التنزّل عن هذا ، لو سأل سائل هل الدار الآخرة مع هذه الدار منتظمتان في سلك واحد والمجموع عالم واحد . فحينئذٍ يكون طلب المكان لهما صحيحاً ، أو كلّ منهما عالمٌ مباين الجوهر والذات للآخر غير منسلك معها في سلك واحد لا يجمعهما دار واحدة ، فحينئذٍ طلب المكان لهما غير صحيح ، وأنت تعلم أنّ الحقّ هو الثاني . إلّا أن يُراد بكونهما واحداً ضرباً آخر من الوحدة . فإنّ العوالم والنشئات متداخلة في المعنى والقوام لا في الوضع والامتداد ، مع كون كلّ منهما عالم تامّ . أو لا ترى أنّ أهل العالم متّفقون على قولهم هذا العالم وذلك العالم حسبما ورثوه من أسلافهم ومقدّميهم . ولو كان المجموع عالماً واحداً كان هذا القول باطلاً .

ولا يصحّ أن يقال هذا الإطلاق من قبيل قولهم عالم العناصر وعالم

الأفلاك وعالم الحيوان ، لأنّ هذه الأقوال مجازيّة على سبيل التشبيه ؛ فإنّ الدنيا والآخرة لو لم يكونا عالمين تامّين فلا يكون في الوجود عالم تامّ ، لأنّ المجموع ليس منتظماً في سلك واحد إلّا بأن يكون أحدهما باطن الآخر والآخر ظاهره كما أشرنا إليه ، وهذا كلام آخر فيه غموض ، فإذا لم يكونا مع مباينة كلّ منهما للآخر في الوجود ممّا يشملهما عالم آخر ، فلا محالة كلّ منهما عالم تامّ كما أُطلق القول عليه في السنّة الشريفة :

إنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَالَمَينِ ، الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ .

وممّا يوضّح أيضاً القول بأنّ الآخرة ليست من جنس هذا العالم ، أنّ الآخرة نشأة باقية يتكلّم الإنسان فيها مع الله ، وهذه نشأة دائرة بائدة أهلها ، هالكة الذوات ولا ينظر إليهم ، واختلاف اللوازم يدلّ على اختلاف الملزومات . وأمّا مكالمة الأنبياء مع الله تعالى ومخاطبة سيّد الرسل صلّى الله عليه وآله وسلّم معه تعالى ليلة المعراج ، فهي من ظهور سلطان الآخرة على قلوبهم . وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى : **وَنُنشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ .**[1] فإنّه صريح في أنّ نشأة الآخرة غير نشأة الدنيا .[2]

وبالجملة فنحو وجود الآخرة غير نحو وجود الدنيا ، ولو كانت الآخرة من جوهر الدنيا لم يصحّ أن يقال إنّ الدنيا يخرب والآخرة دار القرار ، لأنّ الدنيا إنّما هي دنيا بالجوهر والوجود لا بالعوارض الشخصيّة

١ـ النصف الثاني من الآية ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢ـ من أوضح وأجلى الآيات الدالّة ، على أنّ الآخرة ليست في عَرْض الدنيا ، بل هي في طول الدنيا وفي باطنها ، الآية ٧ ، من السورة ٣٠ : الروم . **يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ .**

إذ يستفاد من قرينة التقابل التي جعلت الآخرة مقابل ظاهر الدنيا ، أنّ الآخرة هي باطن الحياة الدنيا .

والمخصّصات الخارجيّة ، وإلّا لكان كلّ سنة بل كلّ يوم دنيا أُخرى لتبدل الأشكال والهيئات والتشخّصات ، ولكان القول بالآخرة تناسخاً ، ولكان المعاد عبارة عن عمارة الدنيا بعد خرابها ، وإجماعُ العقلاء على أنّ الدنيا تضمحلّ وتفنى ثمّ لا تعود ولا تعمر أبداً ؛ فقد ثبت وتحقّق أنّ الدنيا والآخرة مختلفتان في جوهر الوجود غير منسلكتين في سلك واحد ، فلا وجه لطلب المكان للآخرة ، وصاحب الذوق السليم يتفطّن بهذا .

على أنّ من نظر إلى مواضع هذا الكتاب لا يحتاج إلى زيادة مؤونة وتفتيش ، وإنّما بسطنا القول في زيادة الكشف والتوضيح شفقة على الظاهريّين الذين قصدهم في النسك والعبادات طلب قضاء شهوة البطن والفرج في الآخرة على وجهٍ ألذّ وأدوم . فهم في الحقيقة طلّاب الدنيا وعند أنفسهم أنّهم يطلبون ثواب الآخرة والتقرّب إلى الله تعالى .» [1]

وحصيلة القول أنّ مسائل المعاد تنطوي على قدر من الغموض والإبهام بحيث تتعسّر إقامتها من خلال البحث الفلسفيّ وبراهينه المجرّدة . والسرّ في ذلك أنّ المعاد يتحدّث عن ماوراء عالم الحسّ والشهادة ، وهو أمر لا يخلو من الصعوبة لمن يفتقد المعرفة بتلك العوالم والنشآت ويحاول مناقشة تلك الأُمور على أساس القياس والبرهان الصرف .

ولذلك تجري الاستعانة في الأغلب بمسائل العرفان وشهودات أهل الشهود ومكاشفات أهل الحقّ ، وبالروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام والآيات القرآنيّة وهي بدورها تمثّل نعم المفتاح لدعم هذا الأمر وتعيين حدوده البرهانيّة .

يضاف إلى ذلك أنّ خوض هذه المسائل من خلال الاستدلال

---

١ ـ «الأسفار» ج ٩ ، ص ٢٠٢ إلى ٢٠٥ ، الطبعة الحروفيّة .

والبرهان ينطوي على خطورة بالنسبة إلى الذين لم يتزوّدوا بالقدر الكافي من العلوم العقليّة والحكمة المتعاليّة الإسلاميّة ، إذ ستكون نتائج أدلّتهم عقيمة ، شأنهم في ذلك شأن المتكلّمين ، ولأنّهم بدلاً من حراستهم العقائد الشيعيّة الإسلاميّة الحقّة وصونها عن آفات الملحدين والمغرضين والمعاندين ، فإنّهم يقدّمون تلك الأُصول الحقّة المتقنة الواقعيّة في أُسلوب سخيف ضحل متهافت ، فيؤدّون إلى سلب اعتقاد الناس وأهل المعرفة من خلال عرض هذه المسائل الغامضة دون أن يمتلكوا القابليّات الفكريّة اللازمة لذلك .

يقول صدر المتألّهين : «إنّ للناظرين في أمر المعاد إثباتاً ونفياً ، مشاجرات ومباحثات في الجانبين ، ذكرها يؤدّي إلى الإطالة من غير فائدة ، وما أورده المتكلّمون من الكلام لا يفي بالإلزام والإفحام ، فكيف يتبيّن المرام وتحقيق المقام . والأَولى بحال مَن اقتصر في تحقيق هذه الأُمور الاعتقاديّة على مجرّد البحث الكلاميّ أن يستفسر عن هؤلاء المنكرين للمعاد الجاحدين لأحكام الشريعة ، بناءً على قصور مداركهم عن دركها ، أنّهم هل يدّعون الامتناع أو يمنعون الإمكان والجواز ؟ فعلى الأُولى يقال لهم : إنّ عليكم البيّنة وإثبات ما ادّعيتم ، وما لكم فيما قلتم به من هذا عين ولا أثر .

وعلى الثانية : كلّ ما أُزيل ظاهره عن الإحالة والامتناع قام التنزيل الإلهيّ والأخبار النبويّة الصادرة عن قائل مقدّس عن شوب الغلط والكذب مقام البراهين الهندسيّة والدعاوي الحسابيّة .[1]

وعلى كلّ حال فقد بحثنا في مسائل المعاد الجسماني بالقدر الكافي ،

---

١ ـ «الأسفار» ج ٩ ، ص ١٦٧ و ١٦٨ ، الطبعة الحروفيّة .

عسى أن تكون حقيقته قد اتّضحت للقرّاء الكرام إن شاء الله تعالى ، وقد أوردنا نظرية أعلام حكماء الإسلام بصورة مجملة .

قال الحكيم السبزواريّ قدّس الله سرّه بعد البحث في هذا الأمر :

«وهذا القدر كافٍ للمستعبر المنصف ، ومن أراد زيادة التحقيق والتفصيل فليرجع إلى كتب صدر المتألّهين كـ «الأسفار» و «المبدأ والمعاد» و «العرشيّة» وغيرها **فَإنَّ أمثال هذِهِ التحقيقاتِ حَقُّهُ فِي الدورةِ الإسلاميّةِ الخَتمِيَّةِ ، شَكَرَ اللّهُ سَعْيَهُ وَضَاعفَ أَجْرَهُ**».[1]

تصوير المعاد بالبدن العنصريّ لدى مؤلّف الكتاب :

وعدنا في الأبحاث السابقة أن نقدّم تصويراً للمعاد الجسمانيّ في هيئته البدنيّة العنصريّة المادّيّة الطبيعيّة ، وها قد حان الوقت وللّه الحمد والمنّ للشروع في ذلك .

ويتوقّف تحقيق هذه المسألة وصولاً إلى الهدف المنشود على ذكر مقدّمات سبع :

المقدّمة الأُولى : تطرّقنا سابقاً إلى أنّ شيئيّة الشيء بصورته لا بمادّته ، أي أنّ ما يمنح الموجودات الخارجيّة شيئيّتها ووجودها وتشخّصها ، وما يجعل الموجود موجوداً ويمنحه اسماً ويميّزه عن باقي الأشياء ، هو «فصل» الموجود وصورته .

وليس معنى الصورة هو الشكل وسماته الظاهريّة ، بل تلك الخاصيّة التي تعلّقت بالمادّة المبهمة فميّزتها عن سائر الموجودات ؛ مثل الصورة الإنسانيّة (وهي النفس الناطقة) ، والصورة الحيوانيّة (وهي عنوان المتحرّك بالإرادة) ، وصورة الحصان وهي الخاصّيّة التي جعلته حصاناً وميّزته عن

---

١ ـ «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٤٤ طبعة ناصري .

الحمار والبقرة والإنسان وسائر الحيوانات والنباتات ، وهي التي تُدعى بالنفس الصاهلة . ومن هنا فإنّ المادّة الأوّليّة الأساسيّة التي تدعىٰ بـ «مادّة الموادّ والهيولى الأوّليّة» والتي تشترك فيها جميع الموجودات ، ليست معياراً للتخصّص والتميز ، لأنّ جميع موجودات عالم الطبع والمادّة لها حظّ منها ، بل إنّ وجودها وتخصّصها يتمثّل في صورتها وفي تلك المزيّة والمادّة المشتركة التي يطلق عليها اسم الإنسان تارةً ، واسم الحيوان تارة ، واسم الشجرة تارةً ، واسم الماء والجماد تارةً رابعة .

المقدّمة الثانية : إنّ صور الأشياء المختلفة التي تمنحها التعيّن غير زائلة ، فالصور محفوظة عند موت المادّة وفنائها في عالم الطبع ، وهي ثابتة وباقية في عالم الوجود وعالم الدهر دون تغيّر أو تبدّل .

فصور الأشياء ـ ومن بينها الإنسان وأفعاله في الطاعة والمعصية ـ تختفي عن الأنظار بمرور الوقت ، إلّا أنّه ـ في الوقت نفسه ـ تحفظ وجودها فلا يطرأ عليها البوار والزوال بأيّ وجهٍ من الوجوه .

والعلّة في ذلك أنّنا موجودات زمنيّة تتحرّك إلى الأمام بالتدريج بتحرّك الزمان ، وحين نوجد في هذا الزمن فإنّنا ندرك الموجودات الكائنة في هذه اللحظة ، أمّا الموجودات التي وجدت في اللحظة السابقة ثمّ اختفت ، والموجودات التي ستأتي في اللحظة المقبلة فلا نراها ولا نحيط بها . فنحن ـ إذاً ـ ندرك اللحظة التي نحن فيها ، لا ساعتنا الفعليّة ولا دقيقتنا الفعليّة المركّبتين من لحظات وثوان ؛ ونحن واقفون على لحظة واحدة من تلك اللحظات ، وبعيدون عن باقي تلك اللحظات .

ولقد ترافقنا مع موجودات هذه الدنيا منذ الزمن الذي خُلقنا فيه ، فنحن نتحرك معها إلى الأمام في قافلة واحدة ، ونحن ندرك من هذه الموجودات ومن وجودنا الخاصّ لحظةً زمنيّة واحدة من الزمن المتصرّم ،

ونحن معزولون كلّيّاً عن هذه القافلة ، سواءً في الزمن السابق أم اللاحق ، فلا يبقى في ذهننا من تلك الوجودات المسلّمة الثابتة إلّا الخواطر والذكريات .

ولقد كانت مادّتنا منذ زمن الولادة جارية ومتحركة في ذاتها ، كما أنّ الزمن ـ بدوره ـ موجود متحرّك جار ، وكيان متّصل لا يتوقّف ولا يكفّ عن الحركة أبداً ، فنحن نرى أنّ هذا الزمن في حركة مستمرّة دائمة ، متحرّك في ذاته وحقيقته . كما أنّنا بدورنا ـ باعتبارنا موجودات زمنيّة ، أي باعتبار انطباق وجودنا على الزمن وحركته الممتدّة ـ في حركة مستمرّة مع تدرّج الزمن وحركته . نتقدّم إلى الأمام إلى حين موعد رحيلنا عن الدنيا ، ثمّ نطوي البرزخ بعد ذلك باعتباره موجوداً زمنيّاً ، فنفنى في ذات الحقّ ونصل في سيرنا أخيراً إلى نقطة تعلو الزمن وتحيط به ، فندرك آنذاك جميع اللحظات السابقة ، وستكون تلك اللحظات بأجمعها حاضرة أمامنا ومشهودة لنا .

إنّنا حين نقول في هذه الدنيا إنّ الساعة السابقة قد مرّت ، وإنّ الأفعال والوقائع الحادثة في تلك الساعة قد انقضت وتصرّمت ، فلا يعني ذلك أنّها قد انعدمت وفنيت ، بل إنّ ذلك يعني أنّ الساعة السابقة والموجودات الواقعة فيها قد اختفت عن نظرنا .

على أنّ جميع الموجودات الأرضيّة والسماويّة من النفوس الإنسانيّة والحيوانيّة والنباتيّة والجمادات ، وكلّ ما نفترض وجوده سابقاً ، ممّا اختفى الآن وانعدم في الظرف الحالي ، هو موجود في ظرف تحقّقه ولا يطرأ عليه الزوال والفناء ، لأنّ هذه الموجودات قد وُجدت في ذلك الزمن ، ولأنّ من المحال على الشيء الذي صار موجوداً بجميع تلك الخصائص السابقة أن يعرض له العدم ، فالموجود لا يصبح معدوماً ، والوجود والعدم شيئان

متناقضان ، والنور والظلمة لا يجتمعان معاً ،كما لا تجتمع الحرارة والبرودة .

بلى من الممكن أن يكون هذا الشيء نورانيّاً في لحظة معينة ثمّ يصبح مظلماً في لحظة أُخرى ؛ أو أن يكون حارّاً في هذه اللحظة وبارداً في اللحظة التالية ؛ أو أن يكون موجوداً في وقت معيّن ومعدوماً في وقت آخر .

ومن ثمّ فإذاكان هذا الشيء موجوداً فانعدم ، فإنّه لم ينعدم بجميع خصائصه ، لأنّ الزمن كان من جملة خصائصه ؛ أي أنّ الموجود الذي كان موجوداً قبل ساعة واحدة قدكان للزمن دخلٌ في تحقّقه في تلك الساعة وإذا ما صار معدوماً في هذه الساعة الفعليّة ، فإنّه لم يكن معدوماً في الساعة السابقة بلحاظ وقيد ذلك الزمن ، فذلك الشيء موجود باستمرار (بهذا القيد والخصوصيّة) في الساعة السابقة ، وسيبقى في عالم الدهر وعالم الوجود والتحقّق دون أن يطرأ عليه زوال .

إنّ ذلك الشيء الذي كان موجوداً قبل ساعة ، قد انعدم في الساعة التي تلتها ، أي أنّنا رفعنا قيد «الساعة السابقة» عنه ، فانعدم في الساعة التالية ، ومن المحال ، منذ الزمن الأوّل لخلق العالم ، ومنذ زمن آدم إلى يوم القيامة ، وقبل خلق هذا العالم ، أن يطرأ العدم على سلسلة الموجودات الطوليّة الكائنة في سلسلة مدارج ما فوق هذا العالم ،كالعقول المفارقة ونفوس الملائكة وموجودات العالم العلويّ والروح والأسماء والصفات الكلّيّة الإلهيّة ابتداءً من الذات القدسيّة للحضرة الأحديّة جلّ وعزّ وانتهاءً بعالم الكثرة والطبع ومادّة الموادّ ، وصولاً إلى بعوضة واحدة أو ذرّة واحدة كُتب لها الوجود .

لقد كنّا ـ حتّى الآن ـ أحياء ، وهناك إمكانيّة أن نصبح معدومين من

الآن فصاعداً ، وأن نهلك ونفنى بالمرّة ؛ إلّا أنّ من غير الممكن أن ينعدم الوجود الذي اكتسبناه حتّى الآن ، وليس بإمكانكم في زمن لاحق إفناء شيء قد وجد في زمن سابق .

يمكنكم أن تحرقوا كتاباً ما ، أو أن تمحوا كتابةً معينة ، أو تلقوها في الماء ، بَيدَ أنّكم تقومون بهذا العمل في زمنٍ لاحق ؛ أمّا في الزمن الذي دوّن فيه ذلك الكتاب ، فإنّ تلك الكتابة لا يمكن إعدامها وفناؤها . لقد قمنا ببعض الأعمال منذ الصباح إلى الآن ، ولو اجتمعت جميع العوالم وتكاتفت وتظاهرت على القول بأنّ هذه الأعمال لم تُنجز لما أمكنهم ذلك . لقد فعلنا ما فعلنا ، وارتدى ـ ذلك ـ رداء الوجود والتحقّق .

يمكن أن لا يؤاخذ الله تعالى على المعاصي ، ويمكن أن يستر بعض الأعمال ويخفيها تحت الستار ، وأن يقول للملائكة : لا تدوّنوا هذا ! أو أن يصرفهم ـ بإرادته ـ عن رؤية الأعمال وتدوينها ؛ فكلّ ذلك ممكن ، إلّا أنّ نفس العمل لن يصبح معدوماً ، فإعدام العمل أمر محال .

المقدّمة الثالثة : إنّ الموجودات التي نشاهدها في الخارج لها ظاهر وباطن ، وكلّ موجود من الموجودات الطبيعيّة له جسم وروح ، وله مُلك وملكوت . فالصلاة التي يصلّيها الإنسان ـ مثلاً ـ لها ظاهر وباطن ، ظاهرها الطهارة والاستقبال والقيام والركوع والسجود والدعاء والقرآن والتسبيح وغير ذلك ؛ أمّا باطنها وملكوتها فيمثّلان روح الصلاة . فهل أُقيمت ـ يا ترى ـ رياءً وعُجباً وغروراً وغير ذلك من المقاصد المتدنيّة للمصلّي ، أم نبعت من الخلوص والإخلاص ؟

هل صلّاها الإنسان في حالة الاضطراب وازدحام الخواطر والأفكار ، أم صلّاها بطمأنينة وسكينة خاطر وحضور قلب ؟ ما حدود ودرجات حضوره والتفاته الباطني ؟ وإلى أين أوصله سيره التصاعديّ ؟ والأمر

كذلك بالنسبة إلى باقي أعمال الإنسان ، بل حتّى الأعمال القبيحة لها ملكوت وباطن .

كما أنّ الإنسان يمتلك ـ بدوره ـ ظاهراً لا يختلف بين فرد وآخر ، فله طول ويدان ورجلان وعينان وأُذنان ، وله أعضاء وجوارح ؛ إلّا أنّ البواطن . ليست متماثلة مع بعضها ، فأحدهم مؤمن والآخر كافر ، وأحدهم عادل والآخر فاسق ؛ قد نوى أحدهم خيراً ونوى الآخر شرّاً ، وهكذا .

إنّ كثيراً من الأفراد لهم ارتباط مع ربّهم ، والكثير الآخر معزولون لا رابطة لهم به ، ولبعض الناس ذهن مطمئن ، بينما لكثير منهم ذهن مضطرب مشوّش ؛ يتبع كثيرٌ منهم الهوى والهوس ، بينما البعض الآخر يهربون منهما . هذا يعدّ الدنيا داراً أبديّة خالدة ، فهو في حركة ونشاط في باطنه من أجل نيلها والوصول إليها ؛ وذاك يعدّ الدنيا فانية ويعتبر الآخرة باقية ، فينظّم ـ على هذا الأساس والمحور ـ أُمور حياته ومعيشته .

إنّ جميع أفراد البشر يختلفون ـ بلحاظ الباطن ـ عن بعضهم في إدراكاتهم وعقائدهم ، اطمئنانهم وسكونهم ، ملكاتهم وأخلاقهم وصفاتهم ؛ بينما لا ندرك ذلك منهم بلحاظ الظاهر والشهود ، فهي أُمور تعود إلى الغيب والباطن .

المقدّمة الرابعة : مادمنا أسرى الهوى والهوس ، وما دامت أعيننا معلّقة بهذا العالم لا تبرحه ، وما دمنا نعجز عن إلقاء نظرنا إلى الباطن ، فإنّنا سنرى هذه الموجودات في عالم الطبيعة في تلك الصور الظاهريّة ؛ فإذا صلّى امرؤ ـ مثلاً ـ مدفوعاً بالإخلاص أو بالرياء ، فإنّنا لا ندرك ذلك ، لأنّنا نرى ظاهر الصلاة فقط ، أمّا الباطن فأمرٌ آخر لا نفهمه ولا ندركه ، وقد يمكن أن يكون للباطن ـ دون أن ندرك ـ عدّة صور أو عدة آلاف من الصور .

أمّا حين نتحرّك إلى الله تعالى ونتخطّى دائرة هذه الأدراكات والمدركات ، أي حين نذهب إلى مكان نعمل فيه حواسّنا الباطنيّة لا الظاهريّة ، فإنّنا سنطّلع على باطن الأعمال .

وبعبارةٍ أُخرى ، فإنّ ما يربطنا بالخارج في عالم الشهادة والظاهر يتمثّل في هذه الحواسّ الظاهريّة ، فلو عُدمنا الأعين لما شاهدنا هذا العالم الظاهريّ ؛كما أنّ آذاننا ، لمسنا ، حسّ ذائقتنا وحسّ شمّنا هي وسائل ارتباطنا بالخارج ، وطريقنا للحصول على الإدراكات . أمّا بغير هذه الحواسّ فإنّنا سنعجز عن الاستفادة من عالم الخارج ، فيكون وجوده وعدمه بالنسبة لنا على حدٍّ سواء . وستُسلب منّا هذه الحواسّ حين نرحل عن هذه الدنيا ، فنفقد ـ من ثمّ ـ أعيننا فتستحيل في القبر تراباً ؛ ونفقد آذاننا وأيدينا وأرجلنا وجوارحنا وحواسّنا .

لكنّ الإنسان له نور باطنيّ يدرك به الحقائق ، وذلك النور متعلّق بالنفس وغير متعلّق بالبدن ولا بالمشاعر . وسيصحب ذلك النور الإنسان في ذلك العالم ، فيقوم من خلال ذلك الإحساس بإدراك البواطن ، وستعمل هذه الحواسّ الظاهريّة والمشاعر تبعاً له وفي هدي نور وجوده ، فتوصل الإدركات والعلوم إلى الإنسان ،كما يقول الحكيم السبزواريّ قدّس الله نفسه :

«إنّ للنفس في ذاتها سمعاً وبصراً وشمّاً وذوقاً ولمساً وغير ذلك ، فالقوى التي في البدن ظلال لما في النفس وبالتي في النفس تدرك في النوم والسكر والمرض وفي الكشوف الصوريّة المحسوسات الجزئيّة ، ومن هنا يقول العارف :

پنج حسّى هست جز اين پنج حسّ

آن چو زرّ سرخ و اين حسّ همچو مِسّ

صـــحّت ايــن حسّ ز مــعمورىّ بــدن
صــــحّت آن حسّ ز ويــرانــىّ بــدن
صــحّت ايــن حسّ بـجوييد از طـبيب
صــحّت آن حسّ بـجوييد از حـبيب»[1]

ولأنّ ذلك العالم عالم **تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ** ، فـإنّ المـخفيّات سـتظهر جـليّة فيه ، فالصلاة ـ مثلاً ـ موجودة هناك ، ولكن ليس في هيئة القيام والقعود ، فهذه الصورة في القيام والقعود هي صورتها المُلكيّة ، بينما ستظهر الصلاة هناك في صورتها الملكوتيّة .

فكيف كان ملكوت الصلاة هنا يا ترى ؟ أكان عن إخلاص ؟ أكان عن التفات إلى الله وغرق ومحوٍ في جماله تعالى ! فسيظهر ذلك ويـتجلّى في تلك الصورة الملكوتيّة .

للصلاة هناك صورة أعلى من الأفهام والعقول ؛ وحين تقام الصلاة من أجل الوصول إلى الجنة والحور العين وتقرّباً إليهنّ ، فإنّ صورتها الملكوتيّة هي الجنّة والحور العين ، إذ إنّ الصلاة هناك لا تبقى بمعناها الواقعيّ ، فالجنّة والحور العين من اللذّات النفسانيّة ، وسـينال المـصلّي تـلك اللـذات أمّـا لو أُقيمت الصلاة هنا رياءً وسُمعة ، فستكون هناك في صـورة حـيّة وعـقرب

١ـ «المنظومة السبزواريّة» حاشيه ص ٣٣٥ ، طبعة ناصري ؛ والأشعار للملّا محمّد العارف الروميّ في «مثنوى» ج ١ و ج ٢ ، طبعة ميرخاني ؛ حيث ورد البيت الأوّل في ج ٢ ، ص ١٠٧ ، وورد البيتان الآخران في ج ١ ، ص ٩ .

يقول الشاعر : «هناك حواسّ خمس غير هذه الحواسّ (الظاهريّة) ؛ تلك كالذهب الأحمر وهذه كالنحاس .

وبينما يصحّ هذه الحسّ عند معافاة البدن ، يصحّ ذلك الحسّ عند انهياره وتلفه .

فاطلب صحّة هذا الحسّ عند الطبيب ، وانشد صحّة ذلك الحسّ عند الحبيب ! »

ونار ، لأنّها كانت لغير الله تعالى ، ولأنّ المصلّي ارتكب بفعله محرّماً ، إذ الرياء في العبادة حرام .

ومن ثمّ فإنّ الأعمال التي يفعلها الإنسان في الدنيا ستوجد هناك في صورتها الملكوتيّة ، فتظهر الذنوب والمعاصيّ الكبيرة في صورة النار والأغلال ، وفي صورة الزقّوم والحميم والفلز المصهور يُصبّ في الأفواه ، وبصورة **مُهل يشوي الوجوه** ، فينقلب وضع اللحم حين تمسّه النار ، وتسودّ الوجوه وتُظلم ، وفي النهاية فإنّها ستظهر في صورة ظلمات وعقبات ومخاوف وأهوال .

إنّ هذه الصفات الرذيلة التي يمتلكها الإنسان تلذع نفسه الناطقة القدسيّة باستمرار كالحيّات والأفاعي دون أن يعي الإنسان ذلك ، أي أنّه لا يمنح نفسه الفرصة لتفهم ، ولا يكون في صدد الفهم والإدراك . ثمّ يفرّ من الحيات والعقارب الخارجيّة ويخاف منها ، بينما يتوجّب عليه أن يخاف حيّات نفسه الأمّارة وعقاربها .

يتخيّل المسكين أن ليس هناك من شيء ، فنفسه هادئة مطمئنّة بذلك الخيال ؛ أمّا حين تطلع شمس الحقيقة وتسطع ، فإنّ بواطن الإنسان وذاته وصفاته ستطلع بجلاء في صورها الواقعيّة والملكوتيّة ، إذ تُعرض الموجودات في ذلك العالم بحقيقتها لا بمجازها ، إذ العالم عالم الحقيقة ، والحساب لا يتوجّه إلى المظاهر .

افرضوا أنّنا نقف في صحراء ممتدّة مكتظّة في إحدى جهاتها بأنواع الورود والرياحين وأزهار السوسن والنرجس والياسمين ، ومكتظّة في الجهة الأُخرى بأنواع القاذورات والأوساخ ؛ وأنّ الوقت الآن ليل والهواء بارد عليل ، والشمس لم تُشرق بعدُ ، والثلوج تغطّي الأرض ؛ فسنشاهد أنّ جميع هذه الموجودات في حال خفاء ؛ الأفاعي والحيّات قد نامت في

جحورها ، والشرائط غير مناسبة للظهور والبروز .

أمّا حين ينقضي الليل ويطلّ الفجر برأسه من وراء الأُفق ، ثمّ تملأ الشمس العالم بضيائها ، وتبعث للأرض بنورها ودفئها من خلال وهج من النور والحرارة ؛ فإنّ الثلوج ستذوب ، وستعبق الأوراد والرياحين بشذاها رويداً رويداً ، فتنهمك البلابل وطيور الكناري بالترنّم والشدو على الأفنان ؛ ومن الجانب الآخر فإنّ الأقذار والأوساخ ستبعث روائحها العفنة التي تزكم الأُنوف ؛ وستزحف الحيّات والعقارب خارجة من جحورها ، سيظهر كلّ موجود في هذه الصحراء الممتدّة الحارّة المضاءة حقيقة وجوده ، ويعرض كمالاته على مسرح الوجود . هذه هي لازمة طلوع شمس الحقيقة .

آنگه كه آفتاب حقيقت شود پديد

شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد[1]

إنّ القيامة هي محلّ ظهور نور التوحيد وشمس الحقيقة الوهّاجة ، ومن ثمّ فإنّ جميع الأعمال ستظهر وتبرز ، وسيمثّل ما يصل إلى الإنسان من مثوبات وعقوبات نتيجة أعماله ، بل نفس أعماله وسلوكه قد أظهرت حقيقتها وواقعها في ضوء نور التوحيد .

وهناك بحث يدور بين العلماء الأعلام في أمر الجزاء الذي يُجازى به الإنسان يوم القيامة على أعماله في دار الدنيا ، أهو أمرٌ خارجيّ يُجزى به ، أو أنّه يمثّل تجسّد الأعمال ونفس ظهور فعل الإنسان وسيرته ؟

وقد أثبتنا بصورة وافية في مباحث عالم المثال والبرزخ اعتماداً على الآيات القرآنيّة والروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام أنّ

١ـ يقول : «عندما تستبين شمس الحقيقة ، فسيخجل كلّ سالكٍ عمل بالمجاز ! » .

جزاء الأعمال ليس خارجاً عنها ، وأنّه نفس تجسّد الأعمال وبروزها وظهورها . وقد برهن المرحوم صدر المتألّهين على هذا الأمر في مواضع كثيرة ، سواءً في كتابه «الأسفار» أم في سائر كتبه الأُخرى .

لذا لا يمكن للإنسان الاحتجاج على ربّه يوم القيامة ، بل للّه الحجّة البالغة دوماً على الإنسان ، لأنّ الإنسان يرى نفس عمله ، ويرى الجنّة وجهنّم عين سلوكه وفعله وقد تجلّى في صورة ملكوتيّة :

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ. [1]

وحين يرى الإنسان أنّ **وقود جهنّم** هو نفس مدركات قلبه ونواياه الباطنة ويرى أنّ الجنّة والحور العين **ورضوانٌ من الله أكبر** هي نفس مفرزات ذهنه وخلوصه وإخلاصه ؛ فأيّ حجّة سيمكنه ـ من ثمّ ـ إقامتها عند ربه ؟! وكيف ستكون له الحجّة على ربّه ؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء الذي علّمه لكميل بن زياد النخعيّ : **وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَلاَ حُجَّةَ لِي فِيمَا جَرَى عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ .** [2]

١ـ النصف الثاني من الآية ٤٦ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

٢ـ دعاء كميل من الأدعية القيّمة ذات المضامين العالية . وقد أورده الشيخ الطوسيّ في «مصباح المتهجّد» ص ٥٨٧ إلى ٥٩٢ ، في أعمال ليلة النصف من شعبان . وأورده المجلسيّ في «زاد المعاد» ص ٦١ إلى ٧٣ ؛ كما أورده الشيخ إبراهيم الكفعميّ في «مصباح الكفعميّ» ص ٥٥٥ إلى ٥٦٠ ، وفي «البلد الأمين» ص ١٨٨ إلى ١٩١ . أمّا المرحوم السيّد ابن طاووس فقد أورده في «الإقبال» ص ٧٠٦ إلى ٧١٠ في أعمال ليلة النصف من شعبان ، حيث نقله بسندين : الأوّل عن جدّه الشيخ الطوسيّ رحمة الله عليه بهذا المضمون أنّه روي أنّ كميل بن زياد النخعيّ رأى أمير المؤمنين عليه السلام ساجداً يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان .

والثاني في رواية أُخرى بهذا المضمون : قال كميل بن زياد : كنتُ جالساً مع مولاي ⇦

المقدّمة الخامسة : إنّ المعاد هو الرجوع إلى الله تعالى ، وليس في عرض هذا العالم ، بل هو في طوله . ولإيضاح هذا الأمر نقول :

معنى تقدّم وتأخّر عوالم الطبع والبرزخ والقيامة قياساً إلى بعضها :

يظنّ عامّة الناس أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم في الجنّة في زمن معيّن ، ثمّ سلّط الشيطان عليه ، ثمّ أخرجه من الجنّة فهبط على الأرض ، حتّى انتهى الأمر بتعاقب الأزمان إلى عصرنا هذا الذي ولدنا فيه ، وأنّنا سنعمّر على امتداد هذا الزمان حتّى نموت ، ثمّ يكون لنا برزخ في زمنٍ لاحق ، وحين ينقضي ذلك الزمن فإنّنا سنذهب إلى القيامة .

أي أنّهم يتصوّرون أنّ عالم المثال الذي سبق هذا العالم يجسّده زمناً معيّناً في عرض هذا العالم ، وأنّ عالم البرزخ الذي يتبع هذا العالم يمثل أيضاً زمناً آخر في عرض هذا العالم . ويعني ذلك أنّنا نطوي في هذه الدنيا المراحل الزمنيّة الواحدة تلو الأُخرى ، فنرد البرزخ بعد انتهاء تلك المراحل وضمن هذه السلسلةُ الزمنيّة ، ثمّ ينتهي زمن البرزخ في هذه السلسلة فنرد عالم القيامة . والأمر على هذا النحو بالنسبة إلى القيامة التي تمثّل زمناً معيّناً

⇐ أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه فقال بعضهم : ما معنى قول الله عزّ وجلّ «فيها يفرق كلّ أمرٍ حكيم» ؟ قال عليه السلام : ليلة النصف من شعبان ؛ والذي نفس عليٍّ بيده إنّه ما من عبدٍ إلّا وجميع ما يجري عليه من خير وشرّ مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة، وما من عبدٍ يُحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلّا أُجيب له . فلمّا انصرف طرقتُه ليلاً فقال : ما جاء بك ياكميل ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! دعاء الخضر . فقال : اجلس يا كميل ، إذا حفظت هذا الدعاء فادعُ به كلّ ليلة جمعة أو في الشهر مرّة أو في السنة مرّة أو في عمرك مرّة تُكفَ وتُنصر وتُرزق ولن تُعدم المغفرة . يا كميل ! أوجبَ لك طولُ الصحبة لنا أن نجود لك بما سألت . ثمّ قال : اكتب : اللهمّ إنّي أسألك برحمتك ـ الدعاء

تتعاقب أوقاته حتّى يحكم الله بين الناس .

وترجع الكثير من الإشكالات والأخطاء التي تدور في أذهان الناس ـ صرّحوا بها أم لم يصرّحوا ـ إلى هذه الطريقة الخاطئة من فهم الأمر .

فهم يقولون : ما الذي سيحصل بعد القيامة ؟ وما الذي سيحصل لو انقضت مليون سنة أُخرى ؟ وما الذي سيحصل لو مرّت مليون سنة ؟ مع أنّ القيامة ليست في عرض هذا العالم ، ومع أنّ جميع هذه الأسئلة ستكون ـ من ثمّ ـ أسئلة لا مبرّر لها .

ولبيان هذه الحقيقة نقول : إنّ العوالم متداخلة عمقاً ؛ أي أنّ عالم البرزخ ليس عالماً يتبع هذا العالم ، بل هو عالم محيط بهذا العالم المادّيّ الطبيعيّ ، كما أنّه لن يوجد في وقت لاحق ، لأنّه موجود في الوقت الحاضر .

كما أنّ عالم النفس والقيامة محيط بنا ، ومحيط بعالم الطبيعة والمادّة وبعالم البرزخ كليهما . فهو موجود ـ إذاً ـ ومتحقّق ، لا أنّه سيوجد فيما بعد ويلي هذا العالم .

افرضوا أنّ الزمن الذي نولد فيه ونتحرّك إلى الأمام إثر حركة الزمن حتّى نفارق الدنيا يمثّل إناءً ووعاءً معيّناً ؛ فسيمثّل عالم البرزخ عالماً محيطاً بجميع هذا الوعاء ، وسيمثّل عالم القيامة ـ بدوره ـ عالماً محيطاً بهذا العالم وبعالم البرزخ كليهما .

فإن شئنا ـ والأمر كذلك ـ أن نصل إلى البرزخ ، فلن يتوجّب أن ينقضي عمرنا لنذهب عند موتنا إلى عالم البرزخ ، لأنّ البرزخ موجود فعلاً . ولو أردنا الاطّلاع على برزخنا فليس علينا أن نسير عرضيّاً ، بل علينا أن نسير طوليّاً إلى الأعلى ، أي أن نتحرّك حركة معنويّة صوب مقام التجرّد وعوالم المعنى لنصل إلى البرزخ ، ثمّ نسير من هناك سيراً طوليّاً ونرتقي

إلى الأعلى لنصل إلى القيامة ، سواءً قمنا بهذا العمل بعد موتنا أم خلال حياتنا .

ولو نال امرؤٌ ما مقام التجرّد في الدنيا فإنّه سيموت موتاً اختياريّاً بحيث يتخطّى عالم الصورة ويصل إلى القيامة . ولو خرج امرؤٌ في الدنيا من عالم الشهوة والهوى والآمال وتخطّى محبّة الدنيا من خلال تهذيب النفس واتّباع الشريعة واقتفاء أثر تعاليم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وبواسطة رعاية الجوانب المعنويّة للأُمور الشرعيّة والعباديّة وصولاً إلى حيازة مَلكة التقوى ؛ فإنّه سيسير إلى الله تعالى سيراً من لوازمه الوصول إلى البرزخ في المنزل الأوّل . ومن ثمّ فإنّه سيدرك برزخه بلا شكّ ولا ريب .

ما هو البرزخ ؟ هو عالم الصورة ، وهو التجرّد من المادّة . أي أن يرى الإنسان نفسه مجرّداً من المادّة ، ويُدرك الموجودات البرزخيّة التي تمتلك صورة إلّا أنّها عديمة الثقل والمادّة .

فإن تحرّك من هناك إلى الأمام من خلال تهذيب النفس واتّباع أوامر رسول الله ، وتحرّك في مسيرة طوليّة تصاعديّة ـ لا في عرض الزمان ـ وارتقى إلى الأعلى في مسيره إلى الله تعالى ، فإنّه سيصل إلى القيامة فيدرك قيامته بجميع آثارها وخصائصها .

لذا ورد في الحديث : **لَنْ يَلِجَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ مَن لَمْ يُولَدْ مَرَّتَيْن** .

وإذا لم يوفّق الإنسان خلال حياته لإدراك هذه العوالم اختياراً ، فإنّه سيصلها ويدركها بعد موته اضطراراً .

أي أنّ الإنسان سيدخل البرزخ من خلال السير العرضيّ حين يقطع علاقته بالبدن وحين يصل موعد موته ، ثمّ ينقضي البرزخ فيرد القيامة من خلال سيره العرضيّ .

هذه هي حقيقة السير إلى الله تعالى، لأنّنا نذهب. إليه سبحانه عند موتنا؛ أفلسنا نقول: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**؟ أوَ لم نذكر عند مطلع البحث آيات: **إِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ**، **إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**، **إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ**؟ فأين هو الله تعالى؟ ليس له مكان ولا زمان، وهو موجود في كلّ مكان وفي كلّ آن وزمان. فنحن ـ إذاً ـ نُحشر إليه، أي أنّنا نسير إلى الأعلى في تقرّبنا وسيرنا الطوليّ حتّى نصل إلى حيث نراه محيطاً بكلّ شيء؟

لقد بُعثت فينا الروح ووُلدنا وأطلق علينا أبونا العزيز اسماً وأقام وليمة في الليلة السابعة لولادتنا وعقّ عنا ودعى الأرحام والأصدقاء، ثمّ كبرنا وترعرعنا شيئاً فشيئاً وبلغ عمرنا سنتين ثمّ أربع سنوات، ثمّ ذهبنا إلى المدرسة، ثمّ أدركنا سنّ البلوغ والشباب ثمّ الكهولة، ثمّ إنّنا نموت، وذلك في مسيرة متوالية تجاه الله تعالى. ثمّ إنّنا نذهب إلى عالم البرزخ ثمّ إلى القيامة ونجتاز كلّ هذه الأزمنة الواقعة في عرض العالم حتّى نصل إلى الله سبحانه. فهو ـ إذاً ـ إله واقع في أقصى العالم. وكم هو إله مظلوم، وكم نحن بشر ظالمون! لأنّنا نأتي إلى الإله المحيط بكلّ شيء والموجود مع كلّ شيء، الذي له المعيّة مع كلّ شيء، لا تخلو منه لحظة في العالم، الإله الذي نقرأ عنه: **وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**.

نأتي إليه فنسلب منه كلّ هذه الأُمور، ثمّ نردّه إلى الوراء ونجعله في تلك الزاوية البعيدة من العالم. وحصيلة القول أنّنا نجعل الله موجوداً ضعيفاً بلا خاصيّة ولا إرادة، إلهاً عاجزاً عن فعل أيّ شيء، إلهاً قد سُلب منه كلّ شيء وأُوكل إلى أُمور التكوين، إلهاً نجعله في هذه الزاوية وتلك الزاوية من العالم، أي في الزاويتين الأُولى والأخيرة من العالم، ثمّ نعتبر معنى الأزل والأبد الزمنيين الأوّل والآخر. فأكرِم بهذا الوضع وهذا الحساب!! وهو كلام خاطئ بأجمعه ومُجانب للصواب. فالله تعالى موجود، وهو

موجود دوماً في كلّ مكان ومع كلّ شيء ؛ والقيامة موجودة والبرزخ موجود ، والعوالم التي تعلو القيامة (أي الأسماء والصفات الكلّيّة الإلهيّة) موجودة ، والذات المقدّسة للّه تعالى موجودة .

معنى الأزل والأبد :

لا يعني الأزل بداية الزمان ،كما لا يعني الأبد نهاية أمد الزمان وطوله ، بل إنّ معنى الأزل باللحاظ الطوليّ قياساً إلى هذا العالم يتمثّل في نقطة ابتداء الخلقة في الدرجات العالية ومراتب القدرة والعلم . أمّا الأبد فيعني نقطة انتهاء الخلقة في الدرجات العالية ومراتب العلم والقدرة . فنقطتي الأزل والأبد واحدة ، إلّا أنّها واحدة باعتبارينِ ، فهي تدعى بالأزل بلحاظ بداية الخلقة ، وتدعى بالأبد باعتبار نهايتها .

أي أنّ الأزل عبارة عن النقطة التي أراد الله عزّ اسمه فيها خلق عوالم الكثرة والعوالم الملكوتيّة من ذاته المقدّسة في أعلى الدرجات والمقامات ، كما أنّ الأبد هو النقطة التي تصلها جميع الموجودات والمخلوقات في سيرها إلى الذات المقدّسة في أعلى الدرجات والمقامات .

أيـن ازل عين ابد آمد يقين ظاهر اينجا عين باطن شد ببين[1]

ولو فرضنا ـ من باب المثال ـ أنّ الذات الأحديّة ومقام غيب الغيوب وما لا اسم له يمثّل نقطة لا بُعد لها (نقطة رياضيّة لا نقطة فيزيائيّة) ، وأنّ أوّل نقطة ظهور الكثرات تمثّل الإرادة والمشيئة ، وأنّ كثرات عالم الملكوت توجد من هناك الواحدة تلو الأُخرى وتتنزّل إلى الأسفل وصولاً إلى عالم الطبع والمادّة الأوسع ـ بلحاظ الكثرة ـ من جميع العوالم والأضيق منها بلحاظ الحياة والعلم والقدرة ، فإنّ شكلاً مخروطيّاً سيتشكّل بحيث

١ـ يقول : «لقد صار الأزل عين الأبد يقيناً ، فانظر كيف صار الظاهر هنا عين الباطن».

تمثّل قمّته مقام اسم **الأحد**، ثمّ في مقام أدنى منه اسم **الحيّ والعليم القدير**، ثمّ الأدنى وهو مقام الإرادة والمشيئة الذي نشأ منه العالم، ثمّ تليها كثرات العالم متعاقبة كلّما اتّجهنا نحو الأسفل، حتّى نصل إلى قاعدة المخروط التي تمثّل عالم المادّة وهو **أظلم العوالم**.

ولقد خُلق كلّ واحد من الموجودات من نقطة معيّنة بإرادة الخالق تعالى، ثمّ إنّها طوت قوس النزول والحركة إلى عالم المادّة، فتحرّكت ـ من ثمّ ـ إلى جهة المبدأ، لتصل من خلال طيّ قوس الصعود إلى تلك النقطة التي بدأت منها، وصولاً إلى فنائها في تلك النقطة: **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**.[1]

ومن هنا فإنّ جميع الموجودات تعود إلى الله تعالى، إذ إنّ ذات الحق القدسيّة هي غاية سير جهاز الخلقة ومنتهى حركته: **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهَىٰ**.[2]

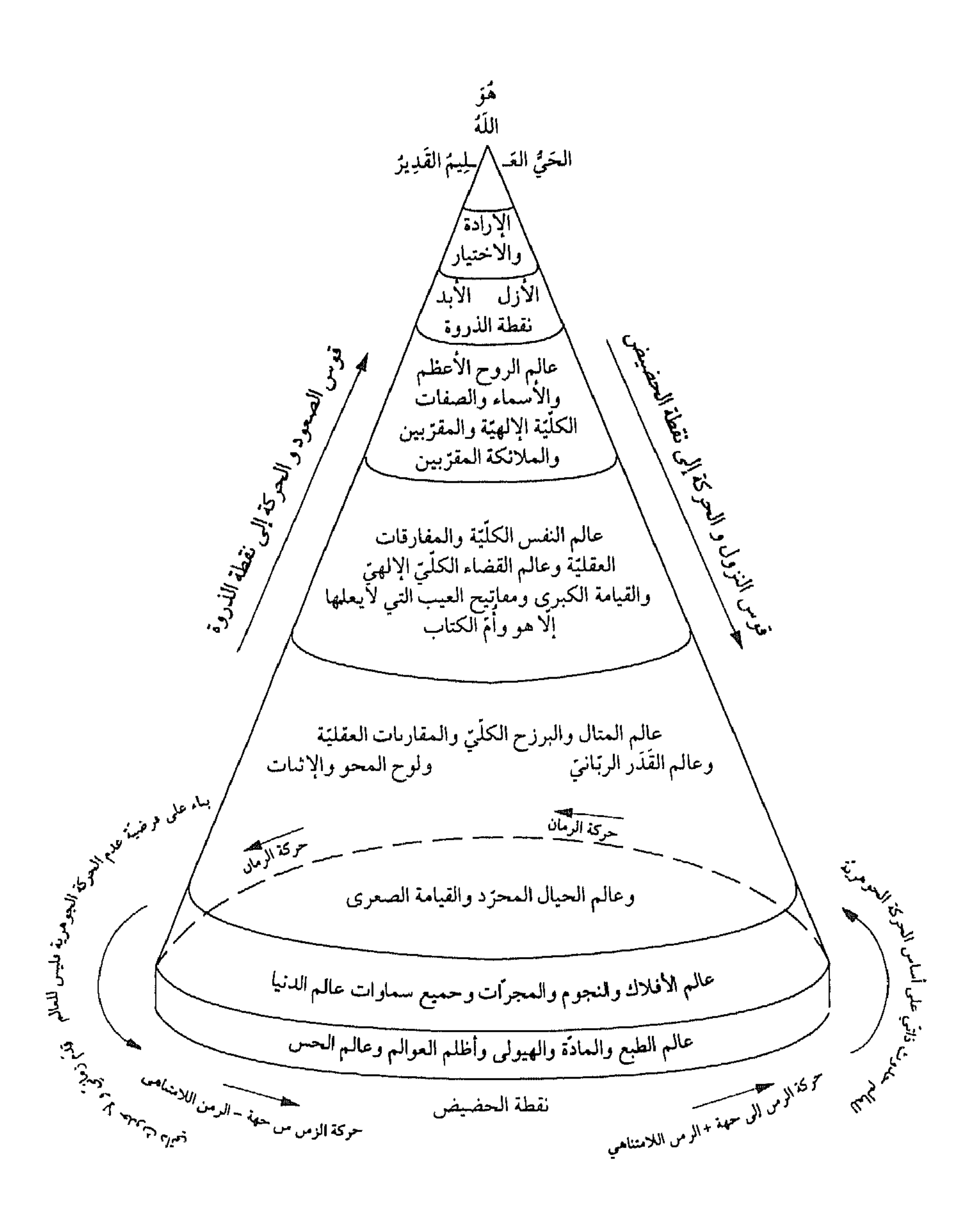
ولا يخفى أنّنا جعلنا قمّة المخروط تمثّل الذات الأحدية التي ليس لها اسم ولا رسم بأيّ وجه من الوجوه، وإلّا فإنّ قدرة الخالق وعلمه وحياته وسائر أسمائه وصفاته موجودة في جميع هذا المخروط ومثبوتة حتّى في قاعدته التي تمثّل عالم الكثرات المادّيّة والطبعيّة، بل إنّها ملأت جميع هذا المخروط بحيث إنّنا لا نجد ذرّة ولا نقطة واحدةفي‌هذا المخروط خالية من الله تعالى ولم يصل اسمه وصفته وفعله.

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ.[3]

١ـ المقطع الأخير من الآية ٢٩، من السورة ٧: الأعراف.

٢ـ الآية ٤٢، من السورة ٥٣: النجم

٣ـ الآية ٣٥، من السورة ٢٤: النور.


هُوَ
اللَّهُ
الحَيُّ العَـلِيمُ القَدِيرُ
الإرادة
والاختيار
الأزل　الأبد
نقطة الذروة
عالم الروح الأعظم
والأسماء والصفات
الكلّيّة الإلهيّة والمقرّبين
والملائكة المقرّبين
عالم النفس الكلّيّة والمفارقات
العقليّة وعالم القضاء الكلّيّ الإلهيّ
والقيامة الكبرى ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها
إلّا هو وأمّ الكتاب
عالم المثال والبرزخ الكلّيّ والمقاربات العقليّة
وعالم القَدَر الربّانيّ
ولوح المحو والإثبات
حركة الزمان
حركة الزمان
وعالم الخيال المجرّد والقيامة الصغرى
عالم الأفلاك والنجوم والمجرّات وجميع سماوات عالم الدنيا
عالم الطبع والمادّة والهيولى وأظلم العوالم وعالم الحسّ
نقطة الحضيض
قوس الصعود والحركة إلى نقطة الذروة
قوس النزول والحركة إلى نقطة الحضيض
بناء على فرضيّة عدم الحركة الجوهريّة فليس للعالم
حركة الزمن من جهة - الزمن اللامتناهي
حركة الزمن إلى جهة + الزمن اللامتناهي
على أساس الحركة الجوهريّة

ومن هنا فإنّ اسم الواحد (وهو مقام ظهور نور الذات في مظاهر العالم) يشكّل مجموعة المخروط .

ويتّضح ممّا قيل معنى الأزل والأبد :

الأزل : أوّل نقطة الحضيض لطيّ قوس النزول في عالم الكثرة .

الأبد : آخر نقطة الذروة بعد طيّ قوس الصعود إلى عالم الوحدة .

وعلمنا جيّداً ـ تبعاً لهذه المقدّمة ـ أين عالم البرزخ ، وأين عالم القيامة ، فعالم البرزخ موجود الآن ، وعالم القيامة موجود كذلك . ولا يمكننا القول بأنّ القيامة موجودة الآن ، لأنّ «الآن» تعني في هذا الزمن ، بينما ليس للقيامة زمان ، وهي ما فوق الزمان .

تماماً كما نقول إنّ بدننا موجود الآن ، إلّا أنّ من الخطأ أن نقول بأنّ روحنا موجودة الآن . علينا أن نقول : الروح موجودة ، لأنّ الروح مجرّدة عن الزمان ولا يسعها الزمان .

بلى يمكننا القول بأنّها موجودة في هذه الساعة بلحاظ أنّ روحنا قد وسعت هذه الساعة وهذه اللحظة أيضاً ، كما أنّنا نستطيع القول بهذا اللحاظ إنّ القيامة موجودة في هذه الساعة ، بل إنّنا نستطيع القول بأنّ الله تعالى موجود في هذه الساعة .

إنّ روح الإنسان ونفسه الناطقة مجرّدة وليست مقيّدة بالزمان بأيّ وجه ، اللهمّ إلّا باعتبار تعلّقها بالبدن بلحاظ إدراك صاحبها أمّا لو شاهد امرؤ روحه وجداناً ، لرآها فوق الزمان والمكان ، بل لرآها مهيمنة على الزمان وقد طبقت جميع العوالم ، فجميع العوالم كالجوزة في قبضتها .

لكنّنا لم ندرك روحنا ، وتصوّرنا أنّ وجودنا ليس إلّا هذا الوجود المادّيّ الطبيعيّ ، وأنّه محدود بالزمان والمكان ، فتصوّرنا ـ من ثمّ ـ أنّ روحنا زمانيّة بدورها ، وصرنا نقول بأنّنا موجودون الآن ، وبأنّ روحنا

موجودة الآن ، وعلينا أن نحذف قيد «الآن» ليصحّ تعبيرنا .

إنّ عالم البرزخ من تتمّات عالم الدنيا ، وليس عالماً مجرّداً محضاً ، فهو يمتلك صورة على الرغم من خلوّه من المادّة . وتبعاً لذلك فإنّه يتضمّن زماناً ويمكننا لذلك أن نقول بأنّ عالم البرزخ موجود الآن . أمّا القيامة فمجرّدة من الصورة والمادّة كليهما ولا زمان لها ، ومن هنا يجب التعبير عنها بعبارة : القيامة موجودة . وإذا ماكانت القيامة مجرّدة والروح مجرّدة ، فلماذا لا ندرك القيامة يا ترى ؟ الإجابة : لأنّنا لم نصبح مجرّدين ولم ندرك التجرّد ولم نفهم مقولة «رو مجرّد شو مجرّد را ببين» .[1]

يقول الحافظ الشيرازيّ رضوان الله عليه في مقام التعليم والوعظ في هذا المجال ببيانٍ بديع :

به سرّ جام جم آنگه نظر توانی کرد
که خاک میکده کُحلْ بصر توانی کرد

مباش بی مِی و مطرب که زیر طاق سپهر
بدین‌ترانه غم از دل بدر نوانی کرد

گدائی در میخانه طُرفه اکسیرست
گر این عمل بکنی خاک زر توانی کرد[2]

١ـ يقول : «اذهب وكُن مجرّداً لترى المجرّد» .

٢ـ «ديوان حافظ» حرف الدال ، ص ٥١ ، طبعة يزمان .

يقول : «سيمكنك الاطّلاع على سرّ كأس الملك جم (على سرّ قلب العارف) حين تكحل ناظريك بتراب الحانة !

ولا تبقينّ دون مطرب و شراب ، فتحت قبّة السماء سيمكنك بهذه الأغنية طرد الغمّ من قلبك .

الاستجداء على باب الحانة كيمياء عجيبة ، فإن فعلت ذاك صار بإمكانك قلب التراب ذهباً»

به عـزم مـرحـلهٔ عشـق پـيش نِـه قـدمی

که سودها کنی ار اين سفر تـوانـی کـرد

بيا که چـارهٔ ذوق حـضور و نـظم اُمـور

به فيض بـخشی اهـل نـظر تـوانـی کـرد

گُـلِ مـراد تـو آنگـه نـقاب بگشـايد

که خدمتش چو نسيم سحر توانـی کـرد

تو کز سـرای طـبيعت نـمی‌روی بـيرون

کجا به کوی طريقت گـذر تـوانـی کـرد

جـمال يـار نـدارد نـقاب و پـرده ولی

غـبار ره بـنشان تـا نـظر تـوانـی کـرد

گرت ز نور رياضت خـبر شـود حـافظ

چو شمع خنده زنان ترک سر توانی کرد

ولی تو تا لب معشوق و جام می‌خواهی

طـمع مـدار کـه کـار دگـر تـوانـی کـرد[1]

١ـ يقول: «اخطُ إلى الأمام قاصداً منزل العشق، فستجني الكثير لو أمكنك السفر.

تعال فإنّ الحصول على ذوق الحضور وانتظام الأُمور ممكن لو منّ أهل النظر بفضلهم والتفاتهم

وستسفر وردتك المشتهاة النقاب إن أمكنك مداراتها كنسيم السّحر

وأنّى لك ـ أنت الذي لم تخطُ خارج فناء الطبيعة ـ أن تضع قدمك على طريق الحقيقة

ليس لجمال الحبيب نقاب وستار، فأزل غبار الطريق لتراه جليّاً.

لو اطّلعت على نور الرياضة يا حافظ، لأمكنك ـ كالشمع ـ أن تتخلّى عن رأسك ضاحكاً

ولكن ما دمت تسعى إلى شفة المعشوق والكأس، فلا تطمعن في فعل أمر آخر»

وما أروع بيان المغربيّ لحال التجرّد بعد نيله والوصول إليه :

دلی نــداشــتم آن هــم کــه بـود یـار ببرد

کــدام دل کــه نــه آن یـار غـمگسار ببرد

بــــه نـيم غــمزه روانِ مــن هَــزار ربــود

به یک کـرشمه دل هـمچو مـن هـزار بـبرد

هــزار نـقش بـرانگیخت آن نگـار ظـریف

که تا بـه نـقش دل ار دستم آن نگـار بـبرد

بــه یـادگار دلی داشـتم ز حـضرت دوست

نــدانـم از چـه سـبب دوست یـادگار ببرد

دلم کــــه آیــــنهٔ روی اوست داشت غــبار

صـــــفای چـــــهرهٔ او از دلم غــــبار بــبرد

چــو در میانه در آمـد خِـرَد کـناره گـرفت

چــو در کــنار در آمــد دل از کــنار بـبرد[1]

---

١ ـ «ديوان مغربي» ص ٥٠.

يقول : «لم أمتلكْ قلباً ، فقد خطف الحبيب قلبي ، وأيّ قلب ـ ترى ـ لا يخطفه ذلك الحبيب مجلّي الهموم ؟

فقد خطف الهزار روحي بنصف لحظ من العين ؛ وسلب الآلاف مثلي بغمزةٍ واحدة

لقد أثار ذلك الكاتب الظريف ألف صورة في قلبي ، حتى إذا ارتسمت في القلب صادرها من يدي

كان لي ـ ذكرى من الحبيب ـ قلبٌ ؛ لست أدري لمَ استعاد التذكار منّي الحبيب .

قد علا الغبار قلبي الذي كان مرآة وجهه ، فجلى صفاء طلعته عن قلبي الغبار .

حين حلّ في القلب تنحّى العقل جانباً ، وحين صار إلى الجنب خطف القلب من الجنب .

اگـر چـه در دل مسكـين مـن قـرار گـرفت

وليكـــن از دل مسكـــين مـــن قـــرار بـــبرد

بـه هـوش بـودم و بـا اختيار در هـمه كـار

ز من به عشوه‌گـرى هـوش و اخـتيار بـبرد

كنون نه جان و نه دل دارم و نه عقل و نـه هوش

چو عقل و هوش و دل و جان هر چهار ببرد

چـــو آمـــد بـــه مـــيان رفت مـغربى زمـيان

چـــو او بـــه كـــار درآمـد مـرا ز كـار بـبرد[1]

وحين يُزاح الستار فستتجلّى هذه الحقائق كالشمس : **فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ**.[2]

المقدّمة السادسة : إنّه عالم الحشر ، أي عالم الجمع ؛ فالنفوس التي ترحل عن هذا العالم متّجهة إلى الله تعالى تتّجه إلى نفس النقطة التي تمثّل بداية خلقتها والتي تنزّلت عنها إلى هذا العالم .

جميع الموجودات لها عالم معاد : إنّ جميع موجودات هذا العالم لها معاد وحركة باتّجاه الله المتعال ، ومن ثمّ فإنّ جميع النفوس لها معاد ، الإنسان والحيوان والنبات ، وحتّى الجمادات ، كما أنّ نفوس الملائكة والأنبياء وجميع الموجودات المجرّدة للعالم العلويّ لها معاد ، ومعادها

١ـ يقول : «ومع أنّه قد استقرّ في قلبي المسكين ، إلّا أنّه قد سلب الاستقرار عنه .
كنت صاحياً مختاراً في جميع أموري ، فسلب بفتنته وغنجه صحوني واختياري .
فصرت لا روح ولا قلب لي ولا عقل ولا شعور ؛ فقد سلب العقل والشعور والقلب والروح جميعاً .
حينَ قَدِمَ ، زال المغربيُّ عنِ البيْنِ ، لأنّه قد أزالني بمجيئه» .

٢ـ النصف الثاني من الآية ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق .

عبارة عن الاندكاك والفناء في ذلك الاسم من أسماء ذات الحقّ الذي وجدت منه .

هذه البعوضة لها معاد ، أي أنّ القوس النزوليّ الذي طوته في الخلقة ينبغي عليها أن ترتقيه ثانية فتضمحلّ وتفنى وتندكّ في ذلك الاسم والصفة التي أوجبت بدءها ونشأتها :

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ.[1]

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ.[2]

إنّ الله تعالى خلق أوّل ما خلق العقل ، حيث ورد في الرواية : **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ.**

أو النور ، حيث ورد ذلك في الرواية أيضاً ؛ أو الماء الذي يقصد به الوجود المنبسط وسعة رحمة الله ؛ حيث ورد : **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ المَاءَ.**

وعلى كلّ تقدير فإنّ معادها سيكون إلى الذات المقدّسة . ثمّ إنّ الله تعالى خلق من ذلك الاسم والخلق الأوّل الموجودات المجرّدة كأرواح الملائكة.والعقول والنفوس القدسيّة والنفوس الناطقة ، ثمّ خلق منها الأسماء الجزئيّة والموجودات المتكثّرة بترتيب النزول من رأس المخروط إلى قاعدته .

ومن هنا فإنّ معاد كلّ موجود في هذه السلسلة من المراتب ، عبارة عن العودة والرجوع إلى المبدأ الذي خُلق منه ، والفناء والاندكاك في ذلك الاسم للحيّ القيّوم . وقد صرّح بهذه المطالب بصورة كاملة في دعاء السمات ، وهو من أرقى الأدعية الحاوية لنكات ودقائق عرفانيّة عجيبة ،كما

١ـ مقطع من الآية ٢٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ مقطع من الآية ١٠٤ ، من السورة ٢١ الأنبياء .

صرّح بذلك في الروايات التي تذكر كيفيّة نشوء العالم من أسماء الله تعالى .

والإنسان ـ بدوره ـ يعود إلى المبدأ الذي خُلق منه ، وإلى المكان الذي جُبلت منه طينته ، سواءً كان من **علّيّين** أم من **سجّين** .

وتدعى حركة الإنسان من عالم الكثرة إلى مقام الوحدة ، ومن الاعتبار إلى الحقيقة حشراً ، أي أنّ عالم الجمع عالمٌ يجمع فيه الإنسان وينطوي ويفنى ويندكّ ويضمحلّ .

جاء في كتاب «أقرب الموارد» أنّ الحشر بمعنى الجمع : **وَيَوْمُ الحَشْرِ يَوْمُ البَعْثِ وَالمَعَادِ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ حَشَرَ القَوْمَ إذَا جَمَعَهُم** .

وقال الجوهريّ في «صحاح اللغة» : **حَشَرْتُ النَّاسَ أحْشُرُهُمْ وَأحْشِرُهُمْ : جَمَعْتُهُمْ ، وَمِنْهُ يَوْمُ الحَشْرِ** .

وقال ابن منظور في «لسان العرب» بعد نقله مقولة «الصحاح» : **وَالحَشْرُ جَمْعُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ** .

وبطبيعة الحال فإنّ للحشر معنىً آخر ، وهو اجتماع الناس مع بعضهم يوم القيامة ، حيث ورد : **ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** .[١]

افرضوا ـ من باب المثال ـ أنّ أفكاركم تضطرب في وقتٍ ما ، وأنّ الخواطر الذهنيّة تهاجمكم من كلّ صوب ، وأنّكم مهما حاولتم تصفية أذهانكم من هذه الخواطر والأوهام فشلتم وعجزتم ، ثمّ إنّكم تعمدون إلى تسكين أنفسكم بكلّ وسائل التسكين والتهدئة ، فتختلون بأنفسكم وتزورون أهل القبور ، وتعودون المرضى والبائسين ، وتتذكّرون الآخره والموت وتلقّنون أنفسكم بأنّ الدنيا فانية زائلة ، حتّى يهدأ بالكم شيئاً

١ـ الآية ١٠٣ ، من السورة ١١ هود .

فشيئاً ، وتغادركم الخواطر المضطربة ، وتنصرفون إلى أنفسكم وتنغمرون في الطمأنينة وسكينة الخاطر وهدوء البال ، ويصفو ذهنكم من المنغّصات والمكدّرات ومن الأفكار المُبهجة أو المُحزنة .

علينا أن نتّجه إلى حيث يصفو ذهننا من كلّ ما سوى الله تعالى ، وإلى حيث يفنى وجودنا في ذاته القدسيّة ، وهذا هو معنى **وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ**. هناك حيث لا ظلمة ولا معصية ولا أوهام ولا أفكار مشوشة ، هناك حيث عالم الجمع ومقام التجرّد المطلق .

المقدّمة السابعة : إنّه **عالم النشر** ، والنشر بمعنى البسط ، حيث إنّ لدينا عالماً للنشر يلي عالم الحشر ، أي أنّ ذلك النحو من الجمع والفناء يعود فيُبسط ويُنشر أشبه بلفافة قماشيّة مطويّة تُفتح الآن فيُعرض للأنظار جميع خصائصها ومساحتها وشكلها وأبعادها .

قال العلاّمة الطباطبائيّ مدّ ظلّه العالي في تفسير الآية : **وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ**؛[1] النشر إحياء الميّت بعد موته ، وأصله من **نَشَرَ الصَّحِيفَةَ وَالثَّوبَ إذَا بَسَطَهُمَا بَعْدَ طَيِّهِمَا** .

وقوله **وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** ، أي ويرجع إليه نشر الأموات بإخراجهم من الأرض وإحيائهم للحساب والجزاء .[2]

وجاء في «أقرب الموارد» : **وَنَشَرَ الثَّوْبَ وَالكِتَابَ نَشْرًا: بَسَطَهُ ، خلافُ طَوَاهُ ، وَنَشَرَ اللَّهُ المَوْتَى نَشْراً وَنُشُوراً ، أَحْيَاهُمْ فَكَأَنَّهُمْ خَرَجُوا وَنُشِرُوا بَعْدَمَا طُووا.**[3]

١ـ الآية ١٥ ، من السورة ٦٧ : الملك .

٢ـ «تفسير الميزان» ج ٢٠ ، ص ١٤ .

٣ـ «أقرب الموارد» ج ٢ ، ص ١٣٠٠ .

وقال الجوهريّ في «صحاح اللغة» : **وَنَشَر المَتَاعَ وَغَيْرَهُ يَنْشُرُهُ نَشْراً بَسَطَهُ ؛ وَمِنْهُ رِيحٌ نَشُورٌ ، وَرِيَاحٌ نُشْرٌ ، وَنُشِرَ المَيِّتُ يُنْشَرُ نُشُوراً ، أَي عَاشَ بَعْدَ المَوْتِ ؛ قَالَ الأَعْشَى :**

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَباً لِلمَيِّتِ النَّاشِرِ

وَمِنْهُ يَوْمُ النُّشُورِ ، وَأَنْشَرَهُم اللَّهُ أَي أَحْيَاهُمْ.[1]

وأورد ابن الأثير في «النهاية» أنّه في حديث الدعاء :

لَكَ المَحْيَا وَالمَمَاتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ ؛ يُقَالُ نُشِرَ المَيِّتُ يُنْشَرُ نُشُورَاً : إِذَا عَاشَ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَنْشَرَهُ اللَّهُ أَي أَحْيَاهُ.[2]

وأورده في «لسان العرب» بنفس هذه الألفاظ وعقّب عليه بقوله : **وَمِنْهُ يَوْمُ النُّشُورِ.**[3]

ويستخلص ممّا قيل أنّ عالم النشر يعني عالم الحياة ، أي أنّ الناس يفنون في سيرهم إلى الله تعالى ثمّ يتحرّكون ثانية من الفناء إلى البقاء ، وينشرون مثل نشر لفافة الثوب المطويّة ويحصل لهم إحاطة وجوديّة وإحاطة علميّة بأعمالهم ويتعرّضون للحساب والجزاء والعرض والسؤال .

تماماً مثل لفافة مكتوبة طويلة كُتبت وطُويت فلم يعد لأحد علم بمضمونها ومطالبها ، لكنّها تُفتح وتُبسط فيتّضح ما فيها .

وهذا العالم هو عالم البقاء بالله ، الذي يُدعى أيضاً بالبقاء بعد الفناء ، وقد ورد في عالم المعاد والحشر تعبير : **إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ** ، أي أنّكم تقلبون إلى الله فيُطوى عالم الكثرة ويضمحلّ .كما ورد تعبير :

١ـ «صحاح اللغة» ج ١ ، ص ٣٠٦ .

٢ـ «النهاية» لابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٥٤ .

٣ـ «لسان العرب» ج «رر» ص ٢٠٦ .

وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، أي أنّ ماكنتم تتخيّلون وتزعمون سيفنى ويزول ويتلاشى . أمّا في عالم النشر فالأمر على العكس ، إذ يبعث جميع الأموات وتظهر المخفيّات ، ويقف الإنسان على جميع أعماله وعباداته ومعاصيه ونواياه وأخلاقه وملكاته وعقائده .

أمّا الآن وقد اتّضحت هذه المقدّمات السبع فنقول :

إنّ الإنسان سيصل إلى مقام البقاء بعد أن يصل إلى مقام الفناء ، وأدنى درجات ذلك أن تحصل له الإحاطة العلميّة والوجوديّة بكثراته . أي أنّه سيحصل على السيطرة على عالمي الزمان والمكان ، وسيقف على نفسه منذ زمن ولادته إلى موته ، وذلك بهذا البدن العنصريّ ومع جميع الأفعال التي عملها ، وسيحصل على السيطرة الوجوديّة على جميع سيرته من الأعمال الصالحة والطالحة . أي أنّه سيدرك بدنه المادّيّ العنصريّ وجداناً ، ليس للحظة واحدة ، بل لجميع مدّة عمره مع جميع الآثار والخصائص والمستلزمات . وكما تحيط روحنا ببدننا في هذه اللحظة ، فإنّ روح الإنسان ستجد الإحاطة الوجوديّة ببدنه في جميع مدّة عمره ومع جميع خصوصيّاته ومقارناته ، وستهيمن عليه بتمام معنى الكلمة ، وسيكون للروح علم حضوريّ ببدنها وسيرته .

وكما سبق أن ذكرنا ، فباعتبار أنّ الإنسان سيتجلّى مع أعماله في ذلك العالم في صورة ملكوتيّة ، وأنّ حقائق الأشياء ستنكشف له ، وأنّ الجنّة وجهنّم ، الثواب والعقاب ، هي ـ من جهة أُخرى ـ نفس توفية الأعمال وحقائق الأفعال وتجسّد روحها وواقعها ، فإنّ الإنسان سيحصل ـ من ثَمّ ـ على الإحاطة بجميع بدنه العنصريّ مع النيران التي سعّرها أو الورود والياسمين التي غرسها ، وليست هذه الإحاطة مجرّد علم وإحاطة تصوّريّة ، بل هي إحاطة وجوديّة أشبه بالروح المجرّدة ، والله العالم .



المجلس الأربعون

المعاد الجسماني العنصري، وعالم عرض ونشر جميع الموجودات



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أنّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ .[1]

يستفاد من هذه الآية الكريمة أنّ أمام الإنسان يوماً يرى فيه جميع أعماله حاضرة أمامه ومشاهدة ومحسوسة ، وأنّه سيجد أعماله السيّئة حاضرة ـ بدورها ـ أمامه باعتبار ملازمتها لنفسه ولأنّها أثر نفسه ، فيودّ من شناعتها وشدّة قبحها ومن إحساسه بالصّغار والخجل والانزعاج لو كان بينه وبين تلك الأعمال القبيحة فاصلاً بعيداً .

ولكن ـ ومع الأسف ـ فليس هناك من فاصل بينه وبينها ، فتلك الأعمال تلازمه وتلاصقه لأنّها ارتُكبت بإرادته واختياره ، ولأنّها من آثاره وتبعاته ووليدة علمه ، لذا فهي قرينه الذي لا ينفكّ عنه .

وقد ذكرنا في البحث السابق على أساس المقدّمات السبع أنّ المعاد لن يكون معاداً جسمانيّاً فحسب ، بل إنّ البدن العنصريّ سيمثل مع عمله

١ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

في محضر الله تعالى بجميع خصائص ذلك العمل ولوازمه وآثاره وخفاياه ونواياه . ليس خلال لحظة واحدة فحسب ، بل إنّه سيمثل أمام الإنسان كبدن جارٍ منذ نقطة الولادة إلى نقطة الموت ، فجميع هذا الزمان سيمثل أمام الإنسان بحيث لا يحتاج الأمر إلى خمسين سنة ليُشاهد الإنسان جميع الأحداث والأعمال التي فعلها خلال السنوات الخمسين المنصرمة ، بل إنّه سيحيط خلال لحظة واحدة بجميع هذه الأعمال التي فعلها خلال هذه السنوات .

والعلّة في الأمر أنّ ذلك الإنسان هو إنسان فوق الزمن ، وأنّ الإدراك الذي يحصل للإنسان في ذلك العالم تجاه الموجودات الزمانيّة لا يحتاج إلى زمن ، بمعنى أنّ التجرّد الذي تحصل عليه النفس في تلك المراحل يكفيها لتدرك كلّ ذلك في لحظة واحدة . بل لا وجود آنذاك للحظةٍ واحدة ، فهذه التعبيرات من باب ضيق العبارة ، فالإنسان يجد الإحاطة ـ خلال لحظة واحدة هي دُهر في نفس الوقت ـ بجميع الزمان والزمانيات ، ومن بينها الأعمال التي فعلها بنفسه .

وهذا ما يحصل بعد مقام الفناء بالله تعالى الذي يمثّل مقام الجمع والحشر ، وفي مقام البقاء بالله الذي يُدعى بالفَرْق والحَشْر .

وليس هناك في مقام الفناء من أمر معيّن ، أي حين تتحرّك النفس في عالم الجمع والحشر صوب الخالق المتعال ، فليس ثمّة من أمر غير التحيّر وجهل كلّ ما سواه ، وليس ثمّة شيء غير الاستغراق في الذات المقدّسة للخالق تعالى .

وبعد أن يحصل ـ بأمر الله تعالى ـ البقاء بعد الفناء (الذي يُدعى بمقام جمع المجموع) ، فإنّ الإنسان سيُحيط بجميع عوالم الزمان والزمانيات ، ومن بينها الأعمال التي صدرت منه منذ ولادته إلى موته ، وهذه الأعمال

لا تدوّن في صحيفة فيُعطاها في يده ، بل إنّ حقيقة هذه الأعمال تُرى للإنسان ،كما ليست صحيفة الأعمال عبارة عن كتاب مدوّن قد سُجّل فيه ما فعله في اليوم الفلانيّ وما ارتكبه في الساعة الفلانيّة ، بل إنّ صحيفة الأعمال هي كتاب التكوين والتحقّق المدوّن في عالمي الخارج والوجود .

وسيمثل في كتاب الوجود والحدوث ذلك ما نشأ من الإنسان ، فنفس العمل وحقيقته موجودان في كتاب التكوين ، وسيُعرضان للإنسان فيراهما بأُمّ عينيه ، ليس كمن ينظر إلى ستار السينما ويتفرّج على الأحداث المصوّرة المعروضة عليه ، ومن بينها الأعمال التي فعلها بنفسه ، إذ ليس الأمر على هذا النحو .

بل إنّ العلم الذي يحصل للإنسان بأعماله علم حضوريّ لا حصوليّ . أي أنّ ذلك المعلوم ليس خارجاً من دائرة نفسه ، بل من علوم نفسه ، فنفسه محيطة بتلك العلوم وبنفسها ، لأنّها قد أشرقت في مقام التجرّد ووصلت إلى مقام البقاء وخرجت من مقام الفناء وحصلت **بعد الفناء على البقاء بالله تعالى** ، لذا فإنّها ستحصل من خلال حال التجرّد تلك على السيطرة على عالم كثرتها .

وكما نحيط الآن بجميع قوانا ، أي كما أنّ جميع قوانا موجودة لدينا ؛ وكما أنّ ذهننا لنا ، وكما أنّ عقلنا لنا ، وكما أنّ حسّنا المشترك والقوّة الحافظة والقوّة الواهمة هي لنا ، وكما أنّ لدينا علماً حضوريّاً ـ لا حصوليّاً ـ بالنسبة إلى قوانا هذه ؛ فالأمر كذلك هناك ، حيث يحصل للإنسان علم حضوريّ بجميع أعماله ، فيهيمن ويُسيطر على حقيقة أعماله منذ زمن ولادته إلى زمن موته . وسيجد في لحظة واحدة جميع هذا الزمن المتطاول مع جميع تفاصيله وحالاته ولحظاته من أعمال الشرّ والخير وجميع نواياه وأفكاره وأخلاقه وملكاته وعقائده ، وليست تلك اللحظة لحظةً لتزول من

ثمّ ، لأنّ العالم هناك ليس عالماً زمنيّاً ، وليس من تدريج وتغيّر وتبدّل ، بل هو عالم الوجدان . وهو عالم مدهش ومثير للعجب ، يسيطر فيه الإنسان ويُهيمن على نفسه وعلى جميع أعماله ويرى ما الذي فعل وما الذي اجترح ، ويُدعى ذلك العالم بعالم العَرْض الذي يمثّل أحد العوالم التي تنتظرنا بعد عالمي الحشر والنشر . فقد كان عالم الحشر عالم الجمع ، وكان عالم النشر عالم البسط والبقاء ونشر النفس في كثراتها ، أمّا عالم العَرْض فيلي البقاء ، حيث يُعرض على الله تعالى الإنسان المحيط بأعماله وأفعاله وسيرته ، وحيث يدرك الإنسان بالوجدان نفسه مع جميع ما قدّم في سابق الأيّام وفي أواخرها : **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ** .[١]

فيُعرض ذلك كلّه في محضر الله تعالى : **وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا** .[٢]

لقد تركتم جميع الآمال وخلّفتم الزوجة والولد والأُمور الاعتباريّة التي أحاطتكم من كلّ جهة ، والتي اعتمدتم عليها في عالم المجاز والاعتبار ، تركتموها بأجمعها وراءكم وأتيتم إلى هذا العالم فرادى كما هي حالكم حين أتيتم إلى الدنيا . ولم تكونوا تحسبون أبداً أنّ لكم موعداً ستحضرون فيه لدينا ، ولو ظننتم ذلك لأعددتم ـ على أقلّ تقدير ـ مستلزمات سفركم لئلّا تُبتلون هنا بهذه الآثار والأعمال التي قدّمتوها فصارت تلازم أنفسكم .

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ .[٣]

١ـ الآية ٥ ، من السوره ٨٢ : الانفطار .

٢ـ الآية ٤٨ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٣ـ الآية ١٨ ، من السورة ٦٩ : الحاقّة .

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا.[1]

أي أنّكم أذهبتم طيّباتكم وثرواتكم الطيّبة الزكيّة من العمر والعقل والقدرة والعلم والحياة والراحة والأمن وأمثالها في الحياة الدنيا الحيوانيّة الوضيعة لا في الحياة السامية ؛ ولقد منّ الله عليكم بمقامكم ومنصبكم الحقيقيّ من أجل كسب الكمال وطيّ سبيل التقرّب إلى الله تعالى ولإعداد الزاد والراحلة لسفر لقاء الله وزيارة الخالق المتعال ، وللسير تجاه مقام التجرّد والعثور على النفس ؛ لكنّكم بدلاً من أن توظّفوا هذه الثروات لإضاءة عقبات الطريق الموحشة ولفتح مخابئ العدوّ والنفس الأمّارة التي تكمن باستمرار لقاصدي هذا السفر ، لتكونوا في مأمن الصدق ، فقد أنفقتم تلك الطيّبات خلال الحياة الدنيا في الغفلة والشهوات وإعمال القوى الغضبيّة والوهميّة بلا داعٍ ولا مبرر ، وانصرفتم إلى الاستكبار والتكاثر واكتناز المال بلا مبرر ، وكسب الجاه والاعتبار الكاذب والحيثيّة والكرامة التي لا قيمة لها ، وأنفقتم تلك الطيّبات في هذه الحياة المعاشة الوضعيّة الحيوانيّة ، وقدمتم إلى هنا بأيدٍ خالية دون أن تكسبوا كمالاً ، فمكانكم في النار !

إن تلك الطيّبات ثروتكم التجاريّة وعُدّتكم في العمل لسفر الآخرة ، وقد أهدرتموها وضيّعتموها فليس لكم اليوم ثمّة شيء يمكنه العبور بكم من هذه المراحل :

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ.[2]

١ـ الآية ٢٠ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢ـ الآية ٣٤ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

ولو افترضنا أنّ الإنسان يمكنه هناك أن يُنكر كلّ شيء إلّا أنّه لن يمكنه أن يُنكر وجوده وآثاره ولوازمه المترشّحة عن وجوده . وآنذاك فإنّ الإنسان سيجد على نحو العلم الحضوريّ أفعاله وأعماله التي تبدّلت إلى نار ، فيُسأل منه على نحو الاستفهام التقريريّ : أليس هذا بالحقّ ؟ بلى حقٌّ هو ، وليس هناك ثمّة حقّ بمثل هذا الوضوح والجلاء .

هذه هي حقيقة المعاد ، ليس هو المعاد الروحانيّ فقط ، وليس هو المعاد الجسمانيّ فقط لنقول بأنّ الله يستبقي ذرّة من الموادّ الأصليّة ليكون كذا وكذا ... هذا من الأقوال الخاطئة من أساسها .

لقد أخطأ البعض في بعض هذه المقدّمات السبع أو في جميعها فظنّوا ـ في العاقبة ـ مثل هذه الأمور ، فقد اعتبروا أنّ عالم المعاد في عرض هذا العالم ، وأنّ عالم البرزخ وعالم القيامة يبدآن بعد انقضاء زمن هذه الدنيا ، وقد اتّضح ـ بناءً على المقدّمات السالفة الذكر ـ أنّ عالم المعاد في طول هذا العالم لا في عرضه .

إنّ المعاد الجسمانيّ من ضروريّات الإسلام ، ومن الأُمور التي لا يمكن إنكارها ، أمّا **المعاد المادّيّ العنصريّ** فلم يعدّه أحد من الضروريّات ، ولم يقم المرحوم صدر المتألّهين والمرحوم الحكيم السبزواريّ بإثباته ،[1] لكنّ الله العليم منّ علينا فبرهنّا على المعاد المادّيّ العنصريّ بالطريق الذي ذكرناه اعتماداً على موازين البرهان ، ولله الحمد وله المنّة على نواله .

وعلينا الآن أن نرى هل الحشر والمعاد مختصّان بالإنسان ، أم أنّهما

١ـ لا يخطر ببالنا أن أحداً من الفلاسفة المسلمين من أمثال شيخ الإشراق ابن سينا ، وبهمنيار وغيرهما قد قام بإثبات هذا المعاد .

يشملان سائر الموجودات كذلك ؟

لقد ورد في آيات القرآن الكريم : **إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ**؛[١] **أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ**؛[٢] **إِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ**.[٣]

يقول صدر المتألّهين في «الأسفار» في معاد وحشر جميع الموجودات «إنّ من تأمّل وتدبّر في هذه الأُصول والقوانين العشرة التي أحكمنا بنيانها وشيّدنا أركانها ببراهين ساطعة وحجج قاطعة لامعة مذكورة في كتبنا وصحفنا سيّما هذا الكتاب تأمّلاً كافياً وتدبّراً وافياً بشرط سلامة فطرته عن آفة الغواية والاعوجاج ، ومرض الحسد والعناد ، وعادة العصبيّة والافتخار والاستكبار ، لم يبق له شكّ وريب في مسألة المعاد وحشر النفوس والأجساد ، ويعلم يقيناً ويحكم بأنّ هذا البدن بعينه سيُحشر يوم القيامة بصورة الأجساد ، وينكشف له أنّ المُعاد في المعاد مجموع النفس والبدن بعينهما وشخصهما، وأنّ المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مباين له عنصريّاً كان ،كما ذهب إليه جمع من الإسلاميّين ، أو مثاليّاً كما ذهب إليه الإشراقيّون ؛ فهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للشريعة والملّة ، الموافق للبرهان والحكمة ، فمن صدّق وآمن بهذا فقد آمن بيوم الجزاء ، وقد أصبح مؤمناً حقّاً ، والنقصان عن هذا الإيمان خذلان وقصور عن درجة العرفان ، وقول بتعطيل أكثر القوى والطبائع عن البلوغ إلى غاياتها والوصول إلى كمالاتها ونتائج أشواقها وحركاتها .

ويلزم أن يكون ما أودعه الله في غرائز الطبائع الكونيّة وجبلّاتها من

١ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٣ . آل عمران ؛ والآية ١٨ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢ـ الآية ٥٣ ، من السورة ٤٢ : الشورى

٣ـ وذكرت هذه الآية في ستّة مواضع من القرآن الكريم .

طلب الكمال والتوجّه إلى ما فوقها هباءً وعبثاً وباطلاً وهدراً ، فلكلّ قوّة من القوى النفسانيّة وغيرها كمال يخصّها ولذّة وألم وملاءمة ومنافرة تليق بها ، وبحسب كلّ ما كسبته أو فعلته يلزم لها في الطبيعة الجزاء والوفاء ، كما قرّرته الحكماء من إثبات الغايات الطبيعيّة لجميع المبادي والقوى ، عالية كانت أم سافلة :

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا .[1]

وقوله : **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا .**[2]

وإليه الإشارة بقوله تعالى : **مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ .**[3]

وكلّ ما في الكون من الجواهر الطبيعيّة دابّة لما بيّنّاه من حركاتها الذاتيّة ، فالله آخذ بناصية نفوسها وطبائعها وهو مولّيها نحوه وجاذبها إليه ، ومَن تَحقّق بهذا تيقّن بلزوم عود الكلّ ولم يشتبه عليه ذلك ، وهذا مقتضى الحكمة والوفاء بالوعد والوعيد ولزوم المكافاة في الطبيعة والمجازاة . ولنا رسالة على حدة في هذا الباب بيّنّا فيها حشر جميع الأشياء الكائنة حتّى الجماد والنبات إلى الدار الآخرة وحشر الكلّ إليه تعالى ببيانات واضحة وقواعد صحيحة برهانيّة مبناها على أن لا معطّل في الطبيعة ولا ساكن في الخليقة ، فالكلّ يتوجّه نحو الغاية المطلوبة ، إلّا أنّ حشر كلّ أحد إلى ما يناسبه ويجانسه ، فللإنسان بحسبه وللشياطين بحسبهم وللحيوانات بحسبها ، وللنبات والجماد بحسبهما كما قال تعالى في حشر أفراد الناس :

١ـ مقطع من الآية ١٤٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ مقطع من الآية ١٤٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ الآية ٥٦ ، من السورة ١١ : هود .

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا.[1]

وفي (حشر) الشياطين: فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ.[2] وفي (حشر) الحيوانات: وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَت.[3] وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ.[4] وفي (حشر) النبات: وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ.[5] وقوله تعالى: وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً[6] فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ،[7] إلى قوله: وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ.[8]

وفي حق الجميع: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا.[9]

وقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ.[10]

وقوله تعالى: كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ.[11]

١ـ الآيتان ٨٥ و ٨٦، من السورة ١٩: مريم.

٢ـ الآية ٦٨، من السورة ١٩: مريم.

٣ـ الآية ٥، من السورة ٨١: التكوير.

٤ـ الآية ١٩، من السورة ٣٨: ص.

٥ـ الآية ٦، من السورة ٥٥: الرحمن.

٦ـ وردت الآية في الطبعتين الحروفيّة والحجريّة للأسفار بلفظ «بارزةً» بدل «هامدةً» خطأً، إذ وردت في القرآن الكريم بلفظ «هامدةً».

٧ـ الآية ٥، من السورة ٢٢: الحجّ.

٨ـ الآية ٧، من السورة ٢٢: الحجّ.

٩ـ الآيتان ٤٧ و ٤٨، من السورة ١٨: الكهف.

١٠ـ الآية ٤٠، من السورة ١٩: مريم.

١١ـ «الأسفار» ج ٩، ص ١٩٧ إلى ١٩٩، الطبعة الحروفيّة. والآية هي: ١٠٤، من السورة ٢١: الأنبياء.

ومع أنّ «رسالة الحشر» لصدر المتألّهين رسالة في منتهى الإيجاز والاختصار ، فإنّها تتضمّن خزائن العلم والمعرفة وتعدّ من نفائس ذخائر الكتب ، حيث طبعت في حاشية كتاب «المبدأ والمعاد» وجُمعت ـ إضافة إلى ذلك ـ مع ثمان رسائل أُخرى لصدر المتألّهين وطُبعت في مجموعة مستقلّة عرفت باسم «رسائل الملّا صدرا» .

وقد جرى في هذه الرسالة إثبات أنّ جميع الموجودات ـ من ضمنها الملائكة والإنسان والجنّ والنباتات والجمادات ـ تمتلك معاداً وحشراً ، فقد قسّم الموجودات ابتداءً إلى خمس مجاميع ، ثمّ قال :

الطبقة الأُولى : المفارقات العقليّة ؛ وعالمهم عالم القضاء الإلهيّ وهي صور علم الله بالأنواع الكاينة ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلّا هو وخزائن الرحمة التي ما ينزّلها إلّا بقدر معلوم .

الطبقة الثانية : هي الأرواح المدبّرة العقليّة المتعلّقة بالأجرام العلويّة والسفليّة ضرباً من التعلّق ، وعالمهم عالم القدر الربّانيّ ولوح المحو والإثبات .

والطبقة الثالثة : هي الأرواح المدبّرة الجزئيّة والنفوس الخياليّة المتعلّقة بالأجرام السفليّة الدخانيّة أو الناريّة ، ومنها ضرب من الإنس والجنّ والشياطين .

والطبقة الرابعة : هي النفوس النباتيّة وغيرها من الطبايع السارية في الأجسام المحركة إيّاها ، المتحرّكة بتحريكها ، المتجدّدة في كلّ آن ، وهي المشار إليها بقوله :

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.[1]

---

١ ـ الآية ٦ ، من السورة ٦٦ : التحريم .

وإنّما جمعت بصيغة ذوي العقول لمدبّرها العقليّ ومحرّكها الروحانيّ كما ستعلم ، ومن هذه الطبقة أيضاً من الجهة التي أومأنا إليها الزبانية وسدنة جهنّم المأمورون بقوله تعالى : **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ**.[1]

ومنهم الموكّلون على السحاب والأمطار والبحار والجبال والأرض والمعادن والنباتات وغيرها .

والطبقة الخامسة : هي الأبعاد والأجرام، وهي أسفل السافلين ومهوى النازلين ومثوى المتكبّرين .

فإذا تمهّد هذا فلنرجع إلى حشر كلّ من هذه الطبقات إليه تعالى بياناً على التفصيل بعد ذكر إجماليّ يعمّها ، وهو أنّ الله تعالى لم يخلق شيئاً إلّا لغاية ، فإنّه ما من موجود ممكن إلّا وله فاعل وغاية ، ومن الموجودات وهي المركّبات ما له علل أربع ، هما مع المادّة والصورة ، إلّا أنّ البسيط لا يكون له من العلل إلّا الفاعل والغاية ، لأنّ صورته بعينها ذاته ولا مادّة له ، وقد ثبت بالبرهان أنّ الغاية الأخيرة في فعله تعالى هي ذاته ، وذاته غاية الغايات كما أنّه مبدأ المبادي ، ولا شكّ أنّ غاية الشيء ما له بالذات أن يصل إليه وينتهي به إلّا أن يعوقه عائق ، وكلّ ما لا يمكن الوصول إليه لم يكن إطلاق اسم الغاية عليه إلّا بالمجاز ، فلا يكون غاية بالحقيقة . وقد فُرض أنّه غاية ، هذا خلف .

فثبت بما ذكر أنّ جميع الممكنات بحسب الجبلّة الغريزيّة طالبة له تعالى متحرّكة إليه تعالى حركة معنويّة ، مشتاقة إلى لقائه بالوصول ، وهذه الحركة والرغبة لكونها مرتكزة من الله تعالى في ذاتها يجب أن لا تكون

١ـ الآيات ٣٠ إلى ٣٢ ، من السورة ٦٩ : الحاقّة .

عبثاً ولا معطّلاً ، فلا محالة متحقّقة في غالب الأمر بلا عايق وقاسر ، والقسر علىَ الطبع كما ثبت في مقامه لا يكون دائمياً ولا أكثريّاً فيزول لا محالة ولو بعد زمان طويل ، فيعود حكم الطبيعة ، ومن هنا يعلم أنّ كلّ طبيعة نوعيّة تؤدّي يوماً إلى غايتها الأصليّة ، وغاية الشيء أشرف من الشيء ذي الغاية ، وغاية الجوهر أكمل جوهريّةً منه وأقوى وجوداً في ذاتها ، وننقل الكلام إلى نفس تلك الغاية وتوجّهها الذاتيّ إلى غاية الغاية ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى غاية لا غاية وراءها وهي **غَايَةُ الغَايَاتِ وَمُنْتَهَى الحَرَكَاتِ وَالرَّغَبَاتِ وَمَأْوَى العُشَّاقِ الإلَّهِيِّينَ وَالمُشْتَاقِينَ مِنْ ذَوِي الحَاجَاتِ**.[1]

كان هذا هو البيان الإجماليّ لصدر المتألّهين في رسالة «الحشر» ، أمّا بيانه التفصيليّ فإنّه يتضمّن درجة من التعقيد بحيث يعسر فهمه لعامّة الناس فضلاً عن اقترانه بالمصطلحات الفلسفيّة ، لذا فقد أوردنا تلك المطالب في قالب بسيط ولغة سهلة استخدمنا فيها اصطلاحات القرآن الكريم والروايات ، ونقدّمه للقرّاء المحترمين بهذه الكيفيّة :

إنّ الحشر والمعاد أمر عامّ لجميع الموجودات حتّى الجمادات والمادّة والهيولى الأوّليّة ، وصولاً إلى العقول المفارقة وأرواح عالم العلّيّين والملائكة المقدّسين والروح الأعظم ، وللملائكة الثانويّين والنفوس الإنسانيّة والشياطين والحيوان والنبات .

ولدينا موجودات تفوق جميع الموجودات الأُخرى بلحاظ القدرة وشدّة الحياة والعلم والقدرة ، وتدعى بلسان الشرع الأسماء والصفات الإلهيّة الكلّيّة والروح والملائكة المقرّبين ، وقد عبّر عنها الفلاسفة بالعقول المجرّدة والعقول المفارقة وبتعبيرات مختلفة أُخرى . ولهذه مقامات في

١ـ «رسالة الحشر» ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

غاية الرفعة ولها إحاطة كبيرة ، مثل جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل الذين يمثّلون واسطة الفيض من الذات القدسيّة للحضرة الأحديّة عزّ وجلّ إلى جميع العوالم ، ووجودهم وعلمهم وقدرتهم في غاية العظمة .

فميكائيل ـ مثلاً ـ واسطة الرزق من جانب الله تعالى لجميع العوالم في جميع لحظات عالم الدهر والزمان ، فالرزق في يده سواء الرزق الروحانيّ والمعنويّ أم الصوريّ والذهنيّ أم المادّيّ والطبيعيّ . وبطبيعة الحال فإنّ عمله ليس منفصلاً عن الله تعالى ، بل إنّ الله سبحانه يرزق من خلال نافذة ومرآة وشبكة هذا الملك المقرّب الوجوديّة ؛ كما أنّ جبرائيل يمنح عالم الإمكان الفهم والعلم والشعور ، ويفيض على الكائنات العلم والشعور .

أمّا إسرافيل فوظيفته بسط عالم الحياة ، حياة الكرات السماويّة ، حياة عالم المادّة ، حياة عالم البرزخ والقيامة ، حياة الطبع والمثال والنفس والعقل ، حياة حيتان البحار وطيور السماء ووحوش الفلوات ، وفي نهاية الأمر حياة جميع الموجودات . وينبغي ألّا يتصوّر أنّ معنى الحياة هو ما يحصل في بداية الأمر لموجودٍ معيّن ، كالإنسان الذي يحيى مثلاً ، أو كالبيضة التي تتبدّل إلى فرّوج ، أو كبيوض الجراد والنمل التي تفقس عن صغارها ؛ بل إنّ هناك حياةً جديدة في كلّ لحظة ، وحياةً بعد حياة ، ومنحاً لحياة مستمرّة متعاقبة .

وكما ينفخ الحدّاد في كيره باستمرار لئلّا تخمد النار وتخبو ، فإنّ إسرافيل يُحيي باستمرار وينفخ في الموجودات الحيّة نَفَس الحياة ويبعث فيها حياةً دائمة مستمرّة .

أمّا عزرائيل فمكلّف بالإماتة وقبض أرواح جميع الموجودات ، ليس الموت الطبيعيّ المعهود لوحده ، بل إنّه يقبض حياةً ويسبّب موتاً في

كلّ لحظة . إنّ لدينا موتاً وحياةً في كلّ لحظة ، وهذا الخلع واللبس المستمرّ ، وهذه الحياة والموت المستمرّان للفرد في كلّ لحظة ، إنّما يحصلان لتكامل الفرد ووصوله إلى المعاد والحشر ولقاء الله تعالى :

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ.[١]

وهذا اللبس المتعاقب يحصل على يد إسرافيل ، وهذا الخلع المتعاقب يحصل على يد عزرائيل ، فهذا يخلع وذاك يُلبس ، هذا يمنح الموت وذاك يمنح الحياة .

على أنّ مقام الروح أشرف وأعظم وأفضل من هؤلاء الملائكة المقرّبين ، لذا نرى أنّ القرآن الكريم قد ذكر الملائكة بصيغة الجمع والروح بصيغة المفرد : تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ.[٢]

وبطبيعة الحال فإنّ المراد من الروح ليس هذه الأرواح الإنسانيّة ، بل إنّ هذه الأرواح الجزئيّة الإنسانيّة منطوية تحت ذلك الروح الكلّي والروح الأعظم .

كما أنّ خلقة ذلك الروح الأعظم عجيبة بلحاظ الإحاطة والسعة .

وحين يريد الروح والملائكة المقرّبون العروج إلى الله سبحانه ، فإنّ ذلك يستغرق منهم خمسين ألف سنة : مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.[٣]

والمراد من اليوم هنا المرحلة الزمنيّة ، أي أنّ ذلك العروج سيتمّ في

١ـ الآية ٢ ، من السورة ٦٧ : الملك .

٢ـ الآية ٤ ، من السورة ٩٧ : القدر .

٣ـ الآيتان ٣ و ٤ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

مرحلة زمنيّة طولها خمسون ألف سنة . ومن ثمّ فإنّ ما تتناقله الأفواه من أنّ لدينا يوماً في القيامة طوله خمسون ألف سنة ليس صحيحاً ، لأنّ المراد بذلك مرحلة عروج وعودة الروح والملائكة مع جميع العوالم المنطوية تحت تدبيرهم ، فذلك الروح وأُولئك الملائكة يأتون إلى الأرض في مهمّة ما ، ثمّ يعودون إلى مقامهم الأوّل ويعرجون إلى الله تعالى بعد تكامل دورة طبيعتهم وأنفسهم ، فيستغرق هذا العروج خمسين ألف سنة .

ولدينا في القرآن الكريم : **رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ** (أي ذو عرش الحكم على جيمع العوالم ، ذلك العرش الوسيع الذي يتّسع لجميع موجودات العالم العلويّ والسفليّ ، المُلكيّ والملكوتيّ وعالم الوجود) **يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ**.[1]

فمن اتّصل به الروح الأعظم صار بإمكانه إنذار الناس وإيقاظهم ولفت أنظارهم ، أمّا من لم يتّصل بالروح ولم يرتوِ من معينه ، فإنّه لن يتمكّن من إنذار الناس . وذلك الروح يُلقى على الأنبياء والأئمّة لينذروا الناس من خلال الارتباط المعنويّ مع ذلك الروح الأعظم ؛ وبغير ذلك فأنّى للغافل النائم أن يوقظ الغافل ؟

وهذا المنصب والمقام (أي مقام الارتباط بالروح) مختصّ بأُولئك الأنبياء والأئمّة . أمّا باقي أفراد البشر فلا يعلمون شيئاً عن ذلك الروح الأعظم . إلّا أولياء الله والمخلصين والمقرّبين الذين تحرّكوا في متابعة الأنبياء والأئمّة وحظوا بذلك الفوز العظيم ووصلوا إلى مقام التوحيد .

والخلاصة فإنّ فناء الروح الأعظم والملائكة المقرّبين وحشرهم يحصل في ذات الله تعالى . أمّا الأرواح الجزئيّة الإنسانيّة (المدبّرة للبدن

١ـ الآية ١٥ ، من السورة ٤٠ : غافر .

والطبيعة) ففناؤها في المبدأ الذي جاءت منه وتفرّقت عنه .كما أنّ الأرواح الجزئيّة للأنبياء العظام والأئمّة الكرام والمقرّبين ذوي العزّ والإكرام تفنى في الروح الأعظم . فهم يفنون في ذلك الروح الأعظم ، والروح يفنى ـ بدوره ـ في ذات الحقّ تعالى ، والفانيّ في الفانيّ في شيء إنّما يفنى في ذلك الشيء ؛ فالجميع ـ من ثمّ ـ فانون في ذات الحقّ تعالى .

وقد ذكر الروح الأعظم والملائكة المقربّون في الأخبار بتعبيرات مختلفة مثل **أوّل ما خلق الله** ، أو **عالم القضاء** ، أو **أُمّ الكتاب** ، أو **اللوح المحفوظ** .

ومن هناك يجري تقدير كلّ موجود يريد الظهور بشكلٍ وأبعاد معيّنة ، أي أنّ عالم القضاء الكلّيّ الإلهيّ يقضي بتقديره ، فيتشخّص شكل وأبعاد ذلك الموجود الواقع في عالم أدنى هو عالم التقدير ، ثمّ يرتدي لباس التحقّق والوجود في عالم أدنى .

وعالم القدر الذي يُدعى أيضاً بلوح المحو والإثبات ، له معاد وحشر في عالم أعلى منه ، أي في عالم قضاء الله تعالى ، وهي بحار واسعة من خزائن العلم والقدرة والحياة تقوم بالتقدير ، ثمّ تعيّن ـ بالمقدّرات ـ موجودات هذا العالم .

والأدنى من ذلك الملائكة الجزئيّون الذين يدبّرون العالم العلويّ والعالم السفليّ والأفلاك والأرض ؛ حيث ورد في القرآن الكريم :

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا * فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا * وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا * فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا * فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا .[1]

كما ورد : **وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا * وَٱلسَّٰبِحَٰتِ**

١ـ الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٧٧ . المرسلات .

سَبْحًا * فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا.[1]

وهؤلاء الملائكة يعملون وفق ما يؤمرون به ، ويُدعون بالأرواح المدبّرة الجزئيّة ، ومحلّهم ومسكنهم ـ كما ذكر سابقاً ـ أدنى من عالم القدر ولوح المحو والإثبات .

ووفقاً للآية القرآنيّة ، فإنّ نزول الأمر من عالم الأمر إلى الدنيا يحصل بواسطة هؤلاء الملائكة ، حيث ينجز هؤلاء ما عُهد إليهم ثمّ يعرجون إلى الله المتعال في ألف سنة من هذه السنوات التي نعدّها :

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ[2] كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ.[3]

ليس من السنين اللاهوتيّة ، ولا من السنين الجبروتيّة ، ولا من السنين الملكوتيّة ، بل من هذه السنين الطبيعيّة التي تعدّونها .

هذا هو نزول الملائكة من عالم الأمر إلى الدنيا وتنفيذهم المهام وعودتهم إلى الله تعالى . أي أنّ هبوطهم يستغرق خمسمائة عام ، وصعودهم وعودتهم يستغرق ـ بدوره ـ خمسمائة عام ، فيكون المجموع ألف سنة .

ومن هنا فإنّ نزول الروح الأعظم والملائكة المقرّبة الإلهيّة الكلّيّة من الذات القدسيّة للحضرة الأحديّة إلى عالم القدر ، ومن هناك إلى عوالم الملائكة الجزئيّة المأمورة بتدبير الأُمور ، ثمّ إلى عالم الطبيعة ، وإتمام قوس

١ـ الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٧٩ : النازعات .

٢ـ اليوم في العالم الربوبيّ مرحلة زمنيّة قدرها ألف سنة من السنوات العاديّة ، يقول تعالى في القرآن الكريم :

وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (الآية ٤٧ ، من السورة ٢٢ : الحجّ) .

٣ـ الآية ٥ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

النزول في عوالم الكثرة ، ثمّ عروجهم وصعودهم بقوس الصعود ووصولهم إلى نقطة الذروة وطيّ جميع العوالم خلال الطريق وإتمام قوسي الدائرة يستغرق بكامله مائة ألف سنة . وذلك لأنّ عروجهم يستغرق خمسين ألف سنة ، وينبغي أن يستغرق نزولهم بدوره خمسين ألف سنة أُخرى .

ومن هنا فإنّ الحركة من نقطة الذروة في قوس النزول ، وصولاً إلى نقطة الحضيض ، والحركة من نقطة الحضيض إلى نقطة الذروة حيث تختتم دورة الحركة ستستغرق مائة ألف سنة .

وعلى هذا فإنّ دورة قوسي نزول وصعود الملائكة الجزئيّة ستستغرق ألف سنة ، ودورة قوسي نزول وصعود الروح والملائكة المقرّبين ستستغرق مائة ألف سنة .

وإذا ما شئنا الآن بيان معنى السنة ، ومعنى النزول ، فإنّ طبيعة بحثنا لا تتّسع للخوض في هذا المجال ، يُضاف إلى ذلك أنّنا لم نفهم حقيقته التي تُعدّ من أسرار القرآن الكريم .

أذكر أنّني استفسرت من سماحة أُستاذي العلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه قبل عشر سنوات تقريباً ، عن معنى هذه الآية وعن كيفيّة النزول وسرّ تقديره بخمسين ألف سنة ، فأجاب : لا أعلم !

قلت : أليس زمن العروج بقدر زمن النزول ؟ وأساساً فليس هناك ثمّة زمان في العوالم الربوبيّة ؛ فهل المراد بالخمسين ألف سنة زمن النزول من عالم الأمر والصورة إلى الدنيا الزمنيّة ؟ قال : لا أعلم !

وخلاصة القول ، فحيثما دار البحث في هذا الموضوع قال العلّامة : لا أعلم ؟ ولقد كان جادّاً في قوله : لا أعلم ، وأنا بدوري لا أعلم ، **فالعلم عند الله تعالى** .

كان هذا حديثاً عن عروج الملائكة الجزئيّين وحشرهم بالاندكاك

والحضور في أرواح الملائكة المقرّبين ، وفي الروح الأعظم في خاتمة المطاف، ومن ثمّ حشرهم بواسطة الروح وفنائهم في ذات الحضرة الأحديّة .

الثالث : معاد وحشر تلك النفوس الجزئيّة التي تدبّر موادّ هذا العالم ، وتلك النفوس الخياليّة المتعلّقة بالأجرام من قبيل الدخان أو النار ، ومثل الشياطين والجانّ وبعض أصناف البشر من أمثال الكفّار المنكرين المعاندين .

والفرق بين الشيطان والإنسان والجانّ أنّ مادّة الإنسان والحيوان من التراب ، ومادّة الشياطين من النار ، أمّا الجانّ فهم من الدخان ، إلّا أنّهم يمتلكون نفوساً وأرواحاً كما نمتلك أبداناً وأرواحاً ، ومعادهم ليس إلّا منجم النار ومعدنها وروح الحرارة والانصهار .

ولدينا في القرآن الكريم : **وَمَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا**.[1]

وحين تميل نفوس هؤلاء الضالّين في الدنيا إلى الهدوء أحياناً بواسطة الوعظ والنصحية ، فإنّهم سرعان ما ينشغلون بالفساد والفتنة ثانية ، ولو تابوا حقّاً لما استعرت ثانية نار جهنّم حين تنطفئ وتخبو .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ.[2]

أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ.[3]

١ـ الآية ٩٧ ، من السورة ١٧ . الإسراء

٢ـ الآية ١٧٩ ، من السورة ٧ . الأعراف .

٣ـ الآية ١٨ ، من السورة ٤٦ . الأحقاف

وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[١]

وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ.[٢]

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ.[٣]

وعلى كلّ حال ، فقد كانت هذه بعض الآيات القرآنيّة الكريمة الدالّة على حشر طائفة الجنّ ، كما أنّ لبعضها دلالة على حشر طائفة الإنس .

وقلنا بأنّ هؤلاء الذين يُعرضون على جهنّم سيكون حشرهم في روح النار والدخان تلك ،[٤] كما أنّ أفراد البشر من أهل الجنّة إن كانوا من المقرّبين فإنّ حشرهم سيكون في الروح الأعظم ، أمّا إن كانوا من أصحاب اليمين والمتوسّطين ، فإنّ حشرهم سيكون في الجنّة ولذائذها .

كما ورد بشأن هؤلاء الأفراد من البشر : وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا.[٥]

وهم المخلّدون في عالم ملكاتهم وصفاتهم ، والمتنعمّون بتلك الصفات والملكات ، كما يقول :

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن

١ـ الآية ١٣ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٢ـ الآيه ١٥٨ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

٣ـ الآية ١٢٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٤ـ أمّا عن حشر التيطان والشياطين فقد ورد في القرآن الكريم .
فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (آية ٦٨ ، من السورة ١٩ : مريم) ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ. (الآيات ٢٢ إلى ٢٤ ، من السوره ٣٧ : الصافّات) .

٥ـ الآية ٢١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[١]

أمّا الحيوانات فكلٌّ منها يُحشر إلى الروح الكلّيّة المدبّرة لها ، ومن ثمّ فإنّ مرجعها ومعادها سيكون إلى ربّ النوع أو الملك الذي كان يدبّرها ويحافظ عليها ،كما أنّ بعض الحيوانات التي تصبح غذاءً للإنسان ستفنى وتندكّ في الإنسان : **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ.**[٢]

إنّ معاد الحيوانات ـ شأنه شأن معاد الإنسان والشياطين ـ يمثّل عوداً إلى نقطة بدء وجودها ، فهي تعود خلال رجوعها باتّجاه الله تعالى إلى نفس النقطة التي نزلت منها في عالم الملكوت والتي قدّرت منها ماهيّتها الوجوديّة وتشكّلت منها جبلّتها ، فتفنى هناك .

وسيكون حشر كلّ طائفة من الحيوانات المختلفة في المَلَك الخاصّ والروح الكلّيّة المسمّاة بلغة الفلسفة بربّ نوعها ، ثمّ إنّ ذلك الملك سيفنى في الروح الكلّيّة العليا منه ، وتلك تفنى بدورها ، وصولاً إلى الفناء في الذات القدسيّة للحضرة الأحديّة التي تمثّل محلّ فناء وعودة وحشر جميع الموجودات :

وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.[٣]

وخلاصة المطلب ، أنّنا لو غضضنا النظر عن ذات الخالق القدسيّة ، فإنّ جميع الموجودات الأُخرى التي خلقها الله تعالى ، لم يخلقها بلحاظ

١ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ الآيه ٣٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٣ـ الآيه ٢٠٣ ، من السورة ٢ . البقرة .

واحد ومن محلّ واحد ومبدأ واحد ؛ فالأسماء والصفات الكلّيّة متعلّقة بالذات ، أمّا الأسماء والصفات الأوطأ فمتعلّقة بتلك الأسماء والصفات الكلّيّة ؛كما أنَّ الأسماء والصفات الجزئيّة الأدنى في عالم الكثرات متعلّقة بالأسماء والصفات الأعلى منها ، وصولاً إلى الحجر وكُتل الطين والحيوانات والنباتات الضعيفة جدّاً بلحاظ السعة الوجوديّة ، وذات الماهيّات الضيّقة جدّاً والمحدودة ، والتي تمتلك بأجمعها معاداً إلى نقطة بداية وجودها ، وهكذا الأمر بالنسبة إلى الإنسان الذي يعود إلى النقطة التي مثّلت بداية خلقه .

قال صدر المتألّهين في حشر النفوس الناطقة الكاملة :

«هذه النفوس إمّا كاملة كمالاً عقليّاً أو ناقصة ؛ أمّا النفوس الكاملة التي خرجت ذاتها من القوّة العقليّة إلى الفعل وصارت عقلاً بالفعل ، فهي لا محالة محشورة إلى الله تعالى ، لأنّها محشورة إلى العقل ، والعقل محشور إليه تعالى كما سبق ، والمحشور إلى شيء محشور إليه ، فالنفس محشورة إليه.»[1]

وقال في حشر النفوس الحيوانيّة :

«فهي عند موتها وفساد أجسادها راجعة أفراد كلّ نوع منها إلى مدبّرها العقليّ الذي هو ربّ طلسمها ومقصود صنمها وصورة عقلها ومعقولها كمرجوع قوى النفس الإنسانيّة من المشاعر الإدراكيّة والمبادي الشهويّة والغضبيّة إليها عند انقطاعها عن هذا العالم ، وقد حقّق في مظانّه أنّ هذه المشاعر والقوى النفسانيّة كلّها في النفس على وجه آلف وأبسط . وهي إنّما اختلفت وتفرّقت في مواضع البدن ، لأنّ عالم الطبيعة عالم التفرقة

١ـ «رسالة الحشر» من رسائل الملّا صدرا ، ص ٢٤٧ .

والتضادّ لبُعدها عن عالم الوحدة . ومن نظر في الحواسّ الخمس وافتراقها في أعضاء البدن واتّحادها في الحسّ المشترك سهل عليه التصديق بأنّ قوى النفس الواحدة مجتمعة فيها متفرقة في الأعضاء ، بل هذه الأعضاء أيضاً في مقام النفس واحدة ليس موضع العين غير موضع السمع ولا موضع اليد غير موضع الرّجل ولا مواضع الأعضاء هناك كلّها مختلفة ، لأنّ النفس ـ كما عُلم ـ أمر روحانيّ وجميع أعضائها روحانيّة، والروحانيّات لا تزاحم ولا تضايق بينها سواء كانت النفس عقلانيّة وأعضاؤها عقليّة أم حيوانيّة وأعضاؤها مثاليّة ، كما أوضحه معلّم الفلسفة ، وبيّن أنّ في الإنسان الحسّيّ ، الإنسان النفسيّ والإنسان العقليّ ، وبيّن أنّ جميع الأعضاء التي في الإنسان الحسّيّ هي في الإنسان النفسيّ على وجهٍ ألطف ، وكذا جميع الأعضاء التي في الإنسان النفسيّ هي أيضاً في الإنسان العقليّ على وجهٍ أعلى وأشرف ، وأمعن في ذلك إمعاناً شديداً لو نقلنا ما ذكره لأدّى إلى الإطناب ؛ فعُلم أنّ هذه القوى الطبيعيّة والحواسّ المتوزّعة في البدن الطبيعيّ الحسّيّ كلّها متّصلة بالنفس المتخيّلة محشورة إليها ، وهي بجميع قواها وحواسّها المثاليّة متّصلة بالعقل الفعّال في أنفسها المعتبر عنه بالإنسان العقليّ الذي هو الروح المضاف إلى الله تعالى في قوله : **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى** ؛ وهي كلمة الله وأمره المُشار إليها في قوله : **إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ** . وقوله : **قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى** .

وهي التي من الله مشرقها وإلى الله مغربها ؛ وفي الحديث عن بعض أئمّتنا عليهم السلام : **إِنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ لَأَشَدُّ اتِّصَالاً بِرُوحِ اللهِ مِنْ اتِّصَالِ شُعَاعِ الشَّمْسِ بِهَا.**

فإذن كما أنّ قوى النفس الإنسانيّة العقليّة راجعة إليها متّصلة بها اتّصال الأشعة بالشمس ، فكذلك نفوس كلّ واحد من أنواع الحيوان يتّصل

عند الرجوع بعقل ذلك الحيوان ، إذ التحقيق أنّ لكلّ حيوان عقلاً مفارقاً كما قاله الفيلسوف الأوّل ، إلّا أنّ الحياة والعقل ـ كما ذكره في بعضها ـ أبين وأظهر ، وفي بعضها أخفى ».[1]

الرابع : حشر النباتات .

إنّ النباتات باعتبار امتلاكها للحياة والشعور ، كما يظهر من بعض أفعالها وآثارها ، فإنّها أقوى من الجمادات بلحاظ تقسيم المراتب الوجوديّة ، وقد أُطلق عليها ـ بهذه المناسبة ـ اسم النفس في ثلاث مراتب من عملها ، وهي مراتب التغذية والنمو والتكاثر .

ومن هنا فإنّ حشرها قريب من حشر الحيوانات ، لذا فإنّها تطوي مراحل من الكمال في وجودها الطبيعيّ وتقترب من المبدأ الفعّال الذي له في وجودها حكم القوّة المحرّكة والمدبّرة . كما أنّ بعضها ممّن يمتلك نطفة متحرّكة يقترب من مقام الحيوان في مراحل الترقّي والكمال ، ويتخطّى بعضها الآخر هذا المقام فيحلّ في نطفة الإنسان ويقترب من مقام الإنسانيّة .

ومن هنا فإنّ حشر ذلك البعض سيكون أتمّ ، وقيامه في محضر الله تعالى يوم القيامة سيكون أقرب . وعدا ذلك فإنّ النباتات تحتاج إلى الكمال النباتيّ لتصل إلى الله تعالى في سعيها وحركتها . ولأنّ وجود الغذاء وفوريّة النموّ والتكاثر شديد فيها ، فإنّ امتلاكها لهذه الشدّة والحدّة في هذه المرتبة المتسافلة سيعيقها من الصعود والترقّي إلى العالم الأكمل .

ولذلك فإنّ معادها وحشرها إلى الله تعالى سيكون في مقام أدنى وأسفل ، ومن ثمّ فحين تجفّ الشجرة أو تُستأصل فإنّ قوّة تلك الشجرة ستعود إلى مدبّرها النوعيّ وإلى ملكها الأُخرويّ .

---

١ ـ «رساله الحشر» ص ٣٤٨ و ٣٤٩ .

قال الفيلسوف الأوّل في كتاب «الربوبيّة» :

فإن قال قائل : إن كانت قوّة النفس تفارق الشجرة بعد قطع أصلها ، فأين تذهب تلك القوّة أو تلك النفس ؟ قلنا : تصير إلى المكان الذي لم تفارقه ، وهو العالم العقليّ .»[1]

وهذه الحركة والبعث من النبات يمثّلان سيره إلى حشره ومعاده ، إذ : **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**.[2]

الخامس : حشر الجمادات :

إنّ جميع الجمادات لها حشر ، حتّى المادّة الأُولى والهيولى البحتة الصرفة ، لأنّها لم توجد في عالم الوجود عبثاً ، ولأنّها خلقت لهدف وقصد معيّنين تسعى إليهما بوجودها وحركتها ، سواءً كانت حركتها جوهريّة أم غير جوهريّة ؛ محاولةً سدّ نقصها من خلال الوصول إلى ذلك الهدف ، وتبديل حركتها إلى سكون واستقرار .

قال صدر المتألّهين : «وكلّ صورة ناقصة لا يمكن وجودها إلّا بصورة مجدّدة متمّمة لها محيطة بها مخرجة إيّاها عن القوّة إلى الفعل . ولولاها لم يكن لهذه الناقصة وجود ، إذ الناقص لا يقوم بذاته إلّا بالكامل . والقوّة والإمكان لا يوجدان إلّا بالفعليّة والوجوب . فالكمال أبداً قبل النقص،والوجوب دائماً قبل الإمكان . **وما بالفعل** البتّة قبل **ما بالقوّة** ، قبليّته بالذات . والذي يُوقع الناس في الغلط والاشتباه ما يرون في هذا العالم من تقدّم القوّة والنقص على الفعليّة والكمال تقدّماً بالزمان ،كالبذر على الثمرة والنطفة على الحيوان . أوَ لم يعلموا أنّ هذا التقدّم الزماني ليس من الأسباب

١ـ «رسالة الحشر» ، ص ٣٥١ .

٢ـ الآية ٤٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

الذاتيّة للشيء المعلول ، بل هو مهيّء للمادّة ومعدّ لقبول الصورة من مبدئها الذاتيّ ، فإذاً ثبت وتحقّق أنّ لكلّ من الصور العنصريّة والجماديّة صورة أُخرى كماليّة في ذاتها غائبة عن أبصارها قريبة منها ، وليست هي بعينها العقل الفعّال بلا متوسّط لأنّا قد أشرنا إلى أنّ الأدنى لا يصدر من الأعلى إلّا بمتوسّط مناسب للجانبين ، فلكلّ من هذه الصور صور غيبيّة هذه شهادتها وأُخرى هذه دنياها .

إلّا أنّ منازل الآخرة كمنازل الدنيا متفاوتة في اللطافة والكثافة ومترتّبة في القرب من الله والبُعد عنه ، ومعاد الخلائق في الآخرة على حسب مراتبها في الدنيا ، فالأشرف يُعاد إلى الأشرف والأخسّ إلى الأخسّ ، ومتى انتقلت صورة في هذا العالم من خسّة إلى شرف ومن نقصٍ إلى كمال كما انتقلت صورة الجماد إلى النبات ، أو صورة النبات إلى صورة الحيوان ، كان معادها إلى معاد ما انتقلت إليه وكان ذلك ، كما أنّ الرجل الكافر إذا أسلم ، أو الرجل الفاجر الفاسق إذا تاب عن فسقه وفجوره وصار امرءاً فاضلاً صالحاً انتقل معاده الذي كان إلى بعض طبقات الجحيم وأبوابها كائناً إلى بعض طبقات الجنان وأبوابها على حسب مقامه وحاله في الدنيا .

فإذاً ما من موجود من الموجودات الطبيعيّة المادّيّة إلّا وله صورة مثاليّة في الآخرة ، ولصورته المثاليّة صورة عقليّة في عالمٍ آخر فوقها هي دار المقرّبين ومقعد العلّيّين ، والدليل على أنّ كلّ صورةٍ حسّيّة باطنها صورة مثاليّة تتقوّم بها وتعود إليها ، وكلّ صورة مثاليّة باطنها صورة عقليّة تتقوّم بها وتحيى بحياتها وتعود إليها،أنّا متى أحسسنا بشيء ووقعت صورته في قوّة حسّنا واستكمل حسّنا بها ، تصوّرت بها أيضاً قوّة خيالنا التي أقمنا البراهين في كتبنا على تجرّدها وتجرّد ما تصوّر فيها ، وتمثّل لها ، وكذلك انتقلت في عقلنا صورتها العقليّة ، فلولا أنّ بين محسوسها

ومتخيّلها ومتعقّلها علاقة ذاتيّة لماكان الأمر كذلك ، وكذلك الأمر بالعكس فمتى تعقّلنا صورة عقليّة ووقعت منها حكاية تطابقها في خيالنا ، وإذا اشتدّ وجود الصورة في عالم الخيال تمثّلت بين يدي حسّنا منها صورة في الخارج ،كما قال تعالى : **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**.[1]

ومن هذا القبيل رؤية النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم صورة جبرائيل كأنّه طبق الخافقين ، وكذا التي يراها الإنسان في عالم الجنان من الأشجار والأنهار والغرفات والصور الحسان والحور والغلمان ، وكذا ما يراها أصحاب الجحيم من السلاسل والأغلال والحميم والزقوم والعقارب والحيّات وغير ذلك إنّما يبرز من الباطن إلى الظاهر ، وكلّ صورة حسّيّة هيولى للصورة النفسانيّة وهي للعقليّة .

وقد علمت أنّ الصورة تمام الهيولى التي بها تصير موجودة بالفعل وبها بقاؤها وكمالها ، فبقاء الحسّ بالنفس وبقاء النفس بالعقل وبقاء العقل بالباري الحقّ فاعل الكلّ وغاية الكلّ ومتمّم صورة الكلّ ، ونقول أيضاً إنّ الصور الحسّيّة قوالب للخياليّة وهي أرواحها ، والخياليّة قوالب للعقليّة وهي حقائقها ، فإذاً حشر الأبدان الطبيعيّة إلى الأبدان الأُخرويّة ، وحشر تلك الأبدان إلى الصور العقليّة وحشرها إلى الله تعالى .

قال الفيلسوف في الميمر الثامن إنّ هيولى العقل شريفة جدّاً ، لأنّها بسيطة عقليّة غير أنّ العقل أشدّ منها انبساطاً وهو محيط بها ، وإنّ هيولى النفس شريفة جدّاً ، لأنّها بسيطة نفسانيّة غير أنّ النفس أشدّ انبساطاً منها وهي محيطة بها ومؤثّرة فيها الآثار العجيبة بمعونة العقل ، فلذلك صارت أشرف وأكرم من الهيولى ، لأنّها تحيط بها وتصوّر فيها الصور العجيبة ،

١ـ الآيه ١٧ ، من السورة ١٩ : مريم .

والدليل على ذلك العالم الحسّيّ، فإنّ من يراه يكثر منه عجبه، ولا ـسيّما إذا رأى عظمته وحسنه وشرفه وحركته المتّصلة الدايمة السايرة التي فيها الظاهرة منها والخفيّة والأرواح الساكنة في هذا العالم من الحيوان والهواء والنبات وسائر الأشكال كلّها، إذا رأى هذه الأشياء الحسّيّة التي في هذا السفليّ الحسّيّ فليرتقِ بعقله إلى العالم الأعلى الحقّ الذي إنّما هذا العالم مثال له ويُلقي بصره عليه، فإنّه سيرى الأشياء كلّها التي رآها في هذا العالم هناك، غير أنّه يراها هناك عقليّة دائمة متّصلة ذات فضائل وحياة نقيّة ليس يشوبها شيء من الأدناس، ويرى هناك الأشياء ممتلئة عقلاً وحكمة من أجل النور الفائض عليها، وكلّ واحد يحرص على الترقّي إلى درجة صاحبه، وأن يدنو من النور الأوّل الفائض على ذلك العالم، وذلك العالم محيط بالأشياء كلّها، الدائم الذي لا يموت، والمحيط بجميع العقول والأنفس ـ انتهى كلامه.

فثبت وتحقّق من جميع ما ذكرناه ونقلناه أنّ لكلّ صورة حسّيّة صورة نفسانيّة في عالم الغيب هي معاد هذه الصورة ومرجعها الذي تُحشر إليه بعد زوالها عن هذا العالم، أي عالم الحسّ والشهادة، وهي الآن أيضاً متّصلة بها راجعة إليها لكنّها لمّا كانت مغمورة في الهيولى مشوبةً بالنقايض والإعدام، محجوبةً بالغواشي لا يتبيّن حشرها إلى تلك الصورة النفسانيّة لمن أراد أن يراها ويشاهدها إلّا أهل المعرفة الذين يشاهدون أحوال الآخرة بأعين البصائر، فإذا انفسخت صورتها المادّيّة وتجرّدت عن هذه الغواشي الجسمانيّة التي هي بالحقيقة مقبرة ما في علم الله، برزت إلى ذلك العالم وحُشرت إلى دار الآخرة كما قال تعالى: وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ.[1]

١ـ الآية ٣٦، من السورة ٧٩: النازعات.

والجحيم التي ستبرز في دار الآخرة بحيث يُشاهدها الخلائق عند ذلك بعلم اليقين ثمّ بعين اليقين هي باطن هذه الصورة السفليّة الطبيعيّة التي تحرق نارها الأبدان وتبدّل الجلود بالاستحالة والذوبان ، لكنّها مستورة ها هنا على هذه الحواسّ الداثرة الفانية ، فإذا خرجت النفوس عن هذا العالم وبُعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور نراها ذلك اليوم بصورتها الكامنة اليوم ،كما في قوله تعالى :

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ .[1]

ومن العجب أنّه كما أنّ باطن هذه النار الحسّيّة نار أُخرويّة ،كذلك باطن الماء وغيره من الصور السفليّة نار أُخرويّة أيضاً ؛كما في قوله تعالى :

أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا .[2]

وقوله : **وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ .**[3]

ويروى عن الضحّاك في قوله تعالى **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** : «هي حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب آخر » .

وعن بعضهم : **يَا بَحْرُ ! مَتَى تَصِيرُ نَارًا ؟**

وهي النار التي وقودها الناس والحجارة ، وهذه النار غير النار النفسانيّة الموقدة التي تطلّع على الأفئدة ، وهما جميعاً غير النار الحقّة التي هي صورة عقليّة تفيض عنها الصورة النفسانيّة الناريّة ، وهذه النار المحسوسة هي كسائر الأُمور التي لها صورة حسّيّة في هذا العالم وصورة

١ـ الآيات ٥ إلى ٧ من السورة ١٠٢ . التكاثر .

٢ـ الآيه ٢٥ ، من السورة ٧١ : نوح

٣ـ الآيه ٦ ، من السوره ٨١ . التكوير .

مثاليّة حيوانيّة في عالم الآخرة، وهي التي تعود وتحشر إليها هذه المحسوسة عند تبدّل نشأتها الهيولويّة، وصورة عقليّة في عالم آخر فوق العالمين، وهي التي تعود وتحشر إليها هاتان الصورتان»[1].

ثمّ قال بعد بيان موجز:

«فإذا رجعت الأشياء إلى مقارّها الأصليّة بعد خروجها عن عالم الحركات والاستحالات والشرور والآلام والأحزان بالموت والفساد والفزع والصعق، تعطف عليها الرحمة الإلهيّة تارة أُخرى بالحياة التي لا موت فيها والبقاء الذي لا انقطاع له، ولهذا قال:

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ.[2]

وقال: **وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا.**[3]

وتلك الأرض الأُخرويّة المقبوضة هي صورة ذات حياة، نسبتها إلى هذه الأرض التي نحن الآن عليها نسبة السماء إلى الأرض، وجميع ما في ذلك العالم صورة حيوانيّة إدراكيّة ليس لها موضوع أو مادّة لا حياة لها كهيولى هذا العالم، وأجسادها التي تكون الحياة عرضيّة لها عارية عليها من النفس، وكذلك الماء والنار والهواء والشجر والجبال والأبنية والبيوت كلّها موجودة هناك بوجود صوريّ نفساني بلا مادّة وحركة وقوّة وإمكان، لأنّ صورتها معلّقة قائمة لا في مادّة، على أنّها ليست إلّا جزئيّة مشاهدة محسوسة بحواسّ غير داثرة ولا فانية، لأنّ كلّها في موضوع النفس،[4] كأنّها

١ـ «رسالة الحشر» ص ٣٥٥ إلى ٣٥٨.

٢ـ الآية ٦٨، من السورة ٣٩: الزمر.

٣ـ الآية ٦٩، من السورة ٣٩: الزمر

٤ـ لقد جعل المرحوم الملّا صدرا عالم البقاء بالله نفسانيّاً، بيد أنّنا قد أثبتنا سابقاً ـ ضمن إثبات المعاد الجسمانيّ العنصريّ المادّيّ ـ أنّ النفس تحصل بعد الفناء على الإحاطة ⇐

قوّة واحدة مع أنّها كثيرة الصور المرئيّة والأشكال العظام والمقادير الجسام ، وهذا من العجايب التي يسهل إدراكها والإذعان بوجودها لأُولي البصائر ، وإن صعب على غيرهم الإذعان إلّا من طريق السماع والتقليد ».[1]

ای بلبل جان چونی اندر قفس تن‌ها
تا چند در این تن‌ها مانی تو تن تنها
ای بلبل خوش الحان زان گلشن و زان بستان
چون بود که افتادی ناگاه به گلخن‌ها
گوئی که فراموشت گردیده در این گلخن
آن روضه و آن گلشن و آن سنبل و سوسن‌ها
بشکن قفس تن را پس تنتن تن کوبان
از مرتبهٔ گلخن بخرام به گلشن‌ها
مرغان هم‌آواز مجموع از این گلخن
پرّنده به گلشن شد بگرفته نشمین‌ها[2]

⇦ بحقيقة عالم الزمان والمادّة ، وتحصل على إدراك نفسها وبدنها طيلة عمرها وجداناً .

١ـ «رسالة الحشر» ضمن «رسائل الملّا صدرا» ص ٣٥٩ و ٣٦٠ .

٢ـ «ديوان مغربى» ص ٩ .

يقول الشاعر : «يا عندليب الروح !كيف حالك في قفص الأبدان ؟ إلى متى ستبقى في هذه الأبدان فرداً وحيداً .

أيّها العندليب الغرّيد في هذا الروض والبستان !كيف ـ يا ترى ـ سقطتَ فجأةً في هذه المواقد السوداء ؟

كأنّك نسيت في هذا الموقد تلك الروضة وذلك البستان وتلك السنابل وزهور السوسن !

فحطّم قفص البدن وسرْ مترنّماً في تِيه ودلال من مرتبة الموقد إلى الرياض !

لقد طارت كل الطيور التي صدحتْ معك من هذا الموقد واتّخذت في الروض أوكاراً» .

در بـــيشهٔ دام و دَدْ مأوى نــتوان كــردن
زين جاى مخوف ايجان رو جـانب مأمـنها
اى طـــاير افــلاكــى در دام تــن خــاكــى
از بـــهر دو ســه دانــه وامــانده ز خـرمنها
بارى چـو نـمىيارى بـيرون شـدن از قـالب
بـــر مــنظرهاش بــنشين بگشــارده روزنهـا
اى مغربى مسكين اينجا چـه شـوى سـاكـن
كــانجاست بــراى تـو پـرداخـته مسكـنها[1]

١ـ يقول : «وأنّى يمكن العثور على مأوى في أجمة الوحش والشّراك ، فيا أيّتها الروح غادري هذا المكان المخوف واتّجهي إلى الجانب الآمن .

يا طائر الأفلاك الساقط في أحبولة البدن الترابيّ ! لقد حُرمت ـ من أجل حبّات ثلاثٍ ـ من هذه البيادر !

ولأنّك لا تتمكّن من التخلّي عن قالب البدن ، فعليك أن تفكّر في سبيلٍ لفتح نوافذ (لتحرير روحك) .

وأنتها «المغربيّ» المسكين ! ماذا عساك لأن تسكن هنا بينما هُيّئت لك المساكن هناك ؟! » .

المجلس الحادي والأربعون

تطاير الكتب وصفة صحيفة الأعمال



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّٰه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا .[1]

أحد عوالم القيامة عالم تطاير الكتب ، وقد شاهدتم بطبيعة الحال الوصايا المدوّنة وقد كُتب فيها : أشهد أنّ الموت حق ، وأنّ القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حقّ ، والحشر حقّ ، والصراط والميزان حقّ ، وتطاير الكتب حقّ ... إلى آخر هذه الشهادات .

وتطاير الكتب يعني فتح صحائف الأعمال ونشرها. فَلِمَ يُدعى تطايراً إذاً ؟ لأنّه مُنتزع من هذه الآية المباركة: **وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ**. والطائر من الحيوان كلّ ما يطير بجناحين؛ وقد ورد في تفسير «مجمع البيان»:

«وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ» ؛ مَعْنَاهُ وَأَلْزَمْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ عَمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي عُنُقِهِ كَالطَّوْقِ لَا يُفَارِقُهُ ؛ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْعَمَلِ: طَائِرٌ عَلَى عَادَةِ العَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ : جَرَى طَائِرُهُ بِكَذَا.

١ـ الآيتان ١٣ و ١٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

وَقِيلَ : طَائِرُهُ يُمْنُهُ وَشُؤْمُهُ ؛ وَهُوَ مَا يُتَطَيَّرُ بِهِ ؛ وَقِيلَ : طَائِرُهُ حَظُّهُ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ ؛ وَخُصَّ العُنُقُ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الطَّوْقِ الَّذِي يُزَيِّنُ المُحْسِنَ وَالغُلِّ الَّذِي يَشِينُ المُسِيءَ ؛ وَقِيلَ : طَائِرُهُ كِتَابُهُ ؛ وَقِيلَ مَعْنَاهُ : جَعَلْنَا لِكُلِّ إِنسَانٍ دَلِيلاً مِنْ نَفْسِهِ.[1]

فتطاير الكتب ـ إذاً ـ يعني تطاير صحائف الأعمال ، إذ توضع الصحائف في رقبة الإنسان كالطوق ، وحين تُفتح فإنّها تتطاير كما يطير الطائر وتتّجه إمّا صوب **المقرّبين** أو صوب **أصحاب اليمين** أو صوب **أصحاب الشمال** ، باعتبار وقوف **المقرّبين والمخلَصين** في مكان خاصّ يوم القيامة ، والأمر كذلك بالنسبة إلى **أصحاب اليمين** وإلى **أصحاب الشمال** . فكلّ عمل عمله الإنسان سيلحق بالمقرّبين بمقدار ما له من درجة القُرب ؛ أمّا إذا كان لعمل الإنسان سنخيّة مع أعمال أصحاب اليمين فسيطير صوب أصحاب اليمين ، أمّا لو كانت سنخيّته مع أعمال أصحاب الشمال فسيطير تجاههم .

ومن هنا فإنّ عالم تطاير الكتب يعني العالم الذي تتطاير فيه صحائف الأعمال فيتّجه كلّ منها إلى محلّه وموضعه ، وهذا هو المعنى الذي يمكن بيانه لتطاير الكتب على أنّه يمكن ذكر معنى آخر للطائر ، وهو أنّ الطائر كناية عن المقدّرات التي تُعطى للإنسان جزاء عمله ، إذ يتفأّل العرب بالطائر يمُناً وشؤماً ؛ فهم يعتقدون ـ مثلاً ـ أنّ الغراب لو طار من الشمال إلى اليمين كان ذلك يُمناً ، أمّا لو طار من اليمين إلى الشمال كان ذلك شؤماً ، فإن شاهد الإنسان عند خروجه من داره غراباً يطير بهذه الكيفيّة أو تلك كان ذلك له يُمناً أو شؤماً .

---

١ ـ «مجمع البيان» ج ٣ ص ٤٠٤ ، طبعة صيدا .

وإن هبطت بوم على سطح منزل ، دلّ ذلك على الموت والفناء ، أمّا لو هبطت حمامة ورقاء ، دلّ ذلك على اليُمن والسعادة . ولا يعترف الإسلام بمثل هذه الأُمور لعدم وجود حقيقة وواقع لها ، أمّا الأثر المترتّب عليها فليس إلّا الأثر النفسيّ لا غير ؛ وتبعاً لذلك فقد نهى الإسلام عن الطِّيَرة .

فالطائر ـ إذاً ـ كناية عن السعادة أو الشقاء الذي يصبح من نصيب الإنسان إثر عمله الصالح أو الطالح ، منتهى الأمر أنّه إذا تفّأل بذلك الطائر دُعي ذلك تفؤلاً ، وإن تشاءم منه دُعي تشاؤماً .

والطائر يعني المقدّرات التي تلازم الإنسان إثر العمل الحسن أو القبيح ، وطائر الإنسان يعني مقدّراته التي تلحقه إثر العمل . وكما يقدّر الإنسان مقدّراته بذلك الطائر ، فإنّ تلك المقدّرات وتلك الأعمال وذلك الجزاء الذي يلحق الإنسان إثر العمل الحسن أو السيّء فيلازمه ويقارنه قد عبّر عنها كنايةً بالطائر .

إنّنا سنخرج هذا الطائر للإنسان يوم القيامة ، وحين يشاهد الإنسان صحيفة عمله المدوّنة ، فإنّه سيشاهد جميع مقدّراته من الأعمال الحسنة أو القبيحة التي فعلها ، والتي ستكون بأجمعها ظاهرة لفاعلها .

وعلينا أن نرى العلّة التي من أجلها قال تعالى : **أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِ** . وذلك باعتبار أنّ عنق الإنسان يمثّل محلّ تعليق الطوق والعقد من المجوهرات ليزهو فوق صدره إن كان مُحسناً مستحقّاً للثواب والجائزة ، ومحلّ تعليق الغلّ والسلاسل للمسيء المجرم .

فالرقبة ـ إذاً ـ هي محلّ جزاء المحسنين والمسيئين قبال ما لهم من إحسان أو إساءة .

وعلى هذا الأساس فقد ورد في التعبير هنا كناية عن أن صحيفة الإنسان تعلّق في عنقه وتلازم وجوده ، أي أنّ من عمل عملاً في الدنيا فإنّ

ذلك العمل سيُطوى ويعلّق في عنقه . سيلفّ العمل ويطوى فوق العمل الآخر ، فلا يعود يبدو في النظر . إنّ جميع الأعمال التي فعلناها ليست ماثلة الآن أمام أعيننا ، فنحن نعمل العمل فيذهب وينقضي ، أشبه بالرسائل التي كانت تدوّن في السابق ثمّ تطوى وتُرسل من مدينة إلى أُخرى ، وخاصّة الأحكام والأوامر التي كان الملوك يصدرونها فتدوّن في هيئة رسالة ذات عرض قليل إلّا أنّ طولها كبير قد يصل إلى عشرة أمتار ، وكانوا يطوون تلك الرسائل ثمّ يختمونها ويضعونها في غلاف ذهبيّ أو فضّيّ يلحمون نهايته قبل إرسالها لتكون الرسالة محفوظة من الرطوبة لو قدّر للأمطار أن تهطل عليها في الطريق . وحين كانت تلك الرسالة تصل إلى المُرسَل إليه فإنّه كان يفتحها ويمسك بها من طرفها ويقرأها من بدايتها إلى نهايتها حسب الترتيب الذي دوّنت به ، فقد دُوّنت وطويت شيئاً فشيئاً حتّى انتهاء ورق الرسالة ، وحين يُراد قراءتها فإنّهم يقرأون المطالب بنفس ذلك الترتيب . وكما يلفّون ورق الرسائل بعد تدوينها ، فإنّهم يعكسون الأمر الآن فينشرون الرسالة ويفتحونها : **وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰباً يَلْقَـٰهُ مَنشُوراً** ؛ أي مبسوطاً .

إنّنا نلفّ الأعمال التي يقوم بها أفراد البشر ونطويها ونعلّقها في أعناقهم لتلازمهم ، إلّا أنّهم لا يرون تلك الأعمال باعتبارها مطويّة ملفوفة . أمّا يوم القيامة فإنّنا سننشر تلك الأعمال المطوية فيرونها ويقرأونها في هيئة صحيفة طويلة منشورة .

ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ ؛ اقرأ صحيفة عملك وشاهدها بنفسك !

كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً .

وكفى بك اليوم محاسباً لنفسك ؛ أنت اليوم أفضل محاسب لنفسك ، فليس ثمّة من حاجة لمحاسب آخر ليُحاسبك ! لماذا ؟

لأنّ تلك الأعمال هي أعمالك التي صارت الآن حاضرة ومشهودة بمرأى منك ومسمع .

ويُدعى هذا العالم بعالم **تطاير الكتب** ، وكما ذكرنا سابقاً فإنّ هذا العالم يمثّل نشر الأعمال بعد طيّها .

إنّ الإنسان بعد أن يفنى ثمّ يجد البقاء بالله تعالى ويعود إلى عالم الوجود فإنّه سيرى نفسه وجميع أعماله منذ ولادته إلى موته مع جميع آثاره وخصائصه في كلّ نقطة من الأمكنة وكلّ لحظة من لحظات الزمان ، مع جميع القرائن المحيطة بالفرد والجماعات التي تعامل معها ، والأخلاق والصفات التي امتلكها ، والملكات التي حازها ، والنوايا التي انطوى عليها لفعل تلك الأعمال ؛ سيراها بأجمعها مبسوطة ومنشورة أمامه فيقرأها ويتلوها . وسيقال له : تعال ؛ فهذا كتاب عملك المتعلّق بك ! فينظر الإنسان إلى هذه الصحيفة ويرى ـ من جهة ـ أنّها صحيفته ، لكنّه لا يصدّق ـ من جهة أُخرى ـ أنّ هذه الصحيفة على هذا القدر من الدقّة ، وأنّها قد دوّنت الصغيرة والكبيرة ، وأنّها دوّنت الأشياء التي لم تكن تلوح في نظر الإنسان أساساً ، ليس بكتابه القلم والحبر على الورق ، بل إنّها مكتوبة في عالم التكوين بقلم التحقّق والواقعيّة . وأنّ نفس عمل الإنسان قد أُخذ وسُجّل ، وأنّه سيؤتى بنفس وجود الإنسان مع عمله ، بحيث إنّ الإنسان وعمله ليسا خارجين عن تلك النفس الناطقة والروح التي له .

بل إنّ الإنسان يرى أنّ هذه الأعمال أعماله وآثاره ، فيعلم بها علماً حضوريّاً لا حصوليّاً ، وهو ممّا يُثير العجب والدهشة . سيعجب الإنسان آنذاك من الأمر ، ويدهش من دقّة هذه الصحيفة المدوّنة ، تلك الدقّة في التدوين والتسجيل التي لا تخطر على عقل الإنسان ، لأنّ الله هو المُحصي ، ولأنّ هذه الصحيفة قد نظّمت بأمره وتحت إشرافه .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الكِرَامَ الكَاتِبِينَ الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ.[1]

ذلك لأنّ ملائكة تدوين الأعمال وتسجيلها يسجّلون جميع الأعمال الظاهريّة والباطنيّة ، إلّا أنّ بعض النوايا في أعمال القلب على قدر من اللطافة والخفاء بحيث لا يمكن للملائكة إدراكها ولا رؤيتها ، لا بعين الظاهر ولا بعين الباطن ، لكنّ الله تعالى يراها ، إذ لا يخفى عليه شيء ، لماذا ؟ لأنّه : **كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ.**

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوٓا أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ.[2]

وما أكثر الأعمال التي فعلناها ، والنوايا التي انطوينا عليها ، والخواطر التي مرّت على قلوبنا ، والأفكار الباطلة التي فكّرنا بها ، ثمّ استترت بمرور الوقت تحت ستار الغفلة والنسيان ، لكنّ جهاز التسجيل ذلك يقظ ومنتبه ، والله تعالى حيّ على الدوام وناظر وشاهد ، فهو يرى الظاهر ويرى الباطن ويحفظهما بجميع درجاتهما ومراحلهما ، ويعدّ الأعمال الكبيرة والصغيرة ، ويحفظ الأعمال الظاهرة والباطنة فلا ينسى منها شيئاً ، لأنّ الله على كلّ شيء شهيد .

١ـ من فقرات دعاء كميل الذي رواه الشيخ الطوسيّ في «المصباح» ص ٥٨٧ إلى ٥٩٢ والكفعميّ في «مصباح الكفعميّ» وفي «البلد الأمين» ، والسيّد ابن طاووس في «الإقبال» والمجلسيّ في «زاد المعاد» .

٢ـ الآية ٦ ، من السوره ٥٨ : المجادلة .

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ.[1]

إنّ الله سيأتي بما فعله الإنسان قبل يوم القيامة وأخفاه لئلا يراه زيد وعمرو وبكر ، فيظهره للإنسان :

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.[2]

يوم القيامة هو اليوم الذي يصدر فيه جميع الناس . من أين ؟ من قبورهم . يصدرون متفرّقين جماعات ليُروا أعمالهم ، فمن عمل منهم قدر ذرّة خيراً رآه ، ومن عمل قدر ذرّة شرّاً رآه .

إنّ القبور الآن محلّ للواردات بلا صادرات ، فكلّ ما فيها مراكز للواردات ، اذهبوا إلى غرفة مسؤول المقبرة الواقعة جنب مغسلة الموتى وتطلّعوا إلى دفتره ، فسترون أنّ كلّ ما لديه واردات ، وأن ليس ثمّة صادرات أبداً . أمّا يوم القيامة فإنّ جميع هذه الواردات ستصدر فيصبح الدفتر سجلاًّ للصادرات .

يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ.[3]

إنّ الأرض لا ثقل لها الآن ، فهؤلاء الخلائق الذين دُفنوا فيها خلال آلاف السنين صاروا يخرجون الآن منها ويصدرون **كالجراد المنتشر**.

وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً.[4]

١ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٦ : الأنعام

٢ـ الآيات ٦ إلى ٨ ، من السورة ٩٩ : الزلزلة

٣ـ الآية ٧ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٤ـ الآيات ٢ إلى ٦ ، من السورة ٩٩ : الزلزلة .

سيخرج الناس من القبور جماعات وأفراداً متفرقين ، لماذا؟ ليُروا أعمالهم . فيقول الإنسان : ما الأمر ؟ لماذا تُحدّث الأرض أخبارها وقصصها؟ وكيف تُخبر عن أحوالي ؟ لقد أوحى لها الله وأحياها وأيقظها وجعلها تتحدّث بحيث تأخذ الأعمال وتسجّلها ، وها هي تحدّث بها وتفصح عنها بكلامها .

وهناك في هذه الآيات القرآنيّة المباركة عدّة أنواع من التعبير :

أوّلها أنّ الله قد جعل الأعمال ملازمة للإنسان : **أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ**؛ وجرى في موضع آخر التعبير بإحصاء الله تعالى : **أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ**؛ وفي موضع آخر بالظهور والجلاء بعد الخفاء : **بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ**؛ أمّا في هذه الآية : **لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ** فيقول : ليرى الناس أعمالهم ويطّلعون على حقيقة عملهم .

أفيستطيع الإنسان أن يُنكر صحيفة عمله تلك ؟ لو سُجّل صوت الإنسان وصورته في جهاز ما ثمّ عُرض له فإنّه لن يستطيع الإنكار ، أمّا في القيامة فالأمر ليس كتابة وتسجيلاً ، وليس تصويراً وعرضاً سينمائيّاً ، فالأمر فوق هذا وأعلى .

هنالك يؤتى بالإنسان وبالعمل الذي فعلهحينما كان متلبّساً بارتكاب ذلك العمل ، لأنّ معنى البقاء بعد الفناء أن يبقى الإنسان ذلك اليوم يهيمن على بدنه الدنيويّ مع جميع أعماله التي قام بها . فيرى الإنسان نفسه ـ من ثمّ ـ وهو منهمك ، بالقيام بتلك الأعمال .

أنقدر الآن وفي هذه اللحظة أن نُنكر هيئتنا وحالنا الوجوديّ الحاضر ؟ أيمكن ذلك أساساً؟ أيمكننا حين ينتهي حديثنا أن ننكره ؟ أنستطيع ـ يا ترى ـ إنكار حديثنا الذي قلناه ؟ أيمكننا إنكار نفس هذا التحدّث ؟ كلّا بطبيعة الحال ، لأنّ هذا الإنكار هو عين الإقرار والاعتراف ،

وهذا النفي هو عين الإثبات .

إنّ الإنسان سيكون يوم القيامة منشغلاً بفعل نفس الأعمال التي سبق له فعلها ، منتهى الأمر أنّها كانت في الدنيا في صورة مُلكيّة ، وستكون يوم القيامة في صورة ملكوتيّة ، فمن سيستطيع الإنكار يا ترى ؟

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .[1]

والتوفية من وفى يفي توفّى ويتوفّى ، ووفّى يوفّي توفيةً ، أي أعطاهم بصورة تامّة كاملة .

نحن نقول لزيد ـ مثلاً ـ : اذهب واقبض مبلغ خمسة آلاف تومان الذي لنا في ذمّة عمرو ! فيذهب ليقبض المبلغ ، فيماطله عمرو ويقول له : تعال غداً ! فيردّ زيد : لا يمكن ذلك !

فيقول عمرو : تعال عصراً !

فيقول : لا يمكن ذلك !

فيقول : تعال بعد ساعة !

فيردّ زيد : لا يمكن ، وعليك أن تدفع المبلغ الآن .

فيقول عمرو : إذا توجّب عليّ الدفع الآن ، فسأدفع ألف تومان .

فيردّ : لا يمكن !

فيزيده عمرو وهو يرفض مصرّاً على قبض المبلغ بتمامه وإلى آخر ريالٍ منه ، وحين يقبض زيد تمام الخمسة الآف تومان فإنّ عمله سيُدعى توفيةً .

لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ؛ أي أنّ الأفراد الذين يحضرون يوم القيامة سيُعطون أعمالهم بصورة وافية تامّة ؛ **وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ولا يتعرّضون لحيَف

---

١ ـ الآية ١٩ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

ولا ظلم لماذا ؟ لأنّ الأعمال هي أعمال الإنسان التي صدرت منه بإرادته واختياره ، وها هي نفس تلك الأعمال تُعطى للإنسان في صورتها الملكوتيّة المتناسبة مع ذلك العالم . فما الذي يعنيه الظلم من ثمّ ؟ ألم نقرأ يا ترى :

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ.[1]

على كلّ فرد أن يحمل وزره ـ لا وزر غيره ـ بنفسه ، فليس ـ إذاً ـ من الظُلم أن يوفّى الإنسان يوم القيامة نفس أعماله المترشّحة عنه ، لأنّه لم يحمل وزر شخص آخر ، ولم يُلزم في عنقه طائر امرئ آخر ، وسيكون حمله هو وزره الذي ارتكبه في الدنيا باختياره وإرادته .

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.[2]

فكيف لو جمعناهم ليوم لا شكّ في تحقّقه ووقوعه ، يومٌ مجموعٌ فيه الناس ، ووفّينا كلّ نفس ما عملت دون أن يُظلموا شيئاً .

يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ.[3]

إنّ الأعمال التي فعلناها موجودة الآن ، منتهى الأمر أنّها مطويّة ، ثمّ تمرّ الساعات فتطوى هذه الأعمال وتعلّق في عنق الإنسان كشريط مسجّل ، إلّا أنّه شريط ملكوتيّ ، وهذا الشريط يلتقط الصوت كلّ لحظة ، يلتقط صوت المتكلّم ، وصوت دقّات الساعة ، وقرقعة مبرّدة الهواء ، وصوت العطسة التي قد يعطسها البعض ، ويسجّل كلّ شيء ، حتّى ينتهي الشريط .

هناك ملكان باسم «رقيب» و «عتيد» جالسان على منكبينا يستلمان

١ـ الآية ١٨ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

الأعمال يسجّلانها على هيئة شريط ، ثمّ تطوى هذه الأعمال بجميع خصائصها إلى اليوم الذي تُنشر فيه وتُعرض .

وهذا الشريط المسجّل في الدنيا قد أُعدّ لغرض معيّن ، وهو أن يُنشر في ساعة معيّنة ويُقرأ لاستحصال النتيجة ؛وبغير ذلك فسيكون اللفّ والطيّ دونما بسط ونشر عبثاً ولَهْواً لا طائل وراءه ؛ فاللفّ مقدّمة للبسط والنشر . وسيُنشر الشريط فيطّلع الإنسان على جميع أعماله ، لكنّ الأسى والأسف سيكونان آنذاك بغير فائدة ، إذ ليس ثمّة مجال للعودة والتدارك : **وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ** .

إنّ المكان الذي يمكن للإنسان أن يصلح فيه هذا الشريط هو الدنيا ، فالذكرى مهمّة للإنسان لو حصلت في الدنيا ، أمّا في الآخرة فلا فائدة تُرجى منها : **اليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ** .

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .[1]

نعم ، إنّ جميع الأحزاب والمجموعات والفئات قد رفعت أصواتها في هذه الدنيا ، وصارت تهزّ الدنيا تحت أقدامها ، لكنهم سيركعون ذلك اليوم خاضعين لماذا ؟ لأنّه سيُقال لهم : تعالوا واقرأوا صحائف أعمالكم ! تلك الصحائف السيّئة إلى الحدّ الذي يبعث على خجلهم وينكّس رؤوسهم فلا قدرة لهم بعد على رفعها والشموخ بها ، وسينشغل كلّ منهم بصحيفة عمله :

هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِٱلْحَقِّ .

١ـ الآيتان ٢٨ و ٢٩ ، من السورة ٤٥ : الجاثية

فأيّ حقٍّ أعلى ـ يا ترى ـ وأبعد من نفس عمل الإنسان الذي يوفّى له ؟ **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**.

لقد كان دأبنا في الدنيا أن نسجّل ونستنسخ ما تعملونه ، كي لا يمكنكم إنكار نقطة واحدة منه ، وليس عملنا أضعف أداءً من عملكم في الدنيا ، فأنتم تستنسخون الأسناد والوثائق لئلّا يُنكر منكر أو يجحد جاحد ، فإن أنكر أحد قيل له إنّ النسخة الأصليّة هنا ، والصورة والهيئة والشمائل والحديث كلّه مسجّل لدينا .

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ كلّ ما تفعلون ، فما الذي يعنيه الاستنساخ ؟ وكيف تُعرض النسخة هناك ؟

إنّه يعني أنّ جميع الموجودات في كلّ زمان ومكان موجودة بجميع خصائصها في كتاب التكوين الذي يسير وينقضي ، فكتاب التكوين هو الإمام المبين ، ونحن نستنسخ منه ما يخصّكم ويتعلّق بكم فنواجهكم يوم الجزاء بتلك النسخة .

على أنّ كتاب التكوين بأجمعه لا يهمّكم بطبيعة الحال ، فنحن إنّما سنطلعكم يوم القيامة على ما يتعلّق بكم فقط ، أمّا الاختلاف الواقع بين الرجل الفلانيّ والمرأة الفلانيّة في القرن الفلانيّ والسنة الفلانيّة والشهر واليوم والساعة واللحظة الفلانيّة في النقطة الكذائيّة من الدنيا ، فهو أمر لا يخصّكم بشيء ، ونحن نستنسخ منه نسخة لهما . أمّا بالنسبة إليك فنحن نستنسخ لك ما يتعلّق بك ويخصّك .

فما هي نسختك ؟ هي عملك ، وهي وجودك في كتاب التكوين منذ ولادتك إلى لحظة موتك . ذلك الوجود الذي سلّطناك عليه بعد البقاء الذي منحناك إيّاه بعد مرحلة فنائك . ومعنى الاستنساخ أن نضع هذا القدر من كتابك تحت سلطتك واختيارك . وهذا القدر الذي عرضناه لك من نسخة

ذلك الكتاب (كتاب التكوين) يمثّل تجلّي تلك الأعمال في صورة ملكوتيّة متناسبة مع ذلك العالم.

ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث اللوح المحفوظ:

وَهُوَ الكِتَابُ المَكْنُونُ الَّذِي مِنْهُ النُّسَخُ كُلُّهَا؛ أَوَلَسْتُمْ عُرُباً؟ فَكَيْفَ لَا تَعْلَمُونَ مَعْنَى الكَلَامِ وَأَحَدُكُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: انْسَخْ ذَلِكَ الكِتَابَ؟ أَوَلَيْسَ إِنَّمَا يَنْسَخُ مِنْ كِتَابٍ آخَرَ مِنَ الأَصْلِ وَهُوَ قَوْلُهُ: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».[1]

والاستنساخ يحصل من ذلك العالم التكوينيّ، لأنّنا لسنا إلّا موجوداً صغيراً من عالم كونيّ تتشكّل مجموعته من هذا العالم بشمسه وقمره وأرضه وكواكبه مع وضعيّاتها وحالاتها، ومن الموجودات الظاهريّة والطبيعيّة المادّيّة والموجودات الملكوتيّة المعنويّة وجميع حقائق هذه الأُمور، التي تمثّل بأجمعها اللوح المحفوظ الذي **لَا يُرَدُّ وَلَا يُبَدَّلُ**.

وقد ذكرنا سابقاً أنّ الشيء إذا ارتدى رداء الوجود فإنّ من المحال أن يعرض عليه العدم والفناء، إذ إنّه سيصبح **أُمّ الكتاب**، ومن أُمّ الكتاب واللوح المحفوظ تُستنسخ النسخة المتعلّقة بنا، فنُمنح يوم القيامة سيطرةً على تلك النسخة ويُقال: هاك نسختك فانظرها!

هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ.

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً.

فمن أين ـ يا ترى ـ تجد العمل وتراه؟ من النسخة التي استنسخت.

---

١ ـ «المعاد» للعلّامة الطباطبائيّ، (الإنسان بعد الدنيا)، ص ٣٥.

ورد في «تفسير العيّاشيّ» عن خالد بن نجيح ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : **إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دُفِعَ إلَى الإنْسَانِ كِتَابُهُ ثُمَّ قِيلَ لَهُ : اقْرَأْ.**

قُلْتُ : فَيَعْرِفُ مَا فِيهِ ؟

قَالَ : إنَّ اللَهَ يُذَكِّرُهُ ، فَمَا مِنْ لَحْظَةٍ وَلَا كَلِمَةٍ وَلَا نَقْلِ قَدَمٍ وَلَا شَيءٍ فَعَلَهُ إلَّا ذَكَرَهُ كَأَنَّهُ عَمِلَهُ تِلْكَ السَّاعَةِ فَلِذَلِكَ قَالُوا:

«يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا».[1]

وحقّاً فإنّ أمثال هذه الروايات الصادرة عن الأئمّة المعصومين سلام الله وصلواته عليهم أجمعين معجزة ، أي لأنّ مثل هذا التوغّل في الأسرار الإلهيّة والمعارف الربّانيّة له دلالة على سعة نفوسهم وإحاطتها ، حتّى كأنّهم موجودون في القيامة يرونها ويشرحونها لنا ، وكأنّهم يشاهدون مناظر القيامة ووقائعها واحداً بعد الآخر ثمّ يذكرونه لنا .

يقول الإمام إنّ الإنسان يرى جميع أعماله وكأنّه عملها تلك الساعة ، فهو يرى في القيامة في صورة ملكوتيّة ما عمله في الدنيا في صورة مُلكيّة وظاهريّة ، فيجد كأنّه قد عمل ذلك العمل في تلك الساعة ، لا كمثل من يتفرّج على العمل بينما يجلس إلى جانب ؛ فهو يرى العمل **كَأَنَّهُ عَمَلُهُ تِلْكَ السَّاعَةَ أو كَأَنَّهُ عَمِلَهُ تِلْكَ السَّاعَةَ.**

ومن هذا المنطلق تتصاعد الصرخات ، ويضجّ الجميع أن :

يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا.

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ.[2]

١ـ الآية ٤٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢ـ الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

من الممكن أن يرحل الإنسان عن الدنيا فيترك فيها آثاره ، وهذه الآثار ستكتب بدورها في صحيفة عمله ، فالذي بنى مسجداً ـ مثلاً ـ سيتوفّى بعد مدّة ، لكنّ الناس سيأتون فيصلّون في ذلك المسجد الذي يعدّ أثراً منه ، ومثل هذه الآثار ستدوّن في صحيفة عمله . وما أكثر ما تدوّن في صحيفة العمل أعمال كثيرة لم يقم بها بنفسه ، وهي الأعمال التي يقوم بها الناس إثر ترغيبه إيّاهم في القيام بها .

افرضوا أنّه قد مات قبل ألف سنة ، لكنّ الأُمور الخيريّة وأُمور البرّ تنصبّ باستمرار في صحيفة عمله ، ثمّ إنّه يعجب يوم القيامة ، إذ يرى في صحيفة عمله أُموراً لم يقم بها في دنياه ، فيتساءل : ما هذه الأُمور ؟

ويأتي الجواب : هي ذلك المطلب الذي تحدّثتَ به ، وذلك الكتاب الذي دوّنته ، وذلك العالم المؤمن الذي ربّيته ، والجسر الذي شيّدته على النهر لعبور الناس ، والعين والقناة اللتين أجريتهما ، والمستشفى والمستوصف اللذين بنيتهما للفقراء ، فهي بأجمعها صدقات جارية حصلت على يدك ، وحين ينتفع مسلم من مشاريعك النافعة إلى يوم القيامة ، فإنّ ثواباً سيسجّل في صحيفتك بمقدار تلك المنفعة . وحين يصلّي امرؤ ركعتين في هذا المسجد ، فإنّ ثواب هاتين الركعتين سيدوّن أيضاً في صحيفة عملك .

وقد ورد في «تفسير عليّ بن إبراهيم» عن أبي الجارود ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في تفسير الآية الشريفة :

يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ.[1] قال :

بِمَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَمَا أَخَّرَ فِيمَا سَنَّ مِنْ سُنَّةٍ لِيُسْتَنَّ بِهَا مِنْ بَعْدِه،

ـــــــــــ

١ ـ الآية ١٣ ، من السورة ٧٥ . القيامة

فَإِنْ كَانَ شَرّاً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِهِمْ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ وِزْرِهِمْ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ خَيْراً كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً.[1]

وجاء في الرواية : **إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثٍ ، وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَصَدَقَةٌ جَارِيَةٌ**.

نعم ، من سنّ سُنّة حسنة فله أجر من عمل بها ، ومن سنّ سُنّة سَيّئة فعليه وزر من عمل بها ؛ فمن أضاع دين الناس ، وألغى حجاب النساء ، فإنّ كلّ امرأة ستسير سافرةً إلى يوم القيامة ، وكلّ امرأة ستنساق إلى الفساد لهذا السبب ، وكلّ رجل سيبتلى بالزنا من جرّاء نظره إلى النساء العاريات ، وكلّ نفس ستضيع وتفسد بسبب هذا العمل ، فإنّ نفس تلك المعصية والمذلّة ستحتسب لصاحب تلك البدعة . وسيحترق في ا لنار ، وستُهدى له نيران جديدة باستمرار ، وسيؤجّج مالك ـ خازن النار ـ لهبها ولظاها بسبب الذنوب الجديدة التي يرتكبها الناس من جرّاء تلك البدع، فيصرخ ذلك المسكين وسط النار المستعرة : ما هذه الصنوف الجديدة من العذاب ؟ أيّها الإله الذي يقول بأنّه لا يظلم ! لماذا هذا العذاب الجديد ؟ ما هذه الأجهزة التي شُغلّت ؟ إنّني أحترق ، أفكانت نيران جهنّم التي جزيتني بها على أعمالي قليلة لتزيدها باستمرار ؟ ولتُرسل لي ناراً من الدنيا ـ؟

فيقول تعالى : **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**.

لكنّك أعمى للأسف (بمفاد الآية الشريفة : **وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ** ، ولو كانت لك أعين تبصر بها لرأيت أنّ هذه النيران هي إثر أعمالك التي تصلك باستمرار من الدنيا ، فمن يبتدع قانون ضلال في الدنيا ، ومن يسنّ سنّة سيّئة ، ومن يبتدع شيئاً يستدعي أذى الناس وإزعاجهم

١ـ «تفسير القمّيّ» ص ٧٠٦ .

ومرضهم وتقصير أعمارهم ، أو يسبب إسقاط جنين ، أو يسبّب إفساد دين الناس ونواميسهم وإبقائهم في غمرات الجهل ، أو يقطع طريقهم إلى الله تعالى ؛ فإنّ جميع الآثار التي تحصل لهم ستحصل كذلك لهذا الشخص المبتدع الواضع لذلك القانون والسنّة . وستدوّن جميع تلك المعاصي دونما نقص لمسبّبيها من المقنّنين والمنفّذين لذلك القانون وتلك السنّة .

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ.[1]

والكتاب المبين والإمام المبين هو اللوح المحفوظ ، وهو أُمّ الكتاب الذي يمثّل عالم الوجود الذي لا يخفى عنه شيء ، منتهى الأمر أنّ هذا اللوح المستنسخ عن عالم الوجود هو اللوح المحفوظ ، وأنّ حقيقة ذلك العالم هو أُمّ الكتاب ؛ فهما نسختان : نسخة اللوح المحفوظ والنسخة الأصليّة أُمّ الكتاب .

إنّ بإمكاننا الآن أن نهدم أحد أساطين المسجد فيكون مهدّماً فيما بعد إلّا أنّ هذه الأُسطوانة الموجودة في هذه اللحظة لا يمكن أن تكون معدومة ، فوجود هذه الأُسطوانة وعدمها في نفس اللحظة أمر غير ممكن . والأمر كذلك بالنسبة إلى أُمّ الكتاب وعالم التكوين ، حيث إنّ كلّ موجود يرتدي رداء الوجود والتحقّق فإنّه لن يرتدي لباس العدم ، فهم يستنسخون على نسخة التحقّق والوجود هذه فيدعونها اللوح المحفوظ والكتاب المبين ؛ وهذه النسخة هي إحصاء الله سبحانه .

فهناك ـ إذاً ـ لوح خاصّ لكلّ واحد من أفراد البشر يمثّل صحيفة العمل الخاصّة به . وقول الله تعالى : **هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ** يُشير

---

١ ـ الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ يس .

إلى تلك الألواح الخاصّة بكلّ فرد ، والتي يشكّل مجموعها اللوح المحفوظ. واستنساخ الأعمال هو عبارة عن إبرازها وإظهارها في المواضع والمواقع المعيّنة .

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ.[1]

ومن هنا فإنّ اللوح المحفوظ والكتاب المبين والإمام المبين هي مرتبة الظهور والتجلّي لأمّ الكتاب .

فاللوح المحفوظ هو كلمة الله المكتوبة ، وليست الكلمة شيئاً يجب أن يجري على اللسان حتماً ، فإنّ كلّ موجود يُخبر عن الباطن هو كلمة ، وجميع الموجودات التي تُخبر عن حقيقة ذات الله المقدّسة هي كلمات الله تعالى . أمّا الكتاب الذي يتضمّن جميع هذه الكلمات فهو الكتاب المبين ؛ وحين يُستنسخ منه صحيفة عمل كلّ فرد فإنّها ستدعى بالإمام المبين ، أي الأُسوة والقدوة .

وقد علمنا ولله الحمد وله الشكر معنى عالم الحساب وصحيفة الأعمال وتطاير الكتب والطائر ونظائر ذلك ، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا ، سيّد المرسلين ، محمّد وآله الطاهرين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

١ـ الآية ٦٩ ، من السوره ٣٩ : الزمر .

فهرس التأليفات



بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقوم مؤسّسة ترجمة و نشر

(دورة العُلوم و المعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالآتي :

دورة المعارف :

معرفة الله (١) (الله شناسى)	ثلاثة أجزاء
معرفة الإمام (٢) (امام شناسى)	ثمانية عشر جزء
معرفة المعاد (٣) (معاد شناسى)	عشرة أجزاء

دورة العلوم :

الأخلاق و الحكمة و العرفان (٤)

١ ـ رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالهٔ سير و سلوک منسوب به بحر العلوم)

٢ ـ رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب

(رسالۀ لُبّ اللباب در سير و سلوك اُولى الألباب)

٣ ـ التوحيد العلميّ والعينيّ (توحيد علمى و عينى)

٤ ـ الشمس الساطعة (مهر تابان)

٥ ـ الروح المجرّد (روح مجرد)

الأبحاث التفسيريّة (٥)

١ ـ رسالةٌ بَديعةٌ في تفسير آية «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ»

٢ ـ رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمريّة (رسالۀ نوين)

الأبحاث العلميّة والفقهيّة (٦)

١ ـ رسالة حول مسألة رؤية الهلال

٢ ـ وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام

(وظيفۀ فرد مسلمان در احياى حكومت اسلام)

٣ ـ ولاية الفقيه في حكومة الإسلام أربعة أجزاء

(ولايت فقيه در حكومت اسلام)

٤ ـ نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن) أربعة أجزاء

٥ ـ نظرةٌ على مقالة بسط وقبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش

(نگرشى بر مقالۀ بسط و قبض تئوريک شريعت دكتر عبدالكريم سروش)

٦ ـ الرسالة النكاحيّة : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (قد طبع الكتاب في طبعته الأُولى بهذا العنوان «الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين»)

(رسالۀ نكاحيّة : كاهش جمعيّت ، ضربه‌اى سهمگين بر پيكر مسلمين)

٧ ـ رسالة مسوّدة القانون الأساسيّ (نامۀ پيش نويس قانون أساسى)

الأبحاث التأريخيّة (٧)

١ ـ لَمَعات الحُسين عليه السلام

٢ ـ الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة ومشرقة

(هديّة غديريّه : دو نامهٔ سياه و سپيد)

هذه هي مجموعة من الكتب التي أُلّفت من قِبل المؤلّف قدّس سرّه ، والتي بادرت « مؤسّسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة » إلى ترجمتها وتقديمها تدريجيّاً إلى القرّاء المحترمين ، وهناك مجموعة أُخرى للمؤلّف لم تنشر بعد .

وللحصول على نظرة إجماليّة لهذه المؤلّفات ، يمكنكم الرجوع إلى نهاية الجزء الأوّل من هذا الكتاب .









